وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـــــة الحاج لخضر - باتنـــة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قســم التاريخ وعلم الآثار

فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين

رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب:

خميسي بولعراس

إشراف الأستاذ الدكتور:

كمال بن مارس

أعضـــــاء لجنــــــة المناقشـــــة

الأستــاذ	الرتبة العلمية	الجامعـــــة الأصليــــة	الصفـــــــة
أ.د مسعود مزهودي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	رئيســـا
أ.د. كمال بن مارس	أستاذ التعليم العالي	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
أ.د رشيد باقة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	عضـوا مناقشا
أ.د محمد فرقاني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	عضـوا مناقشا
أ.د عابد يوسف	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	عضـوا مناقشا
د. الطاهر بونابي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	عضوا مناقشا

السنــة الجامعيــة: 1434-1435هـ/2013/2014

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب

"قرآن كريم ، سورة يوسف"
آية ١١١

إهداء

إلى روح أبي الطاهرة

إلى أمي الرمز

إلى زوجتي التي قاسمتني هموم ومتاعب هذه الرسالة

إلى بناتي أماني وأميمة

إلى شهداء الزلاقة والأرك والعقاب

شكر و تقدير

أتقدم بجزيل الشكر وعاطر الثناء إلى أستاذي الفاضل المشرف الأستاذ الدكتور كمال بن مارس الذي رافقني طيلة مراحل هذا البحث مرشدا وموجها وناصحا وهذا من نبل أخلاقه وفيض خاطره.

مقـــــــــــــــدمة

تعتبر منطقة الغرب الإسلامي من المناطق التي تميزت بكثرة الأحداث العسكرية ، دفعت إلى تطور الأنظمة المتحكمة في تسيرها ، فالدول التي تعاقبت على بلاد الغرب الإسلامي بحكم طبيعتها الجهادية من جهة و العداء القبلي من جهة ثانية ،أجبرها ذلك على الاهتمام بنظامها العسكري و السعي إلى تطويره وفق الظروف التي صاحبتها ،خاصة إذا عرفنا أنها دول كانت دائمة التصادم ، مما جعلها تتميز بخصائص انفردت بها في الحروب كالمواجهة مع الخصوم و المتمردين في الداخل مما حتم رسم خطط لحفظ الأمن واستمراره ، وكذا مواجهة العدو من الخارج الذي استلزم تسخير امكانات الدولة ماديا وبشريا .

ومن متطلبات الاعداد للحرب يتحتم على الدولة وضع استراتيجيات تهدف إلى التحكم و توزيع القوات توزيعا منظما وفق ظروف الحرب و المواجهة ، فهي مجبرة على تسير هذه المعارك المتعددة الجبهات ،بانتهاج أساليب و خطط حربية وطرق قتالية مبتكرة وهذا ما يعرف في التاريخ العسكري بفن الحرب .

و لعل دولتي المرابطين و الموحدين من النماذج التي يمكن للباحث ولوج غمار البحث فيها كونهما دولتين عسكريتين ، حاولتا تطبيق فنون حربية وخطط وعسكرية تتماشى ووجودها من جهة و استمريتها من جهة أخرى ، خاصة إذا أدركنا أن الدولتين قامتا بإنجازات عسكرية كبيرة السبب الرئيس فيها هو قدرتها على التحكم في تسير جيوشها، وضبط خطط معاركها ،وعليه ارتئينا دراسة موضوع " فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين و الموحدين "

أ- دواعي اختيار الموضوع:

جاء هذا البحث من خلال جملة من الدوافع يمكن حصرها فيما يلي:

الابتعاد عن التاريخ العسكري الوصفي المختصر، وكذا إعادة قراءة جديدة للتاريخ العسكري وفق المناهج العلمية، بالإضافة إحياء التراث العسكري للمرابطين والموحدين، محاولة لإبراز الاستراتيجيات والأهداف المسطّرة في حروب الدولتين، والرد على الكتابات الاستشراقية التي تصف المؤسسة العسكرية للدولتين بالجمود والتخلف، ثم فتح الباب أمام الباحثين لتطوير هذا النوع من البحوث.

ب- إشكالية الموضوع:

- هل اتبع المرابطون و الموحدون فنونا قتالية في حربهم و معاركهم ؟
- ماهي الأساليب الحربية التي طبقت في حرب الموحدين على المرابطين و كيف واجه المرابطون ذلك؟
- كيف يتم الإعداد للحروب في الدولتين ؟
- ما هو التصور التنظيري و العملي للمعارك و الحروب عند المرابطين و الموحدين؟
- فيما تتمثل خطة الدولتين في تصادمها مع النصارى ؟

ج- الدراسات السابقة:

حسب اطلاعنا وما وصلت إليه أيدينا حول موضوع بحثنا فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، واطلاعنا على الأطروحات الجامعية واحتكاكنا بالأساتذة الجامعيين ذوي الاختصاص التاريخي في الكليات المغربية، فاس الدار البيضاء، مراكش، الرباط، القنيطرة...إلخ حول موضوعنا أكدوا لنا أنه موضوع جديد لم يتم

التطرق له من قبل بهذه الصيغة، وأشفينا غليلنا بالاطلاع على قائمة الأطروحات المسجلة والمناقشة في الجامعات المغربية والشيء نفسه يقال على الجامعات التونسية وكذا بعض الجامعات المصرية التي اطلعنا على بعض الأطروحات في التاريخ فلم نجد للموضوع ذكرا.، وجدنا دراسة واحدة مشابهة إلى حد كبير وهي " الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين " لفتحي زغروت، الذي تعتبر الدراسة الوحيدة حسب علمنا طرحت بطابع عسكري تقني نظرا للتكوين العسكري للمؤلف وخبرته في هذا الميدان، ولكن رغم ذلك لاحظنا نقائص كثيرة في أطروحاته للموضوع والإسقاطات الحديثة عليه وغياب الكثير من العناصر التي نراها مهمة في موضوع فن الحرب في الدولتين، أما أطروحات المؤرخين في هذا الموضوع فلم نجد إلا بعض الوريقات وهي عبارة على مقال في مجلة المؤرخ العربي [1]، للباحث صالح محمد فياض أبو دياك بعنوان " فنون القتال عند المرابطين والموحدين والحفصيين " ولكنها كانت بشكل مختصر وصفي مخل، وكذا مقال للباحث الفرنسي Pierre Boyer بعنوان " L'organisation militaire des Miribitines " ولكنه ركز على بعض الاستراتيجيات المرابطية في مرحلتها الأولى دون تحليلها.

كما نلاحظ محاولات جادة من طرف أشقائنا في المملكة المغربية في تشكيل لجنة لكتابة التاريخ العسكري للمغرب الأقصى والتي أفادتنا بمقالات ذات وزن علمي أنار لنا الطريق في أمور بحثنا [2].

---

(1) انظر: مجلة المؤرخ العربي، العدد 39، الصادرة عن اتحاد المؤرخين العرب ببغداد، 1988.

(2) أنظر مثلا: الدور الدفاعي للمرابطين والموحدين بالأندلس لمحمد زين العابدين الحسني، ص 103، والأساليب التكتيكية العسكرية عبر تاريخ الحروب المغربية للكولونيل أحمد البسيري، ص 130، في إطار قافلة التاريخ العسكري المنظمة عن طريق اللجنة المغربية للتاريخ العسكري، ط1، 2007.

كما أفادتنا دراسة إبراهيم حركات حول النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين الذي كشف عن خطط المرابطين التنظيمية في المجال العسكري ورغم الكثير من النقاط المهمة التي أثارها، إلا أن طريقة العرض كانت نقل للأحداث وذكر ووصف بعيدا تشريح المعارك ، كما خصص الباحث محمد الأمين بلغيث[3] بعض الوريقات في كتابه " دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي " ، إلا أن الباحث ينقل الكثير من معلوماته عن إبراهيم حركات فكانت إعادة لأفكاره.

كما ساهم عبد القادر عثمان محمد جاد الرب بمقال حول المرابطين ومعركة الزلاقة ولكنها كانت أدبية افتخارية مثله مثل شوقي أبو خليل في دراسته حول الزلاقة والأرك والعقاب.

بالإضافة إلى دراسة صباح عويناتي تحت عنوان " النظام العسكري الموحدي " [1] وهي الدراسة الوحيدة التي عند قراءة مضمونها تصب بعض الشيء في صلب الموضوع وهي مساهمة قيمة في إثراء هذا النوع من التاريخ، دون أن ننسى دراسة محمد حناوي بعنوان" النظام العسكري بالأندلس في عصري الخلافة وعصر الطوائف " وكذا مقال فايزة كلاس: بعنوان " الجيش عند الموحدين " [2]، دون أن نهمل دراسة سالم غومه المعنونة بـ " تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين ".

---

(1) عبارة عن أطروحة دكتوراه في التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2004–2005.

(2) أنظر: محمد حناوي، النظام العسكري بالأندلس في عصر الخلافة والطوائف، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، 2005، أنظر: مقال فايزة كلاس، الجيش عند الموحدين، لجنة كتابة تاريخ العرب، مجلة الدراسات التاريخية، العددان، 31، 32، دمشق، 1989، ص 197.

إننا لا نقصد ببحثنا هذا – كما يتبادر إلى الأذهان – ذكر المعارك والجنود والخسائر ومكان المعركة والانتصارات والهزائم، وإنما نقصد النواحي الإستراتيجية والتكتيكية لمعارك المرابطين والموحدين دراسة تقنية تحليلية لهذه الاستراتيجيات المتبعة في حروب الدولتين.

وإن كان المشرق أكثر جرأة في معالجة هذا النوع من التاريخ وإثراء التاريخ العسكري المشرقي [(3)]، فإن هذه الدراسات أشارت لبعض محاور الموضوع سواء من الجانب المنهجي والتقني أو من حيث عمليات الطرح والمادة الخبرية في جانبها العسكري.

د- الصعوبات:

واجهتنا أثناء معالجتنا لهذا الموضوع صعوبات نذكر منها تقنية الموضوع ومصطلحاته مما يجعلنا نبحث عن المصطلح المناسب وما يقابله في تلك الفترة، عمومية المصادر والمراجع حيث كانت تطرقها تطرقا عاما يصعب على الباحث اختيار النموذج الذي ينطبق على الفترة المدروسة، خاصة في مجال الاستراتيجيات، ثم أن قلة الدراسات في الموضوع ومصطلحاته كان لنا حاجزا كبيرا في معرفة مضمون الموضوع من الناحية الأكاديمية، ثم طغيان التاريخية ونقص الجانب التقني في المادة الخبرية للدولتين.

هـ- المنهج المتبع:

لقد اتبعنا في موضوعنا هذا مجموعة من المناهج نراها ضرورية لمعالجة هذا النوع من المواضيع منها المهج التاريخي الإحصائي لما يتطلبه الموضوع من تقنية إحصائية من

---

(3) من هذه الدراسات نجد: فن الحرب عند العرب في الجاهلية والإسلام للواء جمال الدين محفوظ، والفن الحربي في صدر الإسلام لعبد الرؤوف عون، والحرب عند العرب لإبراهيم مصطفى المحمود، وفن الحرب الإسلامي لبسام العسلي، والحرب للعقيد محمد صفا، والمذاهب العسكرية في العالم لبسام العسلي، والفن العسكري الإسلامي لياسين سويد، والفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري لمحمود نديم أحمد فهيم، والمعجم العسكري المملوكي للباحث العمامرة، وغزوات العرب لشكيب أرسلان، وفن الحرب عن العرب لبيار بويي.

جانب الأرقام وتفسيرها تفسيرا رياضيا، وكذا المنهج المقارن من خلال المقارنة بين النصوص التي تبرز الاستراتيجيات بين الدولتين تارة، والنصارى تارة أخرى، والمنهج النقدي وهذا ما تتطلبه دراسة المعارك التي نبرز من خلالها أسباب الانهزام والتراجع وضعف الاستراتيجيات، كما اعتمدنا على المنهج التحليلي الذي فرضه الموضوع علينا، حيث قمنا بتحليل هذه الاستراتيجيات ومدى توفق الدولتين فيها.

و- خطة البحث:

من خلال المادة الخبرية قمنا بتقسيم بحثنا إلى خمسة فصول وخاتمة.

تناولنا في الفصل الأول الإعداد للحرب في الدولتين، كالإعداد المعنوي والأطراف المساهمة في هذا الدور كالعلماء والفقهاء والتآليف والرسائل الحربية وأهمية الشعر في إذكاء حماسة الحرب، ثم الإعداد العسكري ومحاوره كفن التدريب والتصنيع الحربي والتي تشمل الأسلحة ودور الصناعة الحربية، وإستراتيجية الدولتين في التنويع والاستثمار في الأقليات العرقية من عرب وأندلسيين وغز .. ودور القيادة تنظيرا وتطبيقا، ثم الإعداد الاقتصادي والمالي كالتموين مع التركيز على عنصري المياه والغذاء.

أما الفصل الثاني فتطرقنا فيه إلى الخطط الحربية عند المرابطين و الموحدين في بعض المعارك والحروب، حيث تعرضنا إلى عدة أساليب قتالية في المواجهات الحربية مع الخصوم منها الخداع والحيل والأرض المحروقة وأهمية العيون في الحرب ونجاحها، كما تعرضنا إلى أسلوب الهدنة وقضية الأسرى، وكذا أهمية الحصار والتحصين في حروب المرابطين والموحدين.

وجاء الفصل الثالث بعنوان المعركة عند المرابطين و الموحدين دراسة في فن القتال الحربي ، فاتخذنا من معركة الزلاقة والأرك وحصن العقاب نماذج لدراسة الطرق الحربية

المطبقة فيها والأخطاء القتالية ، واتبعنا في ذلك رسومات تخطيطية لهذه المعارك والتي انطلقنا من الجزء إلى الكل، أي من بداية المعركة إلى نهايتها، كخط سير الجيشين والعدد والدراسة الجغرافية لمكان وقوع المعركة، والنتائج المترتبة عن ذلك.

وتطرقنا في الفصل الرابع إلى الحرب البحرية عند الدولتين من حيث العدة و النشاط الحربي كتوفير المعدات الحربية البحرية كصناعة السفن دو السلاح والتدريب إلى غير ذلك، وتناولنا كذلك بعض صور التكتيك البحري عند المرابطين والموحدين خلال مواجهاتهم البحرية.

وعالجنا بالفصل الخامس أساليب الصراع المذهبي و العقدي كشكل من أشكال الصراعات التي تعد أخطر من الحروب العسكرية، باعتبارها تمس الهوية والتراث ، حيث بينا مفهوم هذا الصراع وأدواته ووسائله ومدى خطورته والمؤسسات الفاعلة في عمليات هذا الخطاب والحوار المذهبي والعقدي.

وتوصلنا في الخاتمة إلى جملة من النتائج لعل أهمها تطور المؤسسة العسكرية وإستراتيجيتها وتماشيها مع تطور الآخر من حيث التكتيك ونوعية التسليح البري والبحري، وكذا التنسيق بين القوات البرية والبحرية والقدرة الحربية على جبهتين، وكذا إستراتيجية حرب المياه والحصارات الاقتصادية.

ي- دراسة ونقد المصادر والمراجع المعتمدة:

I- المصادر:

أ- كتب الجهاد والسلاح والفروسية:

يكتسي هذا النوع من الكتب أهمية بالغة لكل باحث في التاريخ العسكري الإسلامي خاصة وأن التآليف العربية الإسلامية في هذا المجال كثيرة ومتنوعة، ساهمت في إغناء المكتبة العربية [1].

وقد اعتمدنا بصفة رئيسية على هذا النوع من التصانيف الذي هو أساس بحثنا لأنه يثير مواضيع الأسلحة وكيفية استعمالها وأنواعها ومواد صنعها وفضل الخيل وصفاتها كما كانت عنصرا ساهم في تنمية الشعور الديني للجهاد، وهذا ما نلاحظه في كتب الجهاد، كما قدمت لنا هذه التصانيف مادة مصدرية عسكرية غزيرة عكس النظرة القاصرة التي تبيّن شح المصادر من هذا الجانب.

1- **كتاب الإنجاد في أبواب الجهاد لمحمد بن عيسى بن المناصف المتوفي 620هـ/1223**[1]، الذي يعد مصدرا مهما في قانون الجهاد أو ما يعبّر عنه في هذا العصر بالعلاقات الدولية في حالة الحرب، حيث يحتوي على أحكام فقهية وخلاصة فكرية وأعمال توجيهية ويطرح كيفية التعامل مع العدو للدفاع عن النفس والجهاد في سبيل الله وفضائله،

---

(1) يورد صاحب كتاب Λэαρτ μιλιταιρε χηεζ λεσ αραβεσ αυ μοψεν αγε العديد من المؤلفات في الفروسية والرمح والحروب مثل كتاب أدب الحروب وفتح الحصون والمدائن وتربيص الكمين وتوجيه الجواسيس والطلائع والسرايا للأردشير بن بابك، وكتاب تعبئة الحروب وآداب الأساورة وكيف كانت ملوك الفرس، وكتاب العلم بالنار والنفط والزراقات في الحروب، وكتاب الدبابات والمنجنيقيات والحيل والمكائد، كتاب الخيل والحروب وآلات السلاح وحصار القلاع، وكتاب الحيل والحروب وفتح المدائن، وكتاب المخزون لأرباب الفنون، الفروسية برسم الجهاد في سبيل الله، وتعتبر دراسة ممتازة حول أهم المؤلفات الحربية العربية الإسلامية المخطوطة والمحققة، حيث عرض البعض منها وعلّق عليها وبيّن دور وأهمية العرب في التآليف الحربية، أنظر:

Λэαρτ μιλιταιρε χηεζ λεσ αραβεσ αυ μοψεν αγε, ιμπριμεριε νατιοναλε, Παρισ, Π: 4,5 ,6,8,11. M Ρειναυδ:

(1) حقق مرتين حسب علمنا، واعتمدنا على النسختين، الأولى حققت من طرف قاسم عزيز الوزاني لدار الغرب الإسلامي بيروت، ط1، 2003 ونسخة ثانية حققت من طرف مشهور بن حسن آل سلمان ومحمد بن زكريا أبو غازي، نشرت بمؤسسة الريان سنة 2005.

كما أن ابن المناصف شاهد عيان على التكالب النصراني الصليبي على الأندلس الإسلامية، الشيء الذي أدى به إلى تأليف هذا المصنف الذي كان يهدف من ورائه إلى تحفيز النفوس للدفاع عن الإسلام في العهد الموحدي، ولذلك كان تصنيفا مهما لنا خاصة في عنصر دور التآليف الجهادية في التعبئة المعنوية للجيش وحثه على الجهاد والاستشهاد، وبذلك فهو نموذج يمكن تقديمه كعنصر هام في إثراء الدعاية للجهاد في العصر الموحدي.

2- **مخطوط كامل الصناعة في الفروسية والشجاعة للأمير بدر الدين محمد بن بكتوت بن عبد الله الأشرفي الخزنداي المعروف ببكتوت الرماح**، نائب الإسكندرية في عام 771هـ/1361م وهو كتاب في فن الحرب وعلم الفروسية جمع فيه المؤلف ما أخذه من شيخه ناصر الدين محمد بن حسام الدين لاجين الحسامي، حيث بيّن في كتابه مواصفات وشروط الفارس وما يحتاج إليه في سائر انواع الحروب والمقابلة [2].

3- **مخطوط بغية المرامي وغاية المرام للمعاني في علم الرمي لسيف الدين طبيغا الأشرفي البكلمشي اليوناني**، كان حيا سنة 770هـ/1368م بيّن فيه أصول معاني الرمي وفروعه والركوب ووضعياته [1].

4- كتاب أثار الأول في تدبير الدول للحسن بن عبد الله العباسي الصفدي كان حيا سنة 716هـ/1316مـ ألّف هذا الكتاب لخزانة الظاهر بيبرس المملوكي سنة 708هـ/1308م حسب قوله، حيث خصص أبوابا مهمة في الفروسية ورياضة الخيل وباب في الأسلحة واستعمالها في الحرب وصفات الرمي وفضله والطعن [2].

---

(2) المخطوط موجود في نسخة خطية اعتمدنا عليها ميكروفيلم رقم 32 ضمن مجموع (3) من ورقة 471 إلى 511 بالمكتبة الوطنية بالرباط.

(1) المخطوط موجود في نسخة خطية بالمكتبة الوطنية بالرباط، ميكروفيلم رقم 1867 ضمن مجموع (5) من ورقة 60 أ إلى ورقة 92/ ب.

(2) تم لنا الاطلاع على المخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط وهو عبارة على ميكروفيلم رقم 9208، كما اعتمدنا على النسخة المحققة من طرف عبد الرحمان عميرة الصادرة عن دار الجيل ببيروت الطبعة الاولى 1989.

5- **كتاب الفروسية لابن القيم الجوزية** الذي يعتبر تصنيفه هذا من أهم التصانيف التي لا غنى للباحث في تاريخ واستعمالات الأسلحة عنها، حيث خصص فصولا للقوس وأنواع الفروسية ووضعيات الرمي وتكتيكات السهام في الحرب ولكن ما يؤخذ عليه طغيان الجانب الفقهي في وصفه للفروسية.

6- **كتاب تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء ونشر أعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء للطرسوسي مرتضى بن علي** (ت. 589هـ/1193 م)، ألفه لصلاح الدين الأيوبي يقدم فيه كيفية صناعة الأسلحة والمواد الداخلة في ذلك كالمنجنيق والدروع والجواشن والتراس والرماح والقوس والسيوف [3].

إن هذه التصنيفات سالفة الذكر رغم بعد تآليفها عن الفترة المدروسة إلا أننا استفدنا منها في بحثنا هذا في مجالات استعمالات الأسلحة والتدريب، فوجدناها ينطبق منها الكثير على فنون القتال المرابطي والموحدي، خاصة وأن فترة هذه المصادر ليست بعيدة جدا (ق. 7هـ/13م)، كما أنها تنظير عام وليس خاص لدولة دون أخرى فوجدنا الكثير من تشابه هذه المميزات الحربية عن المرابطين والموحدين [1].

ب- كتب السياسة والأحكام السلطانية:

عموما فإن كتب السياسة عبارة عن فكر تنظيري على ما يجب أن تكون عليه الدولة، وكان الواقع منطلقا لهذه الكتب والتصنيفات، حيث انطلقت منه لوضع أسس تنظيمية تسير عليها الدولة، وهي بدائل لواقع فوضوي سلبي غير منتج وغير متطور بتطور الأحداث، وهي

(3) نسخة موجودة بالجامعة المركزية جامعة منتوري بقسنطينة تحت رقم أ 213/4 حققه ونشره كلود كاهين، مجلة الدراسات الشرقية للمعهد الفرنسي ببيروت 1948.

(1) لقد قام الكولونيل الباحث المغربي أحمد البسيري بجمع المخطوطات العسكرية الموجودة بالمملكة المغربية وأخرجها في كتاب عنوانه: مصادر من التراث العسكري المخطوط بالمغرب، منشورات اللجنة المغربية للتاريخ العسكري، ط1، 2009.

كثيرة في التآليف الإسلامية كالماوردي وابن المقفع وابن الأزرق ... وغيرهما، لذلك كان هذا النوع من الكتب عنصرا مهما في موضوعنا لأنه يقدم لنا معلومات سياسية وعسكرية في مجال التنظير يمكن الانطلاق منها لبناء أساسيات الموضوع، وقد اعتمدنا في هذا المجال على تصنيفين أساسين هما:

1- **كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة لأبي بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي المتوفي سنة 489هـ /1090 م**[2]، حيث قسم كتابه إلى ثلاثين بابا، وما يهمنا فيه الباب السادس والعشرون حول الحروب والمسالمة والباب الثامن والعشرون في الحيلة والمكر والخديعة، حيث قدم لنا عدة أطروحات حول فن الحرب والسلم أضاءت لنا الكثير من الاستراتيجيات الحربية عند المرابطين خاصة وأن معالم نظريته واضحة في المشروع المرابطي، لا سيما في مسألة الجند، وكان معاصرا لدولة المرابطين وأفكاره تشريحا للواقع آنذاك، ولعل تعدد العصبيات في الجيش المرابطي يثبت تأثير النظرية المرادية في المؤسسة العسكرية المرابطية [1].

2- **كتاب سراج الملوك لأبي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي (451-520هـ / 1059-1126م)** وهو كتاب في السياسة والحكم وما يجب أن يكون عليه الراعي والرعية، وقد ألفه إلى الوزير الجديد المأمون البطائحي بالإسكندرية وقسمه إلى أربعة وستين بابا، ولقد أفادنا في الباب الحادي والستون حول ذكر الحروب وتدبيرها وحيلها وأحكامها، وكان معاصرا وعارفا بأوضاع دولة المرابطين وما رسالته إلى يوسف بن تاشفين حول استنجاد الأندلسيين به لتخليصها من التكالب النصراني، والمؤكد أن هذه الآراء في الحرب

---

(2) النسخة التي اعتمدنا عليها من تحقيق محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

(1) قدم الأستاذ الباحث محمد الأمين بلغيث دراسة قيمه حول فلسفة وأفكار المرادي السياسية عنوانها بـ: النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

طبقت في إستراتيجية الدولتين، وقد فتح لنا المجال لمعرفة نماذج من الفن الحربي في تلك الفترة ورغم أن الكتاب في شطره السياسي كان تشريحا لواقع معيّن فإنه قدم لنا صورا حربية في فن القتال والحروب خاصة في عنصر التدريب والتعبئة [2].

3- **الرسائل الديوانية:** تعتبر من أهم المصادر والوثائق التي تبين لنا الاستراتيجيات الإدارية والسياسية والتجارية والعلمية والعسكرية والمذهبية، ولعل الرسائل الموحدية والمرابطية وجدنا فيها الكثير من المعلومات العسكرية التي يمكن الاستفادة منها في ميدان الاستراتيجيات الحربية، فبالنسبة للرسائل الموحدية يرجع الفضل للباحث المغربي أحمد عزاوي في القيام بجمع عدد لا بأس به من الرسائل الديوانية الموحدية وتصنيفها ودراستها، وقد سبقه في ذلك الأستاذ ليفي بروفنسال في نشر مجموعة من الرسائل الموحدية سنة 1941 ولكنها مبتورة الأول والآخر، وقد سهلت لنا هذه الرسائل استخراج الكثير من الاستراتيجيات الموحدية في المجال المذهبي ضد خصومهم المرابطين وفي المجال الحربي البري والبحري، وكذا الأسلحة والثورات المعارضة لهم وكيفية التعامل معها [1].

أما الرسائل الديوانية المرابطية فقد وجدنا دراسة قيمة للباحث المغربي مصطفى الزباخ حول بنية الخطاب في فن الرسالة المرابطية بالأندلس، التي تستحق الاطلاع والاستفادة منها، فقد قام باستخراج أهم الرسائل المرابطية من المصادر، وعمل على دراستها، فهي عبارة عن خطابات صادرة عن الديوان أو واردة عليه في شؤون الدولة يبعث بها الديوان إلى الولاة وقادة الجيوش والملوك، وقد عرف هذا النوع من الرسائل تطورا في عهد الدولة المرابطية فمن خلال الإحصائيات التي قام بها الباحث في الرسائل بالكلمات الدالة على الجانب العسكري المذهبي كالإسلام، النصارى، الأعداء، الصلبان الأصنام، الدم، القتل، السلاح،

---

(2) اعتمدنا على نسخة محققة من طرف محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1994، ص 27، 28، 29.

(1) اعتمدنا على مجموعتين للباحث عزاوي وهي رسائل موحدية جديدة من منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، ط1، جزءان، 1995، وكذا رسائل موحدية لليفي بروفنسال، معهد العلوم العليا المغربية، ط1، المغرب، 1941.

الانتصار وغيرها، فرغم أدبية المحتوى المعالج إلا أنها ذات أهمية في الخطابات والصراع الحضاري مع النصارى ووسائله [2].

ج- كتب الجغرافيا والرحلات:

اعتمدنا في بحثنا هذا على بعض المصادر الجغرافية كالإدريسي والبكري وياقوت الحموي، ولكن كان استخدامنا بدرجة أكبر للحميري محمد عبد المنعم (ت. أواخر القرن 9 هـ/15م) في كتاب ضخم موسوم بالروض المعطار في خبر الأقطار وهو معجم في موسوعة جغرافية شاملة استخرج منه ليفي بروفنسال الجزء الخاص بالأندلس وعنونه بـ: صفة جزيرة الأندلس، وهذا الجزء أفادنا كثيرا واعتمدنا عليه في جميع أطوار بحثنا لأهميته في تحديد والتعريف بمواقع بعض المعارك المرابطية والموحدية التي اتخذناها كنماذج للدراسة التكتيكية كالأرك والزلاقة والعقاب، وكلها واقعة في الأندلس، ولذلك فقد زودتنا بمادة غزيرة حول هذه المعارك من حيث الإعداد والاستراتيجيات والخسائر والخطط.

د- كتب التاريخ العام.

1- كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لابن أبي زرع أبا الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت. 726هـ/1325م)، من

(2) اعتمد مصطفى الزباخ في استخراج هذه الرسائل ودراستها من ابن بسام الشنتريني في كتابه الذخيرة وكذا ابن خاقان في قلائد العقيان ومنهاج المناقب ومعراج الحسب الثاقب لابن أبي الخصال، وجمع الفوائد المنتخبة من الخواص المجربة لأبي المعالي عبد الله بن أبي العلاء وخريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني، وكذا محمد عبد الله عنان، والحلل الموشية لمؤلف مجهول وروض القرطاس لابن أبي زرع والثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين لحسين مؤنس، انظر مثلا اعتماد الزباخ على حسين مؤنس من الصفحة 34 إلى 55 (حسين مؤنس الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1992)، أنظر: مصطفى الزباخ، بنية الخطاب في فن الرسالة المرابطية في الأندلس، دار النشر المغربية، ط1، الدار البيضاء، 1988..

دوافع تأليف هذا الكتاب كما صرح به كان رغبة في إظهار معالم دولة السلطان عثمان بن يعقوب (710-731هـ/1325-1346م) [1].

ولعل ما يميز هذا الكتاب أنه كان شاملا لمجمل النشاطات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعسكرية، فهو بمثابة تاريخ عام للمغرب الأقصى، ورغم أن المؤلف لا يخلو من المبالغة وخصوصا في ذكر الخسائر البشرية في المعارك، وهذه الأرقام نجدها تختلف مع المعاصرة لتلك الأحداث [1]، علاوة على أن الكتاب لا يخلو من القصص والأساطير غير المعقولة [2].

ورغم كل هذه العيوب أفادنا المصدر بخصوص دولة المرابطين والموحدين من حيث العناصر التي تكون منها الجيش وهذا ما وظفناه في قضية الاستثمار وإستراتيجيته في الأقليات العسكرية، وأعطى لنا صورة في مجال التسلح وأنواعه وصناعته وبعض الخطط العسكرية المتبعة في حروب الدولتين، كما أفادنا في دور صناعة السفن وأنواعها والتحصينات.

2- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن عذارى المراكشي، كان حيا سنة 712 هـ/ 1312م، يعتبر من أهم المصادر في تاريخ المغرب والأندلس في الفترة الوسيطية، وقد استفدنا كثيرا من الجزء الرابع المخصص للمرابطين، والجزء المخصص لدولة الموحدين، حيث تحدث عن تاريخ الدولتين بأدق التفاصيل وهذا ما ساعدنا على استقاء أكبر قدر من المعلومات حول المعارك البرية والبحرية [3].

---

(1) أنظر: مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلادي، دار المغرب، الرباط، 1977، ص 68، 69.

(1) كعبد الواحد المراكشي في معجبه وابن الأثير في كامله ولسان الدين ابن الخطيب في أعمال الأعلام.

(2) أنظر مثلا: ص 37، 200 من كتاب الأنيس المطرب.

(3) اعتمدنا على النسخة للجزء الرابع من البيان المغرب المخصص للمرابطين، أما القسم المخصص للموحدين فقد حققه محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، الصادر عن دار الغرب الإسلامي ببيروت سنة 1985.

وابن عذارى كان قريبا من عصر الدولتين علاوة على أنه ألف كتابه خلال الربع الأول من القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي في عصر الدولة المرينية قد أفادنا كثيرا في المعطيات المتعلقة بالعلاقات مع الممالك النصرانية التي تضمنت معلومات غزيرة عن الغزوات والمعارك وقد اعتمدنا عليه في أغلب مراحل بحثنا، ويعتبر من أكثر مؤرخي الغرب الإسلامي.

3- **كتاب نظم الجمان في أخبار الزمان لأبي الحسن علي بن محمد الفاسي (ت. 628 هـ/1230م)** الذي كان على رأس طلبة العلم بمراكش ومتصلا بملوك الدولة الموحدية، وكان أكثر الدعاة تحمسا للدعوة الموحدية، وكان معاصرا للخليفة المرتضى الموحدي، وقد أفادنا في دراسة أحوال المرابطين العسكرية في أواخر دولتهم، ودراسة بعض محاور المذهب الموحدي وإستراتيجيته بالإضافة إلى أن حواشي الكتاب كانت أكثر تفسيرا للأحداث التي جاءت في المتن، ولكن ما يعاب عليه هو التعصب للمذهب الموحدي، حيث حاول ستر عيوب الموحدين وتبرير أعمالهم ويهاجم المرابطين ويتنكر لهم، ومن هذا المنحى يمكن اتخاذه كنموذج من النخبة التي اعتمدت عليها دولة الموحدين في تهميش تاريخ الآخر الخصم المذهبي في الحرب المذهبية، وكان ابن القطان أحد وسائلها.

4- **كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب لمحي الدين أبو محمد عبد الواحد التميمي المراكشي (ت. النصف الثاني من القرن 7هـ/13م)** عمل كاتبا لبعض ولاة من أبناء عبد المؤمن بن علي الكومي، فكان على علم بأدق الأمور في الدولة، ولعل ما يمنحه المصداقية في كتابه هذا هو أنه ألفه ببغداد بعيدا عن الضغوطات والتأثيرات الموحدية، فابتعد عن المجاملة واقترب من التحري والموضوعية، استفدنا منه خاصة في مجال استراتيجيات المهدي بن تومرت وأتباعه في حربهم ضد المرابطين، وكذا العلاقات الحضارية مع الممالك النصرانية.

5- كتاب الحلل الموشية في الأخبار المراكشية لمؤلف مجهول (783هـ/م1381) رغم أن هذا العنوان لا يقصد به أخبار مراكش المدينة العظيمة التي كانت عاصمة للمرابطين والموحدين، حيث لا نجد أشياء وأهمية حول مراكش كقصورها وأسواقها وحماماتها وخططها وعمرانها التي أفاض فيها الجغرافيون والرحالة بل هو كتاب تاريخ عام أرّخ لعدة دول وأعطى لدولة المرابطين والموحدين ذكرا كثيرا ثم المرينيين [1]، حيث أورد لنا حقائق وخطط عسكرية وفنون قتال وأسلحة وأنواعها وقيادات الأسطول والتحصينات، كل هذا سهّل لنا وشجعنا على تشريح افتراضي لبعض معارك المرابطين والموحدين والاستراتيجيات المتبعة.

6- كتاب المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين لعبد الملك بن صاحب الصلاة (ت. 594هـ/1198م) يعتبر من أهم المصادر التي أرّخت للدولة الموحدية وفي ثناياها ذكر للمرابطين باعتبارهم خصوم للموحدين وتظهر أهميته أنه كان معاصرا للدولتين وكذا منزلته في الدولة الموحدية فكان على علم بأمورها، ويتألف الكتاب من ثلاثة أسفار، ولكن الأول والثالث في حكم المفقودين ولم يبق إلا الثاني الذي زودنا بمواقع المعارك والمواجهات ضد المرابطين وبعض الإشارات من الحرب المذهبية، غير أنه كان متعصبا للموحدين فكان ذاتي أكثر منه موضوعي، خاصة وأنه يعتبر من بين النخبة الموحدية التي سخرت لمواجهة المد المذهبي المرابطي، لذلك كان اعتمادنا عليه بتحفظ.

هـ- كتب الأدب والدواوين الشعرية:

1- المقري شهاب الدين (ت. 1041هـ/1632م) كتابه نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب الذي ألّفه بالمشرق ويعد مصنفه هذا

(1) انظر: مقدمة المحققان للحلل الموشية سهيل زكار وعبد القادر زمانه، ص 4.

من أهم الكتب الأدبية الموسوعية التاريخية، فقد احتوى على العديد من المعلومات القيمة حول بعض المناطق الأندلسية محل دراستنا في العصرين المرابطي والموحدي فرغم أدبية الكتاب الذي طغت عليه القوالب الشعرية والقصصية، إلا أنه زودنا ببعض التراجم الأدبية لبعض من ساهم في شحن الجانب المعنوي وكذا أشعار الانتصارات والمعارك التي من خلالها عرّفنا ببعض مواصفات الأسلحة وبنية الخطاب مع النصارى سياسيا وأدبيا، رغم أن المقري لم يكن معاصرا للأحداث.

2- **ابن بسام الشنتريني (ت. 542هـ/1147م) نسبة إلى مدينة شنترين في البرتغال وكتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** وهو موسوعة تاريخية أدبية تتضمن تراث القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، ينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام في ثمانية مجلدات بحسب الأقاليم الأندلسية، أفادنا في الكثير من المعارك الحربية في قوالب شعرية، حملت الكثير من الأحداث التي من خلالها انطلقنا في بناء بعض ملامح السياسات العسكرية في الدولتين، خاصة في معركة الزلاقة.

3- **الدواوين الشعرية:** قدمت لنا هذه الدواوين مادة شعرية غزيرة في بعض جوانب الموضوع خاصة دور الشعر الجهادي والحماسي في تنمية الروح القتالية والحث على الجهاد، إذ من خلالها وضحت لنا دور الشعر والشعراء كمؤسسات إعلامية ساهمت في إعداد الجيش للقتال وشحن هممه ورفع معنوياته، ونذر في هذا الصدد **ديوان ابن خفاجة، ديوان ابن الزقاق وديوان ابن حمديس.**

II- المراجع:

4- **الموحدون نظمهم وتنظيماتهم في الغرب الإسلامي لأحمد موسى عز الدين،** وهو عبارة عن دراسة للدولة الموحدية وأنظمتها في جميع النواحي، ومن أهم هذه النواحي تركيزه على الجانب التنظيمي العسكري الذي عالج فيه تشكيلات الجيش والاستعداد والتعبئة

والخطط الحربية وطرق القتال، كما ركز على الجانب الاستراتيجي في الحروب البرية والبحرية للموحدين، وهي من أهم العناصر المحورية في موضوعنا [1].

5- **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس لأحمد مختار العبادي** حيث يدور مضمون هذا الكتاب حول إعداد الجيوش وتدريبها وتعبئتها وأنواع الأسلحة وأساليب القتال ووسائل الدفاع والهجوم وطرق التجسس فقد خصص للمرابطين والموحدين حيزا مقبولا في هذه المحاور الحربية، إلا أنه يعطي أمثلة قليلة وينقل من المصادر دون التحليل الوظيفي والتقني لكيفيات الإعداد واستعمالات الأسلحة.

6- **القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين لمصطفى أبو ضيف،** الذي عالج نشأة ومسارات ودور هذه القبائل العربية في لنواحي الإدارية والعسكرية، وقد أفادنا في عمليات الاستثمار المرابطي والموحدي لهذه القبائل في الجانب الحربي وأهم مواصفاتها القتالية من خلال مشاركاتها في معارك ميدانية.

7- **الجيش المغربي عبر التاريخ لعبد الحق المريني** تطرق فيه تطور الجيش المغربي ونشأته عبر مراحل التاريخ، حيث يبرز تطوره في كل الدول المتعاقبة على المغرب الأقصى منها المرابطين والموحدين، ويطرح تطور الأسلحة المستعملة ودراسة الخطط الحربية وبعض المعارك المرابطية والموحدية في الأندلس، دما دعم كتابه بمجموعة من الملاحق تخص الأسلحة وأنواعها، ولكن ما يؤخذ عليه أن المعلومات الواردة فيه كانت وصفية بعيدة عن التشريح التكتيكي للمؤسسة العسكرية إلا أنه أعطى لنا الكثير من المعارف التي خدمت مباحث كثيرة في موضوعنا هذا [2].

---

(1) أصل هذا الكتاب بحث لإتمام مطلوب للحصول على درجة أستاذ في الآداب بالجامعة الأمريكية ببيروت ونوقشت سنة 1969، ثم أعيد طبعها في كتاب عن طريق دار الغرب الإسلامي ببيروت سنة 1991.

(2) من أهمية هذا الكتاب أنه طبع خمس مرات آخرها سنة 1997 بمطبعة المعارف الجديدة بالرباط ونال جائزة المغرب سنة 1968 وهي النسخة التي اعتمدنا عليها.

8- مؤلفات شوقي أبو خليل: الزلاقة، الأرك، العقاب وهي ثلاثة مؤلفات اعتمدنا عليها باعتبارها تمس صلب الموضوع المراد دراسته، حيث عالج في مؤلفاته هذه المعارك أسبابها وكيفية الإعداد لها ونتائجها، ولكن الشيء الذي يعاب عليه هو عدم وضع حواشي إلا في القليل النادر، كما أن دراسته هذه غلب عليها الطابع الأدبي الوصفي الافتخاري، بعيدة عن الجانب التقني في دراسة المعارك ونفس المنهجية اتبعها في مؤلفاته الثلاثة.

9- الدولة والمجتمع في العصر الموحدي للحسين أسكان(1)، عالج فيه أسس الدولة والمجتمع الموحدي منها دور قبيلة مصمودة في المشهد السياسي والاقتصادي والعسكري والمشروع الإصلاحي التومرتي، وخصائص الثورات المعارضة للحكم، إلا أن دراسته هذه انحصرت حول إشكالات فلسفية واجتماعية، استفدنا منه خاصة في محور الجند ودور مصمودة في نشأة الكيان الموحدي كعصبية مؤثرة وإستراتيجية في المشروع التومرتي.

10- الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين لفتحي زغروت وهو من أهم المؤلفات التي تصب في دراستنا وفي الفترة محل الدراسة، حيث يعتبر نموذجا أولا اعتمت عليه، حيث يعالج معالجة تقنية تكتيكية للمؤسسة العسكرية في الدولتين في جل النواحي العسكرية، حتى يخيل إلينا أثناء قراءات متكررة له أنه لا فرق بين طرحنا وطرحه للموضوع المراد دراسته باعتباره خريج المدرسة العسكرية المصرية، لذلك طغت عليه المعالجة العسكرية التقنية حتى أنه جعلنا نحبس أنفاسنا في كل فكرة نريد معالجتها، نجده قد عالجها أو أشار إليها، إلا أن مطالعتنا للدراسات الحديثة وبعض المخطوطات العسكرية والمناهج الحديثة في الاستراتيجيات الحربية دفعنا إلى إعادة قراءة أطروحات فتحي زغروت في هذا الكتاب، وإضافة بعض النقائص التي نراها مهملة في طرحه، كما أنه اصطبغ

---

(1) الكتاب نشر عن طريق منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالرباط سنة 2009.

بالعسكرية وأهمل الدراسات التاريخية للمصادر وتحريكها، فكانت معلوماته مجرد إسقاطات على الجيش المرابطي والموحدي من خلال نظريات عسكرية حديثة.

11- **إستراتيجية القتال في سيرة بني هلال لروزلين ليلى قريش** وهي دراسة أدبية شملت بعض الاستراتيجيات القتالية التي اتصفت بها بعض القبائل الهلالية، وجاءت في قوالب أدبية، ولكن هذا لم يمنعنا من الاستفادة من إدراج هذه المواصفات القتالية عند العرب الهلالية وأدوارها في المؤسسة العسكرية للدولتين [1].

12- **مؤلفات الحرب النفسية:** وقد اعتمدنا على مجموعة من البحوث في هذا المجال كالحرب النفسية لمحمد منير حجاب، والحرب النفسية لأحمد نوفل وكذا علم النفس الحربي للعيسوي، هذه المؤلفات تعالج أهمية ونشأة هذا النوع من الحرب وخطورته وتطوره عبر التاريخ، فرغم أن هذه المؤلفات كانت ذات طرح حديث معاصر إلا أنها قدمت لنا صورا كثيرة عن هذا النوع من الحرب كانت لنا منطلق وتشجيع للبحث عن نماذج منها في حروب المرابطين والموحدين حيث قادتنا إلى نتائج هامة.

13- **الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط** وهو مجموعة من المقالات في كتاب قيّم [2] عالج مفهوم الصراعات المذهبية وأسسها وأعطى حيزا لا بأس به عن المذهبية المرابطية والموحدية سهلت لنا الولوج في المغامرة للإشارة على الأقل إلى هذا النوع من الحرب بين المرابطين والموحدين.

14- **كتب أجنبية مترجمة إلى اللغة العربية:** يأتي في مقدمتها **كتاب تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين للمؤلف الألماني يوسف أشباخ،** وقام بترجمته

(1) الكتاب نشر عن طريق ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

(2) الكتاب شمل عشر مقالات هامة لمجموعة من الباحثين جمعها ونسقها حسن حافظي علوي من منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2009.

محمد عبد الله عنان إلى العربية [1]، اعتمد فيه أشباخ على مصادر عربية وأجنبية واتبع فيه المنهج التحليلي والمقارن والوصفي ويتميز بالشمولية إلى حد كبير، لكنه يكثر من التاريخ السياسي الذي من خلاله زودنا بمجموعة من الأحداث التي تخص الجانب العسكري والاستراتيجيات وأنواع الأسلحة البرية والبحرية وأماكن صنعها، وما يعاب عليه هو أنه لا يسند معلوماته إلى مصادرها بالحواشي إلا في أحيان نادرة، وتعاملنا معه بحذر خاصة في الصراعات الحضارية، لأنه ضم معلومات هامة حول دعوة المرابطين والموحدين وأيديولوجيتهما والمواجهات النصرانية المرابطية الموحدية.

15- أما الكتاب الثاني هو **كتاب التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية لأمبروسيو هويثي ميراند** قام بترجمته إلى العربية عبد الواحد أكمير [2] ومؤلف الكتاب من جيل المستعربين الأسبان ولد سنة 1880 وتوفي سنة 1973 في قرية أواتي Houate حيث وضع ميراند اثنا عشرة فصلا اعتمد فيها على التسلسل الكرونولوجي بحكم الطابع السياسي للكتاب، حيث اهتم كل فصل بالأحداث السياسية والعسكرية في العهد الموحدي فمن خلال هذه الأحداث استنتجنا العديد من الاستراتيجيات البرية والبحرية والمذهبية ومكنه اطلاعه ومعرفته باللغات كالعربية والعبرية والإسبانية والفرنسية والبرتغالية والإنجليزية والألمانية وهذا ما جعله يتميز عن المؤرخين العرب والأسبان المهتمين بتاريخ الأندلس، أما الكتاب الثالث فهو **حركة الموحدين في المغرب في القرنين 12 و13 لروجي لي تورنو** قام بترجمته أمين الطيبي [3] وهو عبارة عن محاضرات ألقيت في جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية تناول فيها نشأة الحركة الموحدية وعمليات البناء وأسباب السقوط، واعتمد على المصادر العربية المتوفرة واتبع أسلوب التحليل والتعليق والتحليل العلمي لعدة قضايا في الحركة

(1) الكتاب في جزأين طبع في القاهرة سنة 1941، ثم أعيد طبعهما في مجلد واحد بالقاهرة سنة 1958.
(2) هو أستاذ التعليم العالي بكلية العلوم الإنسانية بالرباط، وتم طبعه بمنشورات الزمن بالدار البيضاء سنة 2004.
(3) صدر هذا الكتاب من طرف الدار العربية للكتاب ليبيا- تونس 1982، وهي النسخة التي اعتمدنا عليها.

الموحدية، وقد أمدنا بمعارف حول الدولة بنينا عليها عدة معطيات حول المشروع التومرتي ومعارضيه واستراتيجية قمع الثورات ودور المصامدة ونكسة العقاب.

16- **قيام دولة المرابطين لحسن أحمد محمود** عالج الأسس التي قامت عليها الدولة المرابطية ودورها في الأندلس سياسيا وعسكريا، وهي دراسة ذات قيمة علمية تاريخية هامة استفدنا منها في عرضه النظم الحربية وأساليب القتال عند المرابطين التي وظفناها في محاور هذا البحث.

17- **البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط الغربي من القرن 6-8هـ/12-14م للباحث المبروك غنية الأسطي** وهي عبارة عن رسالة دكتوراه في جزأين [1] يتعرض فيها إلى عوامل قيام البحرية بالمغرب والأندلس والسفن وأنواعها وكذا الأسلحة وتقنيات التدريب البحري والملاحة، وأن الفترة المدروسة قد بدأت بالموحدين حسب الفترة الزمنية المدروسة للباحث فإنه أعطى لنا صورة عن الاستراتيجيات البحرية الموحدية في تطور الملاحة، ونلاحظ أنه يعتمد على الكم أكثر من التحليل ويعطي أمثلة عامة وليست خاصة بالدولة المعنية.

18- **Histoire du Maroc de Henri Terrasse**عبارة عن دراسة في جزأين حول تاريخ المغرب الأقصى عبر العصور وتطوره التاريخي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي لمجموعة من الفترات التي تعاقبت على المغرب، وقد خصص للمغرب المرابطي والموحدي حيزا هاما في دراسته، حيث تعرض إلى أصول ونشأة الدولتين ودور عبد الله بن ياسين ومحمد بن تومرت ويوسف بن تاشفين وعبد المؤمن بن علي وخلفائه في التطور

(1) الرسالة نوقشت في السنة الجامعية 1999-2000 بجامعة الحسن الثاني بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بعين الشق بالدار البيضاء.

السياسي والمذهبي والعسكري وتعرضه إلى المعارك المرابطية والموحدية ضد الممالك النصرانية [1].

19- دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي لعبد السلام الجعماطي [2]يعالج فترات القوة البحرية للمغرب الإسلامي وأهم المراسي وتفصيله لسفن المغرب الإسلامي التجارية والحربية، كما تطرق إلى معدات الملاحة وتقنياتها وأعطى أهمية في كتابه لدور ونشأة حرفيو البحر ومسارهم العملي واعتمد على مجموعة من المصادر والمراجع، كما أنه من بين الباحثين المختصين في تاريخ الملاحة البحرية ويظهر ذلك من خلال عنوان أطروحته في الدكتوراه المعنونة بالنقل والمواصلات بالأندلس خلال عصري الخلافة والطوائف، وكان من أهم المراجع التي استفدنا منها طوال فترات بحثنا في شقه البحري خاصة الأجهزة البحرية التراتبية وتقنيات الأسلحة وما يلاحظ عليه أن دراسته كانت عامة ويتم إسقاط الكثير من المعارف على الغرب الإسلامي مما يجعلنا لا نميز بين المشرق والمغرب وأوروبا، ولكن لا غنى للباحث في التاريخ البحري عنها.

---

(1) هذا الكتاب طبع في جزأين بالدار البيضاء سنة 1947 باللغة الفرنسية وهي النسخة التي اعتمدنا عليها ثم طبع في كتاب آخر لا يتجاوز مائة صفحة بنفس العنوان والمؤلف وهو اختصار للجزأين ولكنه اختصار مخل غير تفصيلي عبارة عن أفكار عامة لأحداث زمنية عبر تاريخ المغرب وقد اطلعنا على هذه النسخة.

(2) هي من المؤلفات الجديدة التي أثرت المكتبة العربية، نشرت بدار الكتب العلمية ببيروت لأول مرة سنة 2012 وهي دراسة جديدة بالنسبة للملاحة في المغرب الإسلامي عكس المشرق وأوروبا اللتان حظيتا بدراسة معتبرة في موضوع الملاحة عبر العصور التاريخية.

الفصل الأول الإعداد للحرب عند المرابطين والموحدين

الإعداد للحرب عند المرابطين و الموحدين:

قبل التطرق لكيفية الاعداد للحرب وجب أن نحدد مفهوم فن الحرب ومصطلح الإعداد أو التحضير، ففن الحرب يعني تطبيق القواعد ومنهجيات المواجهة الحربية وهو علم قائم بذاته يبحث في طريقة إجراء الحروب وفي التخطيط العسكري والمناورة وممارسة القيادة، وبعبارة أخرى هو فن الاستخدام العملي لجميع العلوم والمعارف والخبرات المتعلقة بالحرب، وينقسم إلى قسمين: الإستراتيجية التي تعني فن المواجهة بالوسائل الملائمة والسهر المستمر في تطوير الأسلحة وإعداد البلاد للحرب ومعرفة العدو ميدانيا وعسكريا واكتساب الأحلاف والأصدقاء، والتكتيك الذي يعني مجموع الإجراءات الهادفة لاستخدام القوات المقاتلة في ميدان المعركة بصورة ناجحة [1]أما مصطلح الإعداد فإذا عدنا إليه في المصادر اللغوية نجده يعني التحضير والتهيؤ لأمر ما[2]، ولكن خير من يوضحه هو القرآن الكريم،حيث يقول الله تعالى " وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم و آخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم و أنتم لا تظلمون "[3].فهذه الآية توضح أن إعداد القوة ليس حالة طارئة في الدولة الإسلامية، بل حالة دائمة، كما تبين ضرورة توظيف الجهد والاهتمام بالجيش وأدوات المعركة، سواء في

---

(1) سون تزو، فن الحرب، تقديم وتعليق أحمد ناصيف، ط1، دار الكتاب العربي، سوريا، 2010، ص 04، محمد صفا، المرجع السابق، ص 12.

(2) المنجد الأبجدي، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار المشرق، ط7، الجزائر، بيروت، 1989، ص 105.

(3) سورة الأنفال، الآية 60.

زمن الحرب أو السلم، وضرورة المساهمة في عملية الإعداد عن طريق الزكاة والإنفاق [1].

وإعداد الدولة للحرب هو عمل من أعمال الإستراتيجية العليا أو الشاملة بعيدة المدى، بحيث يشمل كل ما يمنح الدولة القدرة على ردع العدوان في أي لحظة، أو تحقيق النصر والصمود في الحرب طويلة الأمد والتقليل من الخسائر الاقتصادية والاجتماعية والمعنوية والعسكرية؛ أي تخطيط منسق لتحقيق غاية أو هدف استراتيجي[2].

إذن فالإعداد هو خطة ممنهجة وتخطيط مستمر وغير محدود، تشارك فيه جميع أجهزة الدولة تحت قيادة موحدة، وعلى أسس علمية تتماشى وإمكاناتها وتحويل الدولة من حالة السلم إلى حالة الحرب [3].

المبحث الأول: الإعداد المعنوي :

ما من شك فيه أن الإعداد المعنوي يعتبر دعامة أساسية لتحقيق النصر في المعركة وتعرّف الروح المعنوية في علم النفس بأنها الحالة النفسية للفرد في وقت معيّن وتحت تأثير ظروف معينة، فالفرد تحت هذه الظروف قد نجده شجاعا قويا ممتلئا

---

(1) أحمد علي إسماعيل، التعبئة العسكرية في صدر الإسلام والعهد النبوي، دار الشورى، ط1، بيروت، 1981، ص 461.

(2) محمد جمال الدين محفوظ، مدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط8، القاهرة، 1967، ص 344.

(3) إبراهيم إسماعيل كاخيا، القواعد الأساسية في إعداد الدولة للحرب، مجلة كلية خالد العسكرية، وزارة الدفاع، السعودية، عدد 91، 2007، ص 66.

بالحماسة وفي وقت آخر وتحت ظروف أخرى نجده متخاذلا فاقدا للنشاط، فحالة الفرد العقلية التي تحركه في هذا الوقت هي الروح المعنوية [1].

لذلك فالروح المعنوية هي الباعث على القتال والصمود ومصدر قوة فاعلة أثناء المعركة، فهي مستودع القوة والقدرة على مواجهة مشاكل ومشاق المعركة وأهوالها والتغلب عليها، والتصميم على إحراز النصر مهما كانت التكلفة، وهي القوة الخفية والكامنة في باطن الإنسان التي تكسبه القابلية على الاستمرار في العمل والتفكير بعقلانية وعزم [2].

فالجندي إذا دخل المعركة وهو محبط نفسيا فلن يحقق أية نتائج مرضية، ولن ينفعه السلاح الذي يحمله، وقد اهتم القادة المسلمون بالإعداد المعنوي اهتماما بالغا حتى أنهم كانوا يضعونه في مقدمة واجباتهم في الإعداد للمعركة، وهي سر نجاحهم [3]، أما شرف الدين الحنبلي فيركز على عامل الصبر الذي يعد من أقوى العوامل التي تحرز النصر، وهو جزء من الروح المعنوية [4].

---

(1) محمد جمال الدين محفوظ، المرجع السابق، ص 347.

(2) أبو حمو موسى الثاني الزياني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق محمود بوترعة، دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، الجزائر، 2012، ص 210، عبد الله بن فريح العقلا، إعداد الجندي المسلم أهدافه وأسسه، مكتبة الرشاد للنشر والتوزيع، ط1، السعودية، 2003، ص 342.

(3) طاهر حمد محمد النحال، القيادة والجندية في السنة النبوية، ماجستير الجامعة الإسلامية، غزة، 2007، ص 161، 162.

(4) مخطوط ابن الحنبلي شرف الدين، أسباب الظفر والانتصار، مكتبة تشستريتي، ضمن مجموع رقم 2673 من الورقة 76 إلى 84، إيرلندا، رقم 79.

لقد اهتمت المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين بهذا الجانب لما له من أهمية في تكوين واستعدادات الجيش وكسب المعركة، والمتتبع لمعارك هاتين الدولتين يجد أنهما قد اتبعتا عملية الشحن المعنوي للجيش، حيث أوكلت مهمة ذلك إلى فئات مؤثرة لعبت دورها المنوط بها، وهي فئة العلماء والفقهاء وطبقة الشعراء، وكذا التآليف والرسائل؛ التي لعبت دورا دعائيا وتعبويا للجهاد.

ونظرا لأهمية هذه الفئات فما الدور الذي قامت به في التعبئة المعنوية ؟.

أ- دور العلماء والفقهاء في التعبئة المعنوية في دولتي المرابطين والموحدين:

يعتبر التحريض على القتال نوعا من الجهاد، ومن أهم القضايا في المجتمع لأن أخطر ما يصيب الأمة هو الاسترخاء والركون إلى رغد الحياة، لأن هذه الطبقة من أدرى الناس وأخبرهم بفريضة الجهاد خاصة في الأندلس، لأنهم أولى الفئات في فهم وتفسير الآيات والأحاديث الواردة في الجهاد واستيعاب مدلولاتها [1].

والأمثلة عن ذلك كثيرة، حيث نجد اجتهادات وفتاوى ابن رشد الجد (ت. 520 هـ/1126م) الذي حكم في هدنة كانت معقودة مع نصارى قشتالة أيام المرابطين، من

(1) ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، ط1، القاهرة، ج1، 1992، ص 124، محمود محمد أبو ندى، الدور الجهادي للعلماء في الأندلس 422-609هـ/1031-1212م، بحث تكميلي لمتطلبات الماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص 65، محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين أبا الخيل، جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين 483-640هـ/1090-1242م، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، ط1، السعودية، 1998، ص 245.

حيث سريان مفعولها بعد غارة نصرانية على الأندلس، فقد ساهم بفتواه هذه في تحريك السلطة وقبولها لها [1].

كما لعب أبو بكر بن العربي (ت. 543 هـ/1148م) دورا هاما في شحن الهمم للجهاد بعد الهجوم النصراني القشتالي على الأندلس عام 527 هـ/ 1133م [2]، حيث هاله وأحزنه هذا الهجوم وراح بحماس فياض يدعو ويشحن الهمم للتصدي للنصارى ويقترح تدابيرا لإحباط هذا الهجوم، ولكنه خيبت أماله ولم يجد آذانا صاغية [3].

(1) مفاد الفتوى أنه بعد الغارة النصرانية التي حدثت في عهد أبى الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين على قرطبة سنة 518 هـ /1124م أن تجارا قشتاليين أتوا بتجارتهم إلى قرطبة أثناء الغارة، حيث أفتى ابن رشد فقال: " وإن كان التجار من أهل طليطلة خرجوا منها بعد أن أغارت سيرتهم على بلاد المسلمين فأسرت الرجال وأخذت الأموال فلا عهد لهم ... فالواجب أن يرهنوا هم وما معهم من الأموال فيما أخذت السرية الخارجة من عندهم من أسرى المسلمين وأموالهم حتى يصرفوا ذلك إليهم، فإن أجابوا إلى ذلك وفعلوه بقيت الهدنة على ما كانت عليه وإن أبوا ذلك انتقضت وعادت خربا وكان التجار المرتهنون أسرى المسلمين وأموالهم فيئا لهم " (أنظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، ط3، بيروت، د.ت، ج4، ص 73، ابن رشد أبا الوليد القرطبي، فتاوى ابن رشد، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ج3، ص 1423، 1424، 1425.

(2) ابن القطان المراكشي، نظم الجمان، تحقيق محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1990، ص 229، ابن عذارى، المصدر السابق، ص 88، محمود محمد أبو الندى، المرجع السابق، ص 248.

(3) يورد ابن العربي الكثير من الآيات التي تحض على الجهاد وبين خطورة وانعكاسات التقاعس عنه ويحث على ضرورة النصر والذود عن الديار وقتال الكفار ويبرز فضل الجهاد والدعوة للنفير العام وفضل القتال في الصف الأول، أنظر: ابن العربي محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، تعليق محمد عبد القادر عطا، منشورات دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 2002، القسم الثاني، ص 102، 103، 153، 301، 511، أنظر كذلك: القرطبي أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام سمير البحاري، دار عالم الكتب، ط1، الرياض، 2003، ج8، ص 152.

كما ساهم أبو محمد بن عطية (ت. 541هـ /1147م) في إثارة حماسة المسلمين وإرهاب عدوهم وقت القتال، حيث ألح على ضرورة رفع الأصوات خاصة الصوت المرهب للعدو [1].

لقد تنبه علماء الأندلس لطبيعة الصراع العقائدي وخطورته، فاستنجدوا بالجيش المرابطي وعملوا على ضرورة إقناعهم بفرض الجهاد، مثل العالم الفيلسوف أبو الوليد الباجي، الذي سافر إلى بلاد المغرب والتقى بيوسف بن تاشفين يطلب منه المجيء للدفاع عن الإمارات الأندلسية من التحرشات النصرانية [2].

كما ساهم العالم محمد بن أيمن [3]، برسائله إلى يعقوب يوسف بن تاشفين لتحريضه على الجهاد قائلا: " لما كان نور الهدى – أيدك الله – دليلك وسبيل الخير سبيلك... ووقفت على الجهاد عزائمك وصح العلم بأنك لدعوة الإسلام أعز ناصر وعلى

(1) ابن بشكوال أبا القاسم خلف، كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، المجلد الأول، 2003، ص 94 ، محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين أبا الخيل، المرجع السابق، ص 253، 254.

(2) ابن الأبار أبو عبد الله القضاعي، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربية، القاهرة، ج2، 1963، ص 98، الحميري عبد المنعم، صفة جزيرة الأندلس، دار الجيل، ط2، 1988، ص87، ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط، نصان جديدان، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1981، ص 90، محمد محمد أبو الندى، المرجع السابق، ص 75.

(3) هو محمد بن أيمن بن خالد بن أيمن الأنصاري، يكنى أبا عبد الله من مدينة بطليوس، كان أعجوبة الدهر وفريد العصر امتهن الكتابة والوزارة (أنظر: ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، قسم 2، المجلد الثاني، 1997، ص 652، ابن الأبار القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، نشره عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، مكتبة المثنى، القاهرة، بغداد، ج1، 1956، ص 323، ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط1، مصر، ، ج1، 1964، ص 366).

غزو الشرك أقدر قادر، وجب أن تُستدعي لما أعضل من الداء وتستغاث لما أحاط بالجزيرة من البلاء " [1].

كما حث أبو بكر الطرطوشي برسالة بعث بها إلى يوسف بن تاشفين على الجهاد والتصدي لأعداء الإسلام في الأندلس، كل هذا دلالة على أن العلماء مثلوا قوة التفكير الحية والضمير الذي ينادي الحكام للذود عن الإسلام والمسلمين [2].

وفي جانب آخر نجد ان العلماء والفقهاء عملوا على شحن همم الجند للقتال قبل وأثناء المعركة لرفع المعنويات والحماسة، وانحصر دورهم في وعظ الجيش، حيث يقول الحميري: " يعظون الناس ويحظونهم على الصبر ويحذرونهم الفرار " [3].

وكان الحكام يطلبون من العلماء والخطباء تحميس الجنود على الجهاد وغرسه في نفوسهم، فظهر – كما يقول المراكشي في معجبه – أن من الجنود من صدقت نيته وحرص على الجهاد وسر بطلب الشهادة [4].

ففي معركة الأرك 591 هـ/1195م قام القائد العام الوزير الشيخ أبو يحي بحث المسلمين على الصبر والثبات ويسألهم بصوت عالٍ أن يستغفروا ويتغافروا فيما بينهم وأن يخلصوا نياتهم لله تعالى، كما ألقى القاضي أبو علي بن حجام خطبة بليغة تفيض حماسة

---

(1) ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ص 653، 654.

(2) محمود محمد أبو الندى، المرجع السابق، ص 76، 79.

(3) الحميري، المصدر السابق، ص 90.

(4) المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق أحمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1963، ج1، ص 194، الحنبلي شرف الدين، المصدر السابق، ورقة 82.

وبيانا في الحث على الجهاد وفضله ومكانته وقدره عند الله، وكان لهذه الخطبة آثارا في إنعاش النفوس وتنبيه الضمائر وتنقية السرائر وإذكاء العزائم والتسابق للشهادة (1).

وفي موقعة السبيكة 557هـ/1165م جمع الفقيه أبو يعقوب قادة الجيش حيث وعظهم بعظم الجهاد وأجره عند الله، كما أمر يوسف بن يعقوب بضرورة جمع الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على الجهاد وإلقائها على الجند (2).

ومن الوسائل التي استخدمها العلماء لرفع الروح المعنوية للجيش اصطناع رؤيا وتفسيرها، وكان الهدف منها تقوية العزائم ليس إلا، وهو أمر مشروع في الحرب، من ذلك رؤية الفقيه الناسك أحمد بن رميلة (3)، وكذا رؤية يعقوب بن يوسف قبل معركة الأرك 591هـ /1195م، حيث كان الغرض من كل هذا رفع النفسيات والمعنويات (4).

---

(1) هشام أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان، ط1، نابلس، فلسطين، 1984، ص 263.

(2) المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص 288، محمود محمد أبو الندى، المرجع السابق، ص 89.

(3) هو أحمد بن محمد بن فرج الأنصاري، يعرف بابن رميلة يكنى أبا العباس من قرطبة، استشهد في معركة الزلاقة، ومفاد الرؤيا أنه رأى النبي عليه الصلاة والسلام يبشره بالنصر والشهادة فاستيقظ فرحا مسرورا ودهن رأسه وتطيب ولما علم المعتمد بهذا الخبر بعث به إلى يوسف بن تاشفين ونشره على الجنود لتقوية روحهم المعنوية، أنظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 71، الحميري، المصدر السابق، ص 91.

(4) حيث رأى الخليفة بابا فتح عليه من السماء ونزل منه فارس أبيض حسن الوجه والرائحة وبيده راية خضراء فسلم عليه وبشره بالنصر والفتح، أنظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 255.

وكان بعض العلماء يُصطحبون مع الجيش لشحن هممه أثناء المعركة أي المشاركة الميدانية، من ذلك الفقيه أبو عبد الله بن حمدين في معركة طلبيرة سنة 503هـ /1110م، نجده يتقدم صفوف الجنود يدعوهم للتضحية والبذل والاستشهاد (1).

وفي معركة أنيشة (565 هـ/ 1169م)(2)، كان الفقيه أبو سليمان الكلاعي(3) يحرض المجاهدين على القتال وينادي أمن الجنة تفرون، والراية في يده فسقط شهيدا(4)، وفي معركة حصن العقاب 609 هـ/1212م، شحن الفقيه محمد بن حسن همم الجيش الموحدي (5)، كما استغل العلماء الانتصارات في المعارك ووظفوها من أجل تقوية المعنويات ورفعها، مثل انتصار الزلاقة، حيث حاول العلماء توزيعها لزرع الثقة في نفوس الأندلسيين وطرد اليأس والخمول والهوان، من ذلك ما قاله أبو عبيد البكري يصف انتصار الزلاقة: " فتوح أضحكت مبسم الدهر وسفرت عن صفحة البشر وردت ماضي العمر وثنت آمال الشرك كذبا شملت النعمة وجبرت الأمة وجلت الغمة وشفت الملة وكشفت العلة " (6).

---

(1) محمود محمد أبو الندى، المرجع السابق، ص 92.

(2) أنيشة: هو موضع على مقربة من بلنسية، أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 32.

(3) هو أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي من أهل بلنسية وقاضيها، مصنف كتاب الاكتفاء في سير النبي والثلاثة الخلفاء، أنظر: الحميري، المصدر نفسه، ص 32، النباهي المالقي، تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1980، ص 119، ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج2، ص 316.

(4) النباهي لمالقي، المصدر السابق، ص 119.

(5) هو محمد بن حسن بن الأنصاري المالقي من كبار علماء الأندلس، أنظر: النباهي المالقي، المصدر نفسه، ص 115.

(6) ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ص236، محمود محمد أبو الندى، ص 95.

كما كتب الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد البر إلى سكان إشبيلية مبشرا بالنصر حيث يقول: " وكان يوما لم يسمع بمثله من يوم اليرموك والقادسية فياله من فتح ما كان أعظمه ويوم كبير ما كان أكرمه، فيوم الزلاقة ثبت قدم الدين بعد زلافها " [1].

وقد قزّم ابن قصيرة [2]، حشود النصارى في الزلاقة، حيث يقول: " قد تحصنوا بالحديد من قرونهم إلى أقدامهم " [3]، لكن هذه المظاهر كلها زائفة اصطدمت بصبر وثبات المرابطين، فولوا الأدبار وانهزموا، فلم ينفعهم حديدهم ولا تدبيرهم ولا آلاتهم.

كما أن استشهاد العلماء في ساحة المعركة أعطى للجيش والعامة دفعا قويا وحماسا منقطع النظير في تقوية العزائم وحب الشهادة، لأنهم يدركون أن الجهاد واجب وتضحية لحماية الدين والذود عنه، حيث شارك العلماء في معظم المعارك التي دارت رحاها على أرض الأندلس، فلا نجد معركة تخلو من عالم شهيد [4].

إلا أن مشاركة الفقهاء لم تقف عند التوعية والتحفيز بل سجلت المصادر انخراط بعضهم في الصفوف المقاتلة مثل أبا بكر بن ببيش الأندي الذي توجه غازيا سنة 580

---

(1) مؤلف مجهول، لحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وآخرون، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1979، ص 66، ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 234.

(2) هو محمد بن سليمان الكلاعي الكاتب، يكنى أبا بكر ويعرف بابن قصيرة، من إشبيلية ت 508 هـ / 1115 م، ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 445.

(3) ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ص 244، محمود محمد أبو الندى، المرجع السابق، ص 96.

(4) منهم على سبيل المثال لا الحصر: الجزولي، الصدفي، محمد بن يحي بن زكريا، عبد الله بن علي بن سمحون، أنظر: منيرة بنت عبد الرحمان، علماء الأندلس في القرنين 4 و 5 هـ، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض، 2002، ص 284، عبد القادر علي أحمد الدرة، العلماء الشهداء في الأندلس 400-897هـ/1009-1492م، بحث تكميلي لمتطلبات الماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009، ص 212.

هـ/1184م في جيش الخليفة يوسف بن عبد المؤمن إلى شنترين وتوفي في المعركة [1].

ب- الدعاية للجهاد وتقوية الروح المعنوية من خلال التآليف الحربية والرسائل:

تعتبر التآليف والكتب من أهم عناصر الدعاية وتقوية الجانب الروحي وتهيئة الفرد للجهاد، فهي تكشف عن ضرورة الاستعداد والقتال واليقظة وحماية الدين والدفاع عنه، ثم أن الجهاد له منزلة خاصة في العقيدة الإسلامية التي رفعت من مكانة الشهيد والمجاهد عن القاعدين، لذلك عمد الفقهاء إلى ترغيب العامة في الجهاد، لأنه مصدر بقائها [2].

ولقد كانت التآليف عنصرا مهما في تكوين الشخصية الجهادية لدى المؤسسة المرابطية والموحدية على وجه الخصوص، ومن أهم هذه التآليف القيمة التي جاءت بتشجيع من السلطة، نجد كتاب الإنجاد في أبواب الجهاد لأبي عبد الله المعروف بابن المناصف [3]، الذي ألفه باقتراح من أمير بلنسية أبا عبد الله محمد بن أبي حفص عمر

(1) لخضر بولطيف، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 2009، ص 226.

(2) سعيد بن علي القحطاني، الجهاد في سبيل الله فضله ومراتبه وأسباب النصر على الأعداء، الرياض، 1411 هـ، ص 11.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي المعروف بابن المناصف، تولى خطة المظالم في قرطبة، ثم قضاء الجماعة مدة طويلة، ثم ولي الصلاة بجامع قرطبة وأقبل على التدريس وإسماع الحديث، توفي في رمضان 536 هـ/1142م ، أنظر: ترجمته في الظبي أحمد بن يحي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري،دار الكتاب المصري، ط1، القاهرة، 1989، ص 61، 62، ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج1، ص 163، أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله

بن عبد المؤمن الموحدي، الذي ولّي الإمارة سنة 607 هـ/1210م من قبل الخليفة محمد الناصر، وهذا العمل من دأب الخلفاء الموحدين الذين يسمعون الناس أحاديثا في الجهاد، ويعملون على بث روح الجهاد في نفوس الناس، وهذا ما ترجمه ابن المناصف في كتابه الإنجاد في أبواب الجهاد، الذي ألّفه سنة 608هـ/1211م بمدينة بلنسية عندما كان قاضيا بها [(1)]، ولهذا الكتاب قيمة علمية كبيرة، فهو يعد مرجعا مهما لقانون الجهاد وآدابه، حيث يحتوي على أحكام فقهية وخلاصات فكرية وأعمال توجيهية ويشمل جوانب التعامل مع العدو للدفاع عن النفس والدين، قسّم إلى عشرة أبواب كلها لأوجه وأحكام الجهاد [(2)].

ونحن هنا لسنا بصدد دراسة المؤلف وإنما الإشارة إليه وتبيان أهميته في تثقيف وإبراز مكانة الجهاد في الإسلام وتحريك معنويات الناس به، وبناء الفرد بناء روحيا وفقهيا وفكريا أي علما ودعوة وعملا، ويطرد عنه عقدة الخوف.

وعموما فإن هذا النوع من التآليف ينبه المسلمين الموحدين في تلك الفترة إلى الخطر الذي يستهدف عقيدتهم ويهدد وجودهم، وتنهض هذه التآليف الناس من غفوتهم

الهرامة، منشورات كلية الدعوية الإسلامية، ط1، طرابلس، 1989، ص 379، أبو الحسن الرعيني الإشبيلي، برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق إبراهيم شبوح، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1962، ص 128.

(1) ابن المناصف، الإنجاد في أبواب الجهاد، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان ومحمد بن زكريا أبو غازي ، مؤسسة الريان، دار الإمام مالك، ط1، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2005، ص 15، لخضر بولطيف المرجع السابق ص 226.

(2) كتاب الإنجاد في أبواب الجهاد – حسب علمنا وما وصلت إليه أيدينا– أنه حقق مرتين من طرف باحثين، واعتمدنا في بحثنا على النسختين المحققتين، النسخة الأولى محققة من طرف مشهور بن حسن آل سلمان ومحمد بن زكريا أبو غازي، نشر من طرف مؤسسة الريان بأبوظبي سنة 2005 يحتوي على 684 صفحة، والنسخة الثانية محققة من طرف قاسم عزيز الوزاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، يحتوي على 486 صفحة.

وكبوتهم، فسيطرت النزعة الدينية في هذا المؤلف، فقد اقتبس الكثير من القرآن كمصدر للتأكيد على أهمية الجهاد من أجل تعبئة النفوس له [1].

كما صنف الفقيه أبو عمرو السكوني (ت. 646 هـ/1248م) [2] رسائل ذات صلة بموضوع الجهاد، تناولت صنعة ركوب الخيل وتدبير الحروب وتعليم الثقاف والرمي[3].

ووضع أبو بكر بن المرخي (ت. 615 هـ/1218م) [4] كتابا عن الخيل سماه بغية المرتبط ودرة الملتقط، فكانت مادته العلمية التي حواها من أنبل الموضوعات وأعظمها فائدة [5]، وألّف أبو الحسن بن القطان بن خلصة (ت. 628 هـ/1231م) كتابا حول أسماء الخيل وأنسابها وأخبارها [6].

هذا بالنسبة لبعض المؤلفات للعصر الموحدي، أما في العصر المرابطي فلا نجد منها الشيء الكثير، لأن فقهاء المرابطين تمسكوا بفروع الفقه أكثر من تمسكهم بالقرآن والسنّة فجمد الفكر وعجز الفقهاء عن استنباط الأحكام الشرعية المستجدة [1]، إلا أننا من

---

(1) أحمد الدسوقي إسماعيل، التعبئة الإعلامية في الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1403-1404 هـ، ص 62، 69.

(2) هو محمد بن أحمد بن خليل السكوني، من مدينة لبيّ إشبيلي المنشأ، كان فقيها حافظا، نبغ في فنون العلم ، أنظر: ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1965، ج5، ص 636، صلاح الدين خليل الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار الإحياء والتراث العربي، ط1، بيروت، 2000، ج2، ص 85.

(3) لخضر بولطيف، المرجع السابق، ص 227.

(4)هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الملك اللخمي الإشبيلي، كاتبا وعارفا باللغات (أنظر: أبو الحسن الرعيني الإشبيلي، المصدر السابق، ص 96، 97).

(5) ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج6، ص 488.

(6) نفسه، ج8، ص 167.

(1) ابن المناصف، المصدر السابق، ص 15.

خلال قراءتنا للمصادر المرابطية نجد مثالين يمكن تقديمهما كتصانيف أثرت المفهوم العسكري وأضافت بعض الاستراتيجيات العسكرية لدى المؤسسة العسكرية المرابطية أولهما:

-تصنيف المرادي [2] لكتابه الموسوم بـ: كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، والذي يطرح فيه مفهوم السلطة عند المرابطين وكيفية المحافظة عليها، وقسمه إلى ثلاثين بابا، ضم الكثير من المسائل في الاستشارة وأقسام السلاطين، كالقراءة والتعلم والحكم والآداب والكلام والصمت، وخصص جزءا منه لدراسة فن وتكتيك الحروب عن طريق مجموعة من النصائح كباب في الحرب والمسالمة، وآخر في الحيلة والمكر والخديعة، وآخر في الشجاعة والجبن [3]، حيث يقدم لنا استراتيجيات مختلفة في الفن الحربي كوجوب معاملة العدو باللين والمسالمة في بداية الأمر، وإن فشلت استخدم الكيد والحيلة وتشتيت الأصحاب، كما ركز على الصلح، حيث يقول: " فوجب عند كثرة الأعداء أن تصالح بعضهم واطمع بعضهم في صلحك واستقبل بعضهم لحزبك " [1].

(2) هو محمد بن الحسن يكنى أبا بكر ويعرف بالمرادي نسبة إلى قبيلة مراد التي كانت تستوطن في حضرموت، نبغ في علم الاعتقادات والأصول والشعر عالما بالفقه، ولد في النصف الأول من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي أيام المعز بن باديس رابع أمراء الدولة الزيرية توفي سنة 489 هـ/1069م، أنظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، مجلد 2، ص 269، 270، محمد لمين بلغيث، النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 33، 41.

(3) محمد بن الحسن المرادي، كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيري، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003، ص 60-62.

(1) نفسه، ص 61.

كما ركز على ضرورة بث العيون وحفر الخنادق والتحصين واستعمال الحيل في الحروب، كالدهاء والذكاء (2)، ولعل النقطة التي ركز عليها المرادي في كتابه هي نقطة تعدد الأجناس في الجيش للقضاء على الخيانة وعدم الاجتماع في الرأي كجزء لا يتهيأ فيها الاتفاق على رأي واحد.

يبدو أن هذه الاستراتيجيات الحربية الهامة قد طبقت في المؤسسة العسكرية المرابطية، وتظهر معالم نظرية المرادي في واقع الدولة المرابطية التي تأثرت بهذا المصنف وطبقته، ونجد ذلك في مسألة الجند وتعدد العصبيات، التي أقرها يوسف بن تاشفين والتي جسدت أحسن تجسيد، فقد ضم الجيش البربر، العرب، الأندلسيين الكتائب المسيحية.. (3).

لقد كان كتاب السياسة من أهم التصانيف الحربية والسياسية التي حركت المؤسسة العسكرية المرابطية وجعلتها أكثر علمية في أساليبها فاتخذت منه برنامجا تسير عليه لتحقيق أهدافها، خاصة أنه ينطلق من الواقع، ويظهر ذلك في الكثير من الجوانب التي نستشفها في معاركهم وحروبهم، لذلك ساهم في تفعيل وتنشيط الجيش المرابطي وجعله أكثر صرامة وعلمية.

- محمد بن الوليد الطرطوشي (1): الذي يعتبر تأليفه الموسوم بسراج الملوك نموذجا يمكن توظيفه كعامل مساهم في حركية المؤسسة العسكرية المرابطية فرغم أن تأليف

---

(2) نفسه، ص 65.

(3) محمد لمين بلغيث، المرجع السابق، ص 56، 59، 60.

(1) هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهر المعروف بابن أبي رندقة، ولد سنة 450 هـ /1058م في طرطوشة رحل إلى المشرق سنة 476 هـ/1073م في رحلة علمية، ثم استقر بالإسكندرية وفيها ألف كتابه سراج الملوك، الذي اخترناه كنموذج في التآليف الحربية، توفي سنة 520 هـ1126م بالإسكندرية، له عدة مؤلفات مثل: بر الوالدين، الفتن، الحوادث والبدع، أنظر: الضبي، المصدر السابق، ص 175-179، ابن بشكوال،

الكتاب كان في الإسكندرية وعاصر الفترة المرابطية، فلم يكن بعد المؤلف حائلا دون وصول أفكاره وكتابه إلى الأندلس، خاصة أمام حركة هجرة العلماء والفقهاء من الأندلس إلى المشرق والعكس بالعكس، فالمؤكد أن المرابطين قد وصلهم صيت كتاب سراج الملوك وتأثروا بما جاء فيه وعلى وجه الخصوص جانب التنظير العسكري، خاصة وأنه انطلق من الواقع الأندلسي وأعطى منه أمثلة كثيرة.

فما هو المشروع العسكري التنظيري الذي جاء به الطرطوشي ؟

يضع الطرطوشي خطة حربية تصلح لإحراز النصر، وهي أن يتشكل الجيش من القلب ومن الجناحين الذين يشكلان الميمنة والميسرة، ومن المقدمة وفيها الرجالة وخلفهم الرماة وبعدهم الخيل وهي قلب الجيش.

فيما يخص القلب يوصي الطرطوشي بأن يكون حماة الرجال وكماة الأبطال في القلب وعلى جانبيه يوجد الجناحان، وقد شبه قوة الجيش بطائر بقوله: " إذا انكسر إحدى جناحيه يرجى عوده ولو بعد حين وإن انكسر الرأس ذهب الجناحان ولا تحصي كثرة انكسار جناحي العسكر وثبات القلب، ثم يرجع الفارون إلى القلب ويكون الظفر لهم، وقل عسكر انكسر قلبه فأفلح أو تراجع " [1].

المصدر السابق، ج2، ص 449، 450، ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج2، ص 424، خير الدين الزركلي، الأعلام ، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 2002، ج7 ص 133، 134، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994، مجلد 4 ص 262-264.

(1) أبو بكر الطرطوشي، سراج الملوك، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1994، ص 678، 684، 689، نعيمة منى، أدب المحاضرات في الأندلس خلال القرن السادس، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1999-2000، ج2، ص 329.

ويعلل سر قوة الجيش في القلب بقوله: " مهما انكسر الجناحان فالعيون ناظرة إلى القلب فإذا راياته تخفق وطبوله تضرب كانت حصنا للجناحين يأوي إليه كل منهزم وإذا انكسر القلب تمزق الجناحان " (2).

أما عمليات الاستيلاء على المدن فيقدم لنا الطرطوشي إستراتيجية إذا طُبقت كان النصر هو النتيجة، وقد ذكرها في سياق خبر حصار ملك الروم لصقلية على لسان هذا الملك موجها الخطاب لقواد جيشه، حيث يقول: " إذا أردتم مدينة صقلية خذوا ما حولها من الحصون والمدن الصغار والضياع والقرى حتى إذا ضعفت أخذتموها " (3)، فهذا تدبير حسن لأن المدينة المحاصرة إذا انقطع عنها المدد قل زادها وضاق الناس ذرعا بالحصار وقلة المؤن والغذاء، فإما أن يستسلموا أو يقهروا.

أما في مجال الحيل والخدع والمكائد فقد فصّل فيها الطرطوشي، منها دس الجواسيس، حيث يقول: " أن ينشئ السلطان على ألسنتهم كتبا مدلسة إليه ويبثها في عسكره ويكتب على السهام أخبارا مزورة ويرمي بها في جيوشهم " (4).

كما ركز على الكمناء وجعل منهم ركيزة الحرب، ويلخص كل هذه الحيل فيما يلي: " واعلموا أن من أحزم مكائد الحرب إذكاء العيون واستطلاع الأخبار وإفشاء الغلبة وإظهار السرور وإبانة الحذر والاحتراس من العدو وأن لا تخرج هاربا إلى قتال ولا تضيق أمانا عن مستأمن " (1).

---

(2) أبو بكر الطرطوشي، المصدر السابق، ص 684، أبو حمو موسى الزياني، المصدر السابق، ص 212، العباسي الحسن بن عبد الله، آثار الأول في تدبير الدول، تحقيق عبد الرحمان عميرة، دار الجيل، ط1، بيروت، 1989، ص 339.

(3) الطرطوشي، المصدر السابق، ص 701.

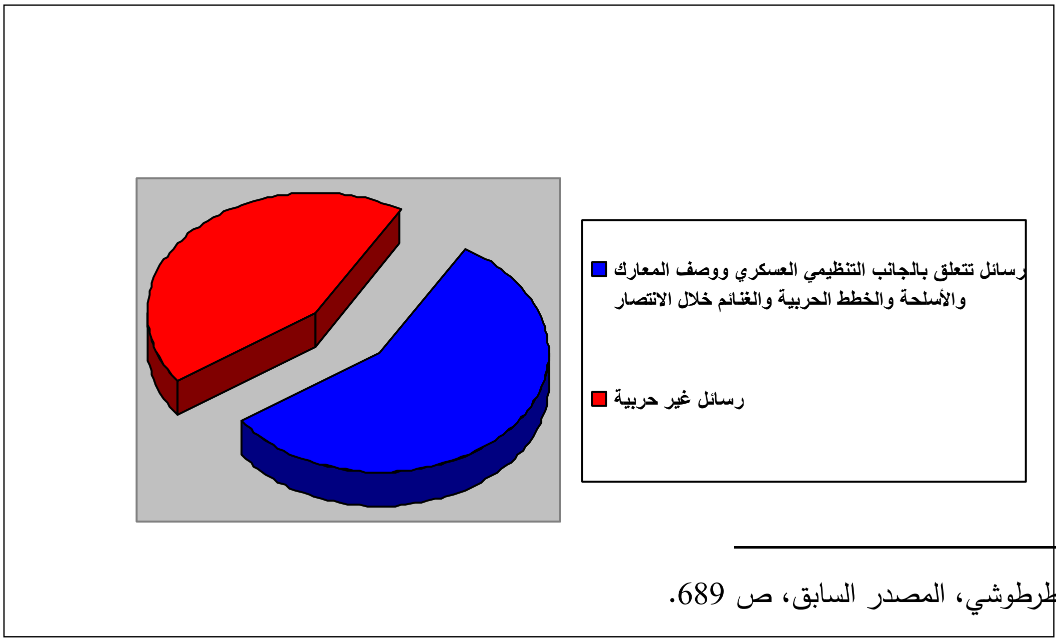
(4) المصدر نفسه، ص 681.

(1 نفسه، ص 704، نعيمة منى، المرجع السابق، ص 333.

وعموما يلخص الطرطوشي الحرب في قوله: " الحرب أولها الكلام وآخرها الحمام، الحرب مرة المذاق إذا قلصت عن ساق من صبر فيها عرف ومن ضعف عنها تلف جسم الحرب الشجاعة وقلبها التدبير وعينها الحذر وجناحها الطاعة ولسانها المكيدة وقائدها الرفق وسائقها النصر " [2].

إن هذه الأطروحات الحربية التنظيرية الطرطوشية تأثر بها المرابطون– حسب اعتقادنا– عن طريق الأندلسيين الذين انخرطوا في جيشهم المرابطي خاصة القادة منهم الذين أثبتوا براعة تخطيطهم وحيلهم وشجاعتهم وتدبيرهم في عدة معارك قادوها مع المرابطين مثل الزلاقة التي كانت بطرح تكتيكي أندلسي محض، فانصهار الأندلسيين في الجيش المرابطي واحتكاك المرابطين بهم ولّد نخبة عسكرية تقنية زاوجت بين موروثها الحربي الصحراوي وبين الأصالة العسكرية الأندلسية التي تواكب التطورات حين ذاك.

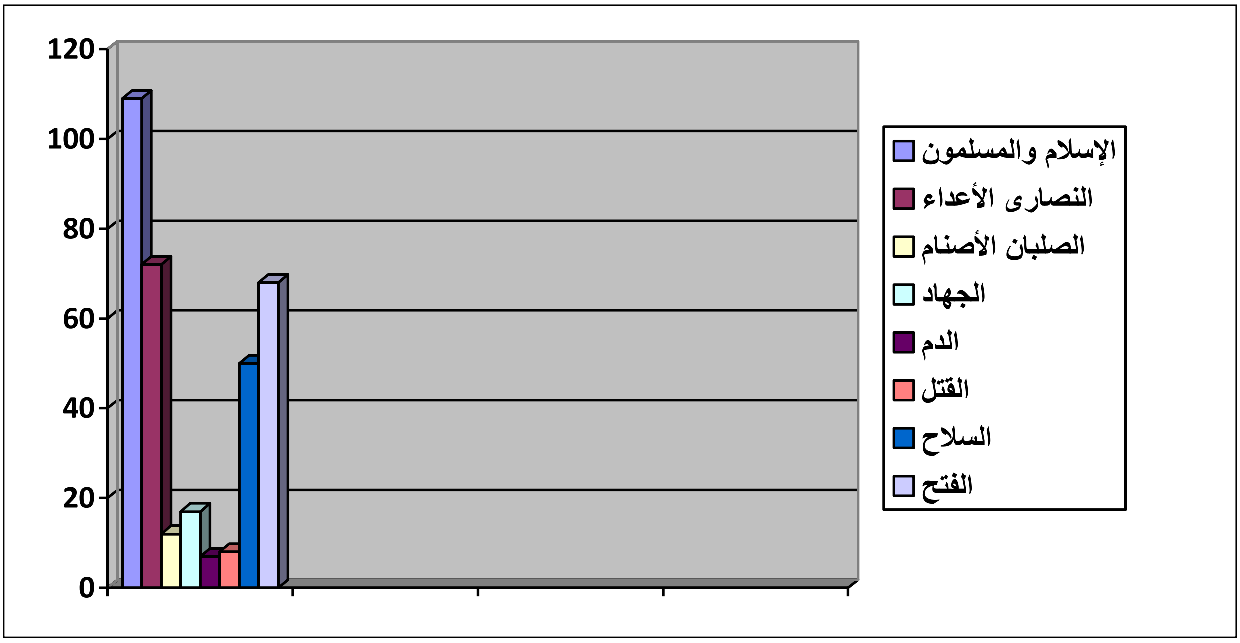
أما الرسائل فقامت بدور إعلامي كبير في تهيئة العامة والجيش تهيئة معنوية في العصر المرابطي والموحدي، ويمكن توضيح ذلك عن طريق الرسم التخطيطي الآتي:



(2) الطرطوشي، المصدر السابق، ص 689.

هذه بعض الإحصائيات التي يمكن أن نستنتجها من خلال مجموعة الرسائل الموحدية للباحث ليفي بروفنسال، والتي بلغت 37 رسالة منها 21 رسالة ذات أخبار عسكرية، حيث شكلت هذه الرسائل وسائل التواصل بين السلطة والرعية[1].

أما الرسائل في العصر المرابطي هي الأخرى شكلت حيزا للجانب العسكري الإخباري، والذي كان موجها للجيش والعامة قصد الاستعداد للحرب وشحن الهمم والنفوس لها، ويظهر ذلك من خلال الرسم التخطيطي الآتي:



أعمدة بيانية توضح لإحصائية بالكلمات الدالة على الخطاب الحربي في الرسائل المرابطية

(1) أنظر: مجموع رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941، صباح عويناتي، النظام العسكري الموحدي من 515-609هـ/ 1121-1212م، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2004-2005، ص 04، 05.

نلاحظ أن كلمات الدم والقتل والسلاح والإسلام والنصارى والجهاد أخذت حيزا كبيرا في بنية هذه الرسائل، بينما تعبّر كلمات الدم والقتل والسلاح على شكل المقاومة السائدة، أما كلمات الإسلام والشرك والصلبان والجهاد تدل على مضمون هذا الصراع وطابعه ضد الكيان المسيحي الصليبي[1].

ج- دور الشعر في إذكاء الحماسة الحربية عند المرابطين والموحدين.

لا يجب أن نغفل عن دور وأهمية القصائد الشعرية في تحريك وشحن النفوس للجهاد في عصري المرابطين والموحدين، فكان بمثابة الدعاية الإعلامية التي حركت ودغدغت المشاعر بواسطة إثارة العواطف، كقول ابن حمديس:

صبرت لحر الطعن ذائدا   عن الدين واستصغرت فيه العظائما
وهناك فنيت الكفر خزيانا باكيا   نعم ورددت الدين جذلان باسلا
وإن كر منهم ذو لثام مصمم   غدا لفم الهيجاء بالسيف لاثما[1]

وكذا قول ابن خفاجة يستنهض الهمم أثناء محاصرة النصارى لسرقسطة 512 هـ/1118م:

فقل للخيل والأبطال شوس   إلا كري وقل للشمس غيبي
وبرد حر أحشاء الموالي   وخضخض لجة العلق صبيب [2]

وحذا ابن زقاق حذوهم قائلا قبل معركة الأرك 591 هـ /1195 م:

وارجم شياطين الوغى بكواكب   تمحو الضلال إذا التقى الجمعان [3]

---

(1) مصطفى الزباخ، بنية الخطاب في فن الرسالة المرابطية بالأندلس، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1988، ص 210، 211.

(1) ابن حمديس، ديوان ابن حمديس الصقلي السرقوسي، صححه جلستينوسكابايار بللي، طبع في روما الكبرى، 1898، ص 145.

(2) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، تحقيق عبد الله سنده، ط1، دار المعارف، بيروت، 2006، ص 53.

(3) ابن الزقاق علي بن عطية، ديوان ابن الزقاق، تحقيق عفيفة محمد ديراني، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ص 266.

ومن الصور التي ألهبت حماسة المحاربين صورة زناتة الذي يجوب في صفوف محاربيها شاعر يتغنى بأمجاد القبيلة وبأسهم وذودها وشجاعتها فيحرك بذلك الرواسي ويبعث الاستماتة والشجاعة والإقدام والتضحية (4).

المبحث الثاني: الإعداد العسكري:

يعتبر من أهم العناصر الأساسية في نجاح العملية الحربية، ويشمل الإعداد في القوة الظاهرة التي تتكون من الرجال والسلاح، وإعداد الجيش وتهيئته أمر يستلزم وجود الأسلحة والقدرة على استخدامها، ولقد حث الإسلام على الإعداد بكل ما عنته كلمة الإعداد من معنى، ليكون المسلمون قوة ترهب أعداءهم، وهذا واجب حتمي أوصى به القرآن الذي وضع أصول النظم الحربية قبل المعركة وأثناءها وبعدها.

كما وجب تهيئة الجبهة الداخلية وهي العامة لكونهم الخط الدفاعي الثاني الذي يقف وراء الجيش ليدعمه ويسانده، بعدما تم إعداده سياسيا ومعنويا، وتجهيز الجيش الإسلامي يكون من بيت المال، لأنه معد لصالح المسلمين، ويشمل الإعداد العسكري على العناصر الآتية:

أ- **فن التدريب:** وعليه تتوقف مدى جاهزية الجيش لخوض المعركة، فالجيش غير المدرب لا يمكنه الصمود، ونقصد به التدريب البدني والتدريب على استعمال السلاح، فهو نتاج التربية العسكرية والتعليم الجيد الهادف، وهما أساس العملية التدريبية، لأن تربية الجند قبل دخولهم لأرض المعركة أمر حتمي ومهم، ذلك أن التربية الإسلامية

(4) عبد الحق المريني، شعر الجهاد في الأدب المغربي من عهد يوسف بن تاشفين حتى عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، المغرب، 1996، ج2، ص 103.

تجعل من الجندي المسلم جنديا متميزا في اعتزازه بدينه [1]، والجانب البدني الذي يرتكز عليه التدريب يشمل اللياقة البدنية، التي تعتبر أساس الجيش العربي الإسلامي في أعداد المجندين، حيث أولوها أهمية ومكانة في حياتهم العسكرية، كما لعبت السرعة دورا كبيرا في حسم الكثير من المعارك التي تعتمد على الخفة والحركة وقوة التحمل، ولعل المصارعة من أهم أنواع الرياضات المفيدة والمقوية للبدن، وهذا ما جعل الإسلام يعطيها عناية تامة في عملية الإعداد البدني التطبيقي[1].

إن المتتبع لحروب ومعارك المرابطين والموحدين والانتصارات الباهرة التي حققوها في بلاد الأندلس لم تكن بمحض الصدفة، وإنما جاءت نتيجة لإعداد عسكري محكم أساسه التدريب الجيد للجيش.

لقد اعتنت دولة الموحدين اعتناء كبيرا بهذا الجانب، فربّت شبابها تربية حربية مسطرة برنامجا محكما لإخراج وتكوين نخبة عسكرية قادرة على الرهانات، لذلك نجد فئة الطلبة مؤسسة حقيقية ونموذج حي للتدريب والمهام العسكرية، فبالرغم من أن المصادر الموحدية لم تشر إلى المؤلفات العسكرية والجغرافية التي كان يتداولها الطلبة إلا أنه من غير المعقول أن يتلقى الطلبة تدريبات عسكرية ميدانية دون إعطائهم معلومات نظرية كافية تتعلق بالعلوم العسكرية وفن القتال، خاصة وأن من بين المهام التي ستلقى على

---

(1) طاهر حمد محمد النحال، القيادة والجندية في السنة النبوية، دراسة موضوعية، بحث تكميلي لمتطلبات الماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2007، ص 174.

(1) جلال الدين السيوطي، المسارعة إلى المصارعة، مكتبة السوادي للتوزيع، ط1، جدة، 1992، ص 06، 16، حسن ناجي محمود، أهمية اللياقة البدنية في إعداد الجيوش، مجلة التربية الرياضية، الأكاديمية الرياضية العراقية، المجلد العاشر، العدد الثاني، 2001، ص 81، 82.

عاتق هؤلاء الطلبة هي قيادة الجيوش [2]، وقد ربطوا الرياضة بالتعليم وربما استلهموا ذلك من قول الرسول صلى الله عليه وسلم من أن لبدن الإنسان عليه حق أو ربما اقتبسوه من المفكر أبا حامد الغزالي في إحياء علوم الدين، الذي لقي انتشارا واسعا في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، ومن القضايا التي عالجها الغزالي في كتابه ضرورة تعويد الطلبة الدارسين على ممارسة التمارين الرياضية حيث يقول: " يجب أن يعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ... وأن يؤذن له بعد الانصراف أن يلعب لعبا جميلا ليستريح إليه من تعب الكتب، فإن إرهاقه إلى التعليم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا " [1].

ويورد لنا صاحب الحلل الموشية وابن القطان في نظم جمانه مدى اهتمام عبد المؤمن بن علي بتدريب الجيش " وكان يدخلهم داخل القصر فيجتمع الحفاظ فيه وهم نحو ثلاثة آلاف، كلهم من أبناء المصامدة وغيرهم، قصد بهم سرعة الحفظ والتربية على ما يريد، يأخذهم يوما لتعلم الركوب ويوما بالرمي بالقوس ويوما بالعوم في بحيرة صنعها خارج بستانه مربعة طول تربيعها نحو ثلاثة أرباع، ويوما يأخذهم يجدفوا على قوارب وزوارق صنعها لهم في تلك البحيرة فتأدبوا بهذه الآداب " [2].

---

(2) فارس بوز، مؤسسة الطلبة في دولة الموحدين، مجلة دراسات تاريخية، لجنة كتابة تاريخ العرب، دمشق، العددان 29، 30، 1988، ص 180.

(1) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ج 3، د.ت، 71.

(2) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 150، ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص 139، جمال طه، الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين ، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2004، ص 360.

نخلص إلى أن التدريب تركز على ركوب الخيل والرماية بالأسلحة المختلفة وكذا رياضة السباحة والتجديف، وفي جانب آخر يورد لنا القلقشندي أن الموحدين كانوا يقومون بمناورات استعراضية، حيث يخرج الخليفة ويحظر في مكان فسيح فتتطارد الخيل أمامه وتتطاعن الفرسان وتتداعى الأقران وتقام صفوفها على سبيل التمرين والاختبار، حتى يخيل للشاهد أنها حقيقة، ثم تتفرق العساكر ثم يعود بموكبه إلى قصره[1].

وفي عهد أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن يستدعى الجنود من الموحدين وعرب إفريقيا ويجتمع بهم في مكان واسع بمراكش، حيث يقومون بإجراء مناورات مبارزة ورياضة [2].

ويصف لنا عبد الواحد المراكشي هذه الاستعراضات بقوله: " أمر عبد المؤمن بعرض العسكر آخذين أسلحتهم وجلس في مكان مطل، وجعلت العساكر تمر عليه قبيلة بعد قبيلة وكتيبة بعد كتيبة، لا تمر كتيبة إلا والتي بعدها أحسن منها جودة سلاح وراهة خيل وظهور قوة " [3].

ولعل التنظيم القتالي في عهد المرابطين يعتبر نموذجا لحركية الجيش وحسن تدريبه في المعركة، ويمكن توضيح ذلك بالرسم التخطيطي (أنظر الملحق رقم 01):

---

(1) القلقشندي أبو العباس، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة ، 1922، ج5 ، ص 205.

(2) فتحي زغروت، الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، القاهرة، 2005، ص 141.

(3) المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص 296، عبد الحق المريني، الجيش المغربي عبر التاريخ، مكتبة المعارف الجديدة، ط5، الرباط، 1997، ص 36.

نلاحظ أن المرابطين قد وضعوا أساليبا قتالية تختلف عن المرحلة الأولى التي تميزت باستخدام أسلحة وتنظيم يتماشى وطبيعتهم البدوية، إلا أن توسع الدولة وكثرة فتوحاتها فرض إدخال إصلاحات وتعديلات جوهرية كتكوين فرق من الفرسان الخيالة والإكثار منها، لأن الإبل لا تصلح للحرب الجبلية، ثم تكوين فرق من الرماة بالسهام والنشاب، ثم استقلالية القبائل حتى تقاتل في انسجام ووفاق أثناء المعركة وتبعا لهذا النظام في المعارك نجد أن يوسف بن تاشفين والقيادة المرابطية نجحت بسبب حسن التدريب والتنظيم التي طبقت فيها المبادئ والقواعد الحربية التي تساعد على النصر بدقة وإحكام[1].

أما في العصر الموحدي فإننا نجد أن خطة المربع والتي تعتبر إنجازا عسكريا ممتازا جاء عن طريق تمرينات متكررة [2]، ويمكن شرحه عن طريق الرسم التخطيطي لهذه الخطة (أنظر الملحق رقم 02):

يبين هذا الرسم خطة المربع التي كانت من إبداعات عبد المؤمن بن علي والتي تعبّر عن قمة النضج العسكري والتخطيطي في حروب الموحدين، كما تبين لنا ذلك التوزيع الرائع الذي ينم عن دقة التدريب واتقانه، حيث يتوزع الجيش على الجهات الأربع، يكون في الأمام الرجال بالقنا الطوال والطوارق، يليهم أصحاب الدرق ثم أصحاب المخالي بالحجارة، ثم الرماة، وفي الوسط الخيالة الذين يخرجون من ثغرات وفجوات أعدت لذلك، وهي ثغرات خفية تفتح بإشارات معلومة، كما تعبّر هذه الخطة على حالة الدقة والانضباط

(1) أحمد البسيري، الأساليب التكتيكية العسكرية عبر تاريخ الحروب المغربية، دراسات وأبحاث في إطار قافلة التاريخ العسكري، اللجنة المغربية للتاريخ العسكري، 2007، ص 134، 135، 136.

(2) أنظر عبد الحق المريني، المرجع السابق، ص 35.

التي يضمنها توزيع المقاتلين إلى مجموعات وصفوف تعمل على تقوية الاتحاد الداخلي لهذه التشكيلات وتسهل عملية تحركها، خاصة وأن هذا التقسيم كان يتم على أساس عرقي [1]، وهو ما ساهم في تخرّج إطارات عسكرية برهنت على حسن تدريبها العسكري، من ذلك مساهمة الطلبة عسكريا بمهمات قتالية وقيادية بعد تخرجهم، حيث أسند أبو يعقوب أحد الطلبة من ينوب عنه لمحاربة أهل قرمونة[2]، أصحاب ابن همشك الثائر عليهم، كما كُلف أحد الطلبة بمهمات قتالية كالتي قام بها طلبة سبتة حيث شنوا هجوما بحريا على مدينة ألمرية بقيادة أحدهم وهو أبو محمد عبد الله بن سليمان، وتمكنوا من إلحاق الهزيمة بالنصارى.

كما قام الطلبة كذلك بدور مستشارين عسكريين للخليفة يساهمون في وضع الخطط العسكرية والجوسسة وقيادة طلائع الجيش [3]، ثم إن عمليات الاستعراض العسكري تدل على منهجية في عملية التدريب، إذ لا يمكن أن يكون الاستعراض بشكل عفوي، ولعل الاستعراض الذي أقيم في مراكش في عهد أبا يعقوب مدهشا حقا، حيث صفف الفرسان وزودهم بالدرق والرماح صفوفا وجعل الرايات والعلامات خلف ركابه،

---

(1) الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 132، إبراهيم حركات، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، منشورات مكتبة الوحدة العربية، د.ط، الدار البيضاء، د.ت، ص 176، 177، صباح عويناتي، المرجع السابق، ص 228.

(2) قرمونة: مدينة بالأندلس في الشرق من إشبيلية، مدينة قديمة تقع على سفح جبل تعني صديقي كارب مويه باللسان اللاتيني، الحميري، المصدر السابق، ص 108.

(3) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 22، فارس بوز، المرجع السابق، ص 173، 174، رسائل موحدية، تحقيق أحمد عزاوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، القنيطرة، المغرب، 2001، ص 11، 12.

وتجاولت الخيل من فرسان العساكر بالجري واللعب والدفاع بالحملات والكرات والطبول تضرب من بداية النهار إلى آذان الظهر [4].

كما نجد أن التدريب يشمل عدة تخصصات منها التدريب على صناعة وكيفية رمي المنجنيق وصناعة السلالم وكيفية فك الحصار، ومما يثبت حرص القيادة الموحدية على صرامة العمل العسكري هو تفقد الخليفة هؤلاء المتخصصين وضرورة اختبارهم وتجريب الأسلحة قبل انطلاق المعركة [1]، فإذا استطاع الفارس أن يركب الخيل ويكر ويفر ويرمي بالقوس ويطعن بالرماح ويضرب بالسيف فإن ذلك من حسن تعلمه للفروسية، وإذا كان الشارع قد أباح الرهان في الرمي والمسابقة بالخيل والإبل لأن ذلك تحريض على تعلم الفروسية وإعداد القوة للجهاد[2].

ويقدم لنا ابن القيم الجوزية وابن قتيبة الدينوري طريقة للتدريب على ركوب الخيل وتعلم الفروسية حيث يقيم المعلم تمثالا لظهر الخيل من الطين أو من الخشب ويعلمهم كيفية الركوب والجلوس، ثم يكلف أحدهم بالوقوف أمام هذا التمثال ويقوم المتعلم بتكرار

---

(4) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 215، 343.

(1) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص 155.

(2) ابن القيم الجوزية، الفروسية، تحقيق محمد مصطفى العلا، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، مصر، 1425هـ، ص 22، ابن قتيبة الدينوري، المصدر السابق، ص 132، 133، علي بن عبد القادر الطبري المكي، فوائد النيل بفضائل الخيل، تحقيق حاتم صالح الغامي، دار البشائر، ط2، دمشق، 2009، ص 49، محمود نديم أحمد فهيم، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983، ص 35، أبي زكريا أحمد بن النحاس، مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام (في الجهاد وفضائله)، تحقيق إدريس محمد علي ومحمد خالد اسطنبولي، دار البشائر الإسلامية، ط3، لبنان، 2002، ص 447.

ما قام به المعلم، ثم يضع المعلم سرجا على ظهر التمثال ويعلم المتعلم مع حمله معدات الحرب والقتال حتى يستطيع الجميع السيطرة على أكثر الخيول شراسة [1].

وليس كل خيل مناسب للحرب لأنه يستحب أن يكون ذو بطن طويل وظهر قصير، ويكره فيه الهضم والقنا وقصر القضيب وغلظ العنق واضطراب الأذنين وطول الشعرة وكثرة لحكم المتن وضيق الجلد [2].

وإذا كان الفارس يتقوت للتقوية لأنها تعطيه القوة، فعلف الخيل وصونها والاعتناء بها والمنافسة فيها، وتفقدها أمر ضروري لبقائها، والأحاديث تعظم عالفها كما نهت عن قطعها وخصائها وجز نواصيها وأذنابها وتعذيبها [3]، وأن تعلف حتى تسمن وتقوى ثم يقلل علفها فلا تعلف إلا وقتا وتدخل بيتا كنينا وتخشى بالجلال حتى تحمى وتعرق، ويجف عرقها فيخف لحمها وتقوى على الجري[4].

والمتتبع لبنية الجيش المرابطي والموحدي يجدها تتكون من الفرسان مما يدل على أن الخيل عنصرا أساسيا في المعركة، حيث كان للخيالة دورا للاستطلاع ويختار منها الأسرع وتسمى الطليعة؛ وهي التي تقوم باستكشاف مواقع العدو، أضف إلى ذلك الخيل أساس الكر والفر والمطاردة والتظليل والاستطراد، ومنهم من ألف في هذا المجال مما يدل

---

(1) ابن القيم الجوزية، المصدر السابق، ص 22، ابن هذيل علي عبد الرحمن، حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص 134، محمود نديم أحمد فهيم، المرجع السابق، ص 35.

(2) أبو سعيد عبد الملك الأصمعي، الخيل، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر، ط2، دمشق، 2009، ص 32، 66.

(3) ابن هذيل، المصدر السابق، ص 51، سراج الدين عمر البلقيني، قطر السيل في أمر الخيل، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر، ط2، دمشق، 2009، ص 22، 123، 143.

(4) علي بن عبد القادر الطبري المكي، المصدر السابق، ص 47.

على الاعتناء بها والدور الذي تقوم به في العملية العسكرية، مثل ما ألفه أبو الحسن بن القطان بن خلصة (ت. 628هـ/1231م) بعنوان أسماء الخيل وأنسابها وأخبارها، كما ألف أبو بكر بن المرخي (ت. 615 هـ/1218م) كتابا سماه بغية المرتبط ودرة الملتقط[1].

وقد ذُكرت أحاديث كثيرة في ضرورة الاهتمام بالخيل وتربيتها وإطعامها لأنها جزء من الإستراتيجية القتالية [2]، ويقترن التدريب على الخيل بالتدريب على الرمي عن طريق كيفية مسكه ووضعيته أي وجب ان يتوفر في الرامي شروطا كالسرعة وشدة الرمي والإصابة، فمن كملت به هذه الخصائص استحق صفة الرمي[3].

وأساس الرمي هو الرمي بالقوس على الأهداف الثابتة والمتحركة، وليس كل قوس يعد مناسبا للرمي، وقد ورد أن صانعه محتسبا والممد له في سبيل الله والرامي به مجاهدا[4].

كما أن الفروسية لا تتأتى إلا لمن يكون كفؤا ذو خصال وصاحب قسط من التعلم [1]، ولا بد على الفارس أن يتقن المفارقة أي الابتعاد والملاصقة أي الاحتاك والمخارجة

---

(1) ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج6، ص 488.

(2) يورد صاحب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق الكثير من الأحاديث التي تبرز أهمية الاعتناء بالخيل منها قول الرسول عليه الصلاة والسلام: " من كان له فرس عربي فأكرمه أكرمه الله وإن أهانه أهانه الله " ويقول أيضا: " من نقى شعيرا لفرسه يعلقه عليه كتب الله له بكل حبة حسنة "، كما يورد كذلك الأنواع الجيدة الخاصة بالحروب كالأفرح الذي في وسط جبهته قرحة أي بياض، والأرثم أي بياض في شفته العليا والكميت ليس بالأشقر ولا الأدهم أي يخالط حمرته سواد، أنظر: أبي زكريا أحمد بن النحاس، المصدر السابق، ص 349، 350، 353.

(3) ابن قيم الجوزية، المصدر السابق، ص 235.

(4) الاصبهاني الحافظ أبا نعيم، جزء من كتاب رياضة الأبدان، تخريج أبا عبد الله محمد، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1408هـ، ص 32، 33.

والمضايقة ومعرفة أسلوب الكر والفر والجد والأخذ والردع والطلوع والنزول والمقابلة مع كل خصم، فإذا توفرت هذه الخصال تهون على الفارس المصاعب وأن يكون كثير الاحتراز والتحفظ والثبات والصبر (2).

ومن مستلزمات القوس نجد السهم والنشاب، ولعل تخصيص المرابطين والموحدين لفرقة خاصة تسمى النبالة والنشابة والرماة، التي لها مراكز محددة في المعركة يدل على أهمية هذه الأسلحة في مسار المعركة (1)، كما أنه لا بد للرامي من اتخاذ وضعيات

---

(1) يجب على المعلم أن يكون عارفا للفراسة أي معرفة ما في وسع كل شخص على اختلاف الأجسام وزيادة بعض الأعضاء على بعض ومعرفة ما في طبع المتعلم من الذكاء والبلادة والقبول والامتناع، ثم يفتش دينه، وأن يكون كثير الصمت لازم الوقار غير عجوب للجواب له قوة كقوة الفيل ووثبة كوثبة الأسد ووقاحة كالنمر وكالثعلب، ويجعل السيف رفيقه والرمح صديقه والترس حصنه والسكين كمينه، أنظر: سيف الدين طبيغا الأشرفي البكلمشي، مخطوط، بغية المرامي وغاية المرام للمعاني في علم الرمي، ضمن مجموع من ورقة 60–92، الخزانة العامة، الرباط، رقم د 1867، ورقة 154، 155.

(2) يقدم لنا مؤلف مجهول صاحب مخطوط كامل الصناعة في الفروسية والشجاعة تكتيكا في المطاردة والطعن ويبين لنا كيفية تعلمها، ففي مجال المطاردة يقول: " إذا أردت ملاقاة خصمك فابدأ أولا فاختر لنفسك رمحا لا يكون ثقيلا فتثقب يدك وينفتح صدرك ويقع طعنك دايم أفسل ولا خفيفا فينكسر، بل على مقدار زندك وإذا التقيت مع خصمك فقابله زجرا وأطلبه قهرا ولا تقصده جهلا وحاوله وخاطبه وخارجه فإن همز جواده عليك فلا ترمي عليه بل تحايده وإن قصدك بالطعن الروماني فلا يكن تبطيلك إلا تسريحا فإذا بطلت هذين الطعنتين فاخرج خصمك عنك ولا تكون أنت قد استظهرت عليه من كل الوجوه ... وتحمل على خصمك ورمحك مسدود نحوه يسره فإنه يحمل عليك أيضا فإذا قربت منه أنقل رمحك على رأس فرسك سريعا واطعن صدره، فإذا نقل رمحه كما نقلت فإنه يشتغل ويدهش فاغتنم فرصتك عند شغله ودهشته فتطعنه وإن هو نقل رمحه سريعا ولم يدهش فاجعل رمحك فوق رمحه واكسبه أسفل واطعن على يمينك فإنه تصبر خلعه ولا تفارقه حتى تطعنه "، مؤلف مجهول صاحب مخطوط كامل الصناعة في الفروسية والشجاعة، الخزانة العامة، الرباط، ميكروفيلم رقم ق 32، ورقة رقم 481، 482، 507.

(1) بالنسبة للرمي فإنه عملية مهمة، وتعتمد على تكتيك وتدريب خاص، سواء تعلق الأمر بالسهم أو الرمح، الذي فيه حيل كثيرة وأنواع متعددة وألوان مختلفة، وأحسنها الأصفر والأبيض، وأسماؤها هي القناة، الصعدة، المرانة، الوشيحة، ومن أهم الحيل في الرماح يقول مؤلف مجهول صاحب مخطوط كتاب في الفروسية: " اعلم أن الفرسان وصلت إلى المطارد من رماحهم واحتالوا من ذلك، إذ أراد الرجل أن يخرج عرق مقدار رمحه فاتخذ رمحا طويلا فبعث به مع إنسان تقف به ناحية عن الناس وتطرحه على الأرض فإذا قاس صاحبه برمحه وقع من انقطع من رميحها ركض نحو الرجل

إستراتيجية مناسبة لتحقيق أهدافه، فمنهم من يركز على الجلوس باليمنى ومنهم على اليسرى، وهذا ما نجده في النشاب الذي يرمي ثلاثة أجناس من الخشب والقصب والقنا، وكل جنس من هذه الأجناس تختلف أنواعه من حيث الشدة واللين والجوهر والسداد والسرعة(2).

وتجمع الآراء المتخصصة في علم الرمي على أن الرامي يجب أن يكون مطلعا أو دارسا أو له خبرة في اختلاف الأجسام ومقاديرها وكذا طولها وعرضها ودقتها وغلظها وشدتها ولينها وقوتها وضعفها، وأن يكون الرامي يتسم بالذكاء والقبول وأن يتعلم على حسب مقدار جسمه، لأن تعلم الرمي وجب أن يوافق جسم المتعلم فمنهم من يصلح للقبضة المربعة ومنهم من يصلح تحريف القبضة، لأن القبضة المربعة من اختصاص الرجل الطويل ومتوسط الجسم تام العنق، أما القبضة المنحرفة من اختصاص الرجل

الذي معه الرمح فنزل عنده يشد حزامه أو يبول أو يصلح شيئا من آلته وطرح رمحه في الأرض وتكون العذبتان لونا واحدا وأخذ الطويل وجاء فلا يقف وعمل على صاحبه، وإن هو مشى بالرمح الطويل بالليل إلى الميدان فدفنه في التراب ثم أراد الخروج اعتزل كأنه لحاجة يفعلها فيسد الذي بيده في التراب ويأخذ الطويل إن امكنه ولكن يحتاج ان يكون صادقا خفيفا ... ومن الحيل في الرماح كذلك أن يعمد إلى رمح خفيف فير جوفه وينفد كعوبة ثم تملاه رملا جريشا وتسد أسفله بطين ثم تعمد إلى رمح ثقيل جدا فتقرنه إليه فإن الذي فيه الرمل أثقل باسر عظيم فتساجر قرنك ثم تخيره في الرمحين فإنه يختار أخفها فيصير الرمل في يدك فإذا خولت فاضرب أسفله الأرض حتى يسقط الطين ويسيل الرمل فيخفف فيقهر قرنك ولا تمكنه أن يعمل به شيئا " أنظر: مخطوط مجهول المؤلف، كتاب في الفروسية، الخزانة العامة، الرباط، ميكروفيلم رقم ق/32، ورقة 341، 343، 344، 345.

(2) إن أحسن النشاب هو الخشبي، إن كان من ظهر العود لا من قلبه، ذلك أن العلة في العود أنه يشرب الماء من قلبه ويجري منه إلى ظهره فقلبه رخو لكثرة الماء فيه والظهر صلب لقلة الماء فيه، مما يؤدي إلى سرعته وقوة اختراقه للجسم، بالإضافة إلى أن هناك أنواع من الأخشاب للبعيد وللقريب مثل الخشب القوني والصنوبر الشامي، أنظر: مجهول، مخطوط كتاب في علم الرمي في فضل القوس والوتر والنشاب ومعرفة أصول ذلك وسقاية السلاح المهلكة للأعداء على نية الجهاد في سبيل الله ضمن مجموع من ورقة أ 34، أ 59، الخزانة العامة، الرباط، ميكروفيلم رقم د 1867، ورقة 74، 93، 104.

قصير الجسم لين العنق، ومن تقنيات الرمي كيفية مسك المقبض والنظر للداخل وكيفية الإطلاق وتركيب السبابة على الإبهام(1)، وهذا ما توضحه الأشكال والوضعيات الافتراضية للرمي والطعن والمواجهة (أنظر الملحق رقم 03).

وأن يختار من النشاب أجودها وأثقلها وزنا وقل خشبها وصح لجائها، أما الترس فيه تكتيك خاص وأنواع عدة(2).

إن هذه التقنيات في فلسفة الرمي كانت متجذرة في العسكري المرابطي والموحدي، بل كانت صناعة عسكرية متنقلة مع الجيش كل حسب اختصاصه في إصلاح الأعطاب وصناعة السلالم في الحصارات والجسور عند عبور الأنهار وتزويد المقاتلين بالسلاح وذلك بصناعته في أرض المعركة(1).

---

(1) أبو عبد الله محمد بن يوسف الشافعي، الإيضاح في علم الرمي والسبق، ضمن مجموع من ورقة أ 22، ب 33، ميكروفيلم، الخزانة العامة، الرباط، رقم د 1867، ورقة 51، 52، 55، 57.

(2) الترس سلاح دفاعي من الحديد أو الخشب أو الجلد، يستخدم للوقاية من ضربات السيوف، الترس المستطيل لاتقاء النشاب والمسطح لرد طعنات الرماح، والمقبب لضربات السيوف، ويطلق على الترس تسميات كثيرة كالدرقة والمجن والصلب، ولها تكتيك خاص، إذ وجب على حاملها ان يكون أكثر خفة في تحريكها يمينا ويسارا ولا يلصقه بيده، أما عن وضعيته فهو يمسك باليد بواسطة مقبض مثبت في جوف الترس ويستخدم عند الاشتباك القريب وصدا للنبال والسيوف والمقذوفات، وهو من التجهيزات الوقائية، أنظر: الطرسوسي مرتضى بن علي، تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء ونشر أعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء، تحقيق كلود كاهين، مجلة الدراسات الشرقية، المعهد الفرنسي، بيروت، 1947، 1948، ص 12، بن سلام أبا عبيد، كتاب السلاح، تحقيق حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1985، ص 30، العباسي الحسن بن عبد الله، المصدر السابق، ص 316، 317، بن هذيل عبد الرحمن، المصدر السابق، ص 232، حسين أحمد سلمان، الجيش والسلاح في العصر الأكدي، مجلة دراسات تاريخية، قسم الدراسات التاريخية، بيت الحكمة، العدد 32، بغداد، ص 38.

(1) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 269، 370، 384، الحلل، المصدر السابق، ص 69، محمود نديم أحمد فهيم، المرجع السابق، ص 37.

ويترجم لنا أبو بكر الطرطوشي هذا التدريب ميدانيا، الذي يعبّر على حسن التعلم والفهم وإجادة تقنيات التدريب، حيث يقول: " فأما صفة اللقاء وأحسن ترتيب رأيناه في بلدنا وهو تدبير نفعله في لقاء عدونا أن تقوم الرجال بالدرق الكاملة والرماح الطوال والمزاريق المسنونة ... ويركزوا مراكزهم ورماحهم خلف ظهورهم في الأرض ... وخلفهم الرماة المختارون " (2).

كما كانت الدولة الموحدية تخصص ميدانا فسيحا وضعت فيه تماثيل خشبية على هيئة خيول بقصر ابن جامع وزير محمد الناصر الموحدي، حيث تلعب فيها خمسمائة جارية على خيول خشبية وتتطاعن فيما بينها.

نستنتج أن الجيش الموحدي لم يهمل العنصر النسوي في عمليات التدريب وخاصة الفروسية، أما خطة المربع في العصر الموحدي تجسد قمة التدريب ونضجه (1).

ب- **التصنيع الحربي:** لقد اهتم المرابطون والموحدون بصنع الأسلحة لما تتطلبه رقعة المساحة الجغرافية للدولتين وتعدد الأعداء والخصوم، لذلك سطرت إستراتيجية خاصة في إعداد الأسلحة بمختلف أصنافها، ففي العهد المرابطي نجد أن السلاح تطور بتطور الدولة، أي من الدولة الصحراوية إلى الدولة صاحبة العدوتين وذلك بعد احتكاكهم

(2) المزاريق جمع مزرق وهو الرمح القصير، وقد يكون سنانه مربعا حادا يخرق الدروع، أما الدرق فهو نوع من التروس اشتهرت به قبيلة لمطة في المغرب يصنع من حيوان يسمى اللمط يشبه البقر وهي قطعة مدورة وسطها مقبب وفي بطنها عروة تمسك منها، وكانت مشهورة عند الجند المرابطين، أنظر: الإدريسي محمد الشريف، صفة أرض السودان ومصروالأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق، نشر هنري بريس، الرباط، 1936، ص 59، ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص 50، أبو بكر الطرطوشي، المصدر السابق، ص 179.

(1) عبد الحق المريني، المرجع السابق، ص 35، عبد العزيز بن عبد الله، الجيش المغربي عبر العصور، المعهد الوطني للدراسات القضائية، الرباط، 1986، ص 77.

بالأندلسيين، حيث نجد أن قصور الحكام كانت مركزا لتجميع السلاح وتخزينه، وكان يوزع على المحاربين تحت إشراف مختصين، توكل لهم مهمة الحفظ والتخزين والتوزيع أثناء التميز والنفير العام للحرب[2]، حيث نجد أسلحة الجيش المرابطي في عهد يوسف بن تاشفين خفيفة كدرق اللمط، سيوف الهند، القنا الطوال المزاريق المسنونة، ثم طوروا قدراتهم التسليحية باحتكاكهم بالأندلسيين وصدامهم مع الفرنجة من خلال حروبهم [3].

أما الموحدون فقد استفادوا من الكم التسليحي المرابطي ووظفوه في برنامجهم التسليحي الجديد، فكانوا حريصين على إعداد كمية كبيرة من الأسلحة قبل كل معركة حيث كان يصنع مثلا عشرة قناطير من القسي يوميا أثناء استعداد عبد المؤمن بن علي لغزو الأندلس (557 هـ/1162م)، فقد كان بسبتة مثلا أربعون منجرة لصنع القسي والسهام [1]، وقد اختصت مدينة طليطلة في صناعة السيوف، وقرطبة ضمت دار صناعة للأسلحة فيها حرفيين ومختصين تصنع فيها السهام والرماح والمزاريق [2].

---

(2) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 436، 437،ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1974، ص 458، إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 147، عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص 26، حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في عصر المرابطين والموحدين، ص 211.

(3) Ηενερι τερρασσε, ηιστοιρε δυ Μαροχ, Π311

(1) ابن زرع، المصدر السابق، ص 201، الحسين إسكان، الدولة والمجتمع في العصر الموحدي 518-668هـ/1125-1270م، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2010، ص 138، الأنصاري السبتي محمد بن القائم، اختصار الأخبار عما كان بسبتة من سني الآثار، المطبعة الملكية، ط3، الرباط، 1996، ص 36، 37.

(2) محمد الحناوي، النظام العسكري في عصر الخلافة والطوائف، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، ط1، الرباط، 2003، ص 270، 271.

وكانت أدوات الحصار تصنع في الحضرة ثم تحمل إلى موطن الحصار، وكانت ميورقة تخصص بيوتا كثيرة لتخزين السلاح، أما إشبيلية فقد اختصت في صنع الآلات وكان بها سوقا للدروع [3].

كما برع الموحدون في الصناعات التي نسميها اليوم الميكانيكية وتشمل الآلات الحربية المتنوعة كالمجانيق والأقواس البعيدة والقريبة التي اخترعت في عهد الخليفة يوسف بن علي عن طريق أحد المهندسين البارعين، كما اهتموا بصناعة الأسلحة بجميع أنواعها وأتقنوها غاية الإتقان من خلال احتكاكاتهم بالمعارك.

واختص الغرب الاسلامي بصناعة التروس من الجلد على الطريقة الإفريقية وسروج الخيل التي كانت في غاية الاتقان، أما الأندلس فقد اختصت بآلات الحرب من رماح وتروس ودروع [1].

وكان النجارون والصناعون والنشارون يصطحبون مع الجيش لإصلاح الأعطاب وتزويد المقاتلين بالسلاح، وذلك بصناعته في أرض المعركة [2].

وما نستنتجه من خلال الإعداد التسليحي أن أنوع الأسلحة تنوعت بتنوع مصادرها، فهناك ما يصنع محليا، وهناك ما يتم جلبه وهناك ما يتحصل عليه عن طريق الغنائم، كما نلاحظ أن الترسانة العسكرية للدولتين كانت تساير التطورات التقنية للأسلحة الموجودة وقتذاك، خاصة دول الإفرنج.

---

(3) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 128، 184، 242.

(1) المقري، المصدر السابق، ج1، ص 95، الحسن السائح، الحضارة المغربية عبر التاريخ، ج1، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1975، ص 215.

(2) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 69، ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 370، 384.

ج- دور القيادة التنظيري والتطبيقي في حروب المرابطين والموحدين:

القيادة [3] هي أساس التنظيم المؤسساتي في العملية التنظيمية العسكرية لما تكتسيه من أهمية في إنجاح المشروع المراد تحقيقه، فالقيادة هي كل ما يتولى شؤون المسلمين، لذلك فالخليفة وعماله وقواد الجيش ورؤساء الشرطة والوزراء وكل من يقوم بأعمال عامة في الدولة الإسلامية فهو معني بمصطلح القيادة [1].

وهي كذلك الفن الذي تستطيع بواسطته التأثير على توجيه الآخرين إلى هدف معين يمكن تحقيقه عن طريق الثقة والاحترام، وهي السلطة التي يتمتع بها الفرد في الخدمة العسكرية تجاه من أقل منه رتبة[2].

ومن هذا المنطلق نجد أن القيادة أمر ضروري حتى ينتظم أمر الجماعة ويستقيم حالها، وهذا ما يؤكده ابن خلدون ويركز عليه، من أن الوازع سلطة مهمة لدفع الظلم والعدوان وتكون له الغلبة والسلطان واليد القاهرة [3].

ونظرا لتعدد مجالات القيادة فإننا سنركز على القيادة العسكرية موضوع بحثنا وحتى لا نخرج عن الإطار المراد دراسته، فالقيادة في الجانب العسكري تتظافر فيها

---

(3) من الناحية اللغوية القيادة من مصدر القائد وكذلك القودة وهو نقيض السوق أي القود من أمام والسوق من خلف والقائد واحد، القواد والقادة، ويقال القائدة من الإبل أي التي تتقدم الإبل، والقائد من الخيل أي أنفه والأقواد من الناس أي الذي إذا أقبل على الشيء بوجهه لم يكد يصرف وجهه عنه، وقاد الجيش قيادة أي رأسه ودبر أمره، والانقياد أي الخضوع، نقول قدته فانقاد واستقاد لي، أنظر: أبا الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، ط1، بيروت، 1991، ج5، ص 38، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1994، ج3، ص 370.

(1) محمد السيد الوكيل، القيادة والجندية في الإسلام، دار الوفاء، ط3، مصر، 1988، ج1، ص 115

(2) طاهر حمد محمد النحال، المرجع السابق، ص 12.

(3) ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001، ص 197.

عواملا اجتماعية وسلوكية وصحية وثقافية وخلقية، حيث تلعب هذه العوامل دورا أساسيا وفعالا في إنجاح القائد العسكري وفشله في تولي زمام القيادة، لأن آفاق ومفاهيم القيادة العسكرية تضع تصوراتها للقائد الذي يكون واعيا ومدركا لمسؤولياته وواجباته وترتكز أساسا على خصائصه وسماته القوية، وتصحح أخطاءه ونقاط الضعف عنده [4].

وللقيادة العسكرية أهمية قصوى للعسكريين، وهذا يتطلب من القادة إتقان المهام المناطة بهم وإجادة فن القيادة أثناء السلم والحرب[1]، فالقائد الناجح وجب أن يتسم بالإبداع لأنه أساس الرغبة والقدرة على الخلق الفكري والعملي الناجح، وهو من النتائج الفعالة للثقة بالنفس وصنع الإرادة، حتى يمكنه من التأثير في مقاتليه تأثيرا إيجابيا، نابعا من خلال مكونات شخصيته؛ لأن مهنة حمل السلاح تمنح حياة المقاتلين وقارا وعظمة لا يمكن مقارنتها بشيء آخر، فهي تفرض امتحانا قاسيا لقدرة تحمل الفرد الجسدية والمعنوية [2].

فإلى أي مدى تنطبق هذه القراءة على القيادة العسكرية للمرابطين والموحدين ؟

ما من شك فيه أن الأساس العسكري يشكل أحد المكونات الجوهرية للدولة المرابطية، ومرد ذلك إلى طبيعة المرابطين والموحدين والظروف التي رافقت تأسيس دولهم، فضلا عن المهمة المقدسة التي اضطلعوا بها وهي مهمة الجهاد، وقد أثر هذا

---

(4) عديم بن هوصان الشلوي، القيادة الميدانية المعاصرة، مجلة الحرس الوطني، الكويت، عدد 148، نوفمبر، 1994، ص 60.

(1) سعد بن مزعل بن طوالة، فن القيادة والمهام القتالية، مجلة الحرس الوطني، الكويت، عدد 148، ص 58.

(2) حازم عبد القهار الراوي، الشخصية العسكرية القيادية، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط1، 1988، ص 77، 78، 81، محمد بن علي المحميدي، القائم والمرؤوسون خلال عمليات القتال، مجلة الحرس الوطني، الكويت، العدد 194، سبتمبر 1998، ص 32.

الأساس في التركيبة الإدارية، حيث أصبحت معظم المناصب حكرا على شريحة العسكر، وامتد هذا التأثير إلى المعالم العمرانية كالحصون والقلاع[3].

ويمكن توضيح السلم القيادي العسكري في الدولتين عن طريق الرسم التخطيطي (أنظر الملحق رقم 04).

بالاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع، يمكن تحليل وقراءة هذا الرسم التخطيطي كما يلي:

يتضح من الشكل التخطيطي أن التنظيم القيادي للدولتين تنظيما سُلّميا كل حسب اختصاصه ورتبته ومركزه، ولم يكن أبدا أمرا عفويا بل هناك تنسيق بين هذه الأجهزة ففي الأندلس نجد أن حكام الأقاليم والنواحي والكور من شريحة العسكر [1]، وانعكست هذه الروح العسكرية على الولاة، إذ لم تنحصر مهامهم في الجوانب الإدارية بل تعدت إلى الجانب العسكري أي ضرورة القيام بتحركات عسكرية داخل مجال نفوذهم، أي ما يعرف الآن بالتمشيط من أجل مراقبتها مراقبة عسكرية، وكان لكل والي مساعدون عسكريون، بل أن قضاة المدن كانوا من شريحة العسكر [2].

(3) إبراهيم القادري بوتشيش، دولة المرابطين والأساس العسكري في تكوينها، مجلة الحرس الوطني، العدد 156، أغسطس، 1995، ص 39.

(1) ςιλλαρ: Λεσ τουαρεγεσ αυ ποψσδυχιδ: λεσ ινϖασιονσ Αλμοραϖιδεσ εν Εσπαγνε δυ 11εμε αυ 12εμε σιεχλε, Παρισ, 1946, Π 194.

(2) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 164.

بالنسبة للقيادة العليا للجيش المرابطي كانت تعقد لأمير المسلمين، أما فرق الجيش المختلفة فكان يتولى قيادتها قواد من الأسرة الحاكمة لكي يضمن أمير المسلمين ولاءهم وإخلاصهم له [3].

وكان لكل من الأندلس والمغرب قيادة عليا موحدة للجيوش الإسلامية في الأندلس، وتعقد للحاكم العام الذي كان غالبا أحد أبناء أمير المسلمين أو إخوته ولدينا رسالة أرسلها علي بن يوسف في سنة 517 هـ/1123م إلى ابنه أبا بكر القائم بولاية إشبيلية خلفا لعمه تميم بن يوسف، حيث قلده قيادة الجيوش لجزيرة الأندلس، إذ يقول: " وقد رأينا أن تقدمك على جميع الجيوش بتلك الجزيرة ..."[1].

وكان قادة الجيوش وولاة الأقاليم يدينون بالطاعة والولاء لأمير الأندلس، بينما في المغرب يخضع للإشراف المباشر له، وانتهجت الدولة المرابطية سياسة فريدة من نوعها وهي تغيير القائد العسكري من منصبه أي إحداث سياسة التنقلات وإنهاء المهام حتى لا يكون الانفراد بالولاية والخروج عن الطاعة وتكوين الأتباع وانتهاز الفرصة للانقلاب [2]، حيث قام يوسف بن تاشفين مثلا بعزل القائد موسى بن الحجاج بغرناطة وعيّن مكانه أبو بكر بن إبراهيم اللمتوني ومحمد بن أبي زلفى مكان عبد الله بن الحاج [3].

---

(3) حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص 384.

(1) محمود علي مكي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة المعهد المصري بمدريد، م7، عدد 1، 1959، ص 169، 170.

(2) أحمد محمود، المرجع السابق، ص 295، 384.

(3) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 163، سالم أبو القاسم محمد غومه، تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين 451-668هـ/ 1059-1269م، بحث تكميلي لمتطلبات الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الفاتح، ليبيا، 2003-2004، ص 21، 22.

ومن السمات الدالة على قمة النضج العسكري التنظيمي في دولتي المرابطين والموحدين إنشاء وعقد مجلس حرب يجتمع فيه القادة العسكريين في الجيش في دورتين، دورة عادية لدراسة المستجدات وتقييم الجهد العسكري وحالات الأقاليم ودورة طارئة استثنائية تمليها المعارك تتم فيها دراسة وترتيب الخطط الهجومية والدفاعية ورسم القتال ميدانيا، ويقوم كذلك بتنظيم عناصر الجيش وفرقه العسكرية وجعله مستنفرا ثابتا، كانعقاد هذا المجلس في معركة الزلاقة سنة 479 هـ/1086م ووضع خطط دقيقة عن طريق الحوار وإسناد القيادة للخبرة والحنكة وإنشاء قوة احتياطية لإنهاء المعركة [1]، فالمتتبع لمعارك وحروب المرابطين يجد أن المدرسة العسكرية المرابطية خرّجت إطارات قيادية عسكرية تميزت بالخبرة والجرأة والتدريب العالي والتخطيط المحكم مثل الأمير سير بن أبي بكر [2]، وداود بن عائشة [3]، وأبو محمد مزدلي[4]، ومحمد ميمون [5].

(1) سالم أبو القاسم محمد غومه، المرجع السابق، ص 23، عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص 29، إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 163.

(2) هو أحد كبار قواد يوسف بن تاشفين وقريبه بالمصاهرة وابن عمه في الوقت نفسه، كان حاكما على منطقة مكناس في بلاد المغرب ثم انظم إلى قوات المرابطين المتوجهة للجهاد في الأندلس، وظهرت منه بطولة وشجاعة فائقة في معركةالزلاقة، وعندما قرر يوسف بن تاشفين إسقاط حكم الطوائف أسند لقائده سير بن أبي بكر مهمة خلع حكام منطقة غرب الأندلس وعينه حاكما عليها وقام بتنفيذ المهمة بشجاعة وحزم، وتمكن من حماية الثغور الغربية للأندلس وحقق انتصارات كبيرة على النصارى، توفي فجأة سنة 487 هـ / 1094م أنظر: ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق أحمد مختار العبادي وآخرون، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص 186، إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 160.

(3) هو محمد بن يوسف بن تاشفين المعروف بابن عائشة أحد مشاهير قواد المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين وابنه علي، شارك في معارك كثيرة، عينه أبوه قائدا على شرق الأندلس، قام بعمليات حربية واسعة النطاق، فقد بصره في موقعة البورت التي قتل فيها القائد المرابطي ابن الحاج حاكم سرقسطة سنة 508 هـ /1114 م، استدعاه اخوه علي إلى مراكش وولى مكانه على مرسية أخوه إبراهيم، أنظر: حامد محمد خليفة، انتصارات يوسف بن تاشفين، مكتبة الصحابة، ط1، الشارقة، ص 18، محمود محمد أبو الندى، المرجع السابق، ص 56.

أما القيادة الموحدية فكانت تحت إمرة الخليفة وهي القيادة العامة والعليا، وهي أكثر فاعلية خاصة في عصر الخلفاء الأقوياء، الذين يقودون بأنفسهم الجيش في المعركة مثل عبد المؤمن بن علي ويعقوب المنصور، بينما ضعفت في فترة الخلفاء الضعاف مما جعل إيجاد شخص ينوب عن الخليفة يكون محل ثقته، من ذلك أن ابن تومرت أسند القيادة لأهل الجماعة [1].

وهذه القيادة العامة – كما هو مبين في الملحق رقم 04 – تشرف على قيادة الوحدات العسكرية، التي بدورها تنقسم إلى قبلية وإقليمية وعرقية، حيث يتولى القيادة من أهل الوحدة ويكون محل رضا الخليفة، ويظهر ذلك في الأندلس، فجعلوا رجلا من الأندلس على الوحدات الأندلسية، وتعد معركة الأرك 591 هـ/1195م نموذجا يبين هذه النظرية وهذا عنصر مهم يدل على فن ممارسة القيادة، لأن تعيين قائد من الوحدة نفسها يضمن الاستقرار ويقضي على الخلافات لأنه منهم، وهذا بعد نظر موحدي [2].

---

(4) أبو محمد مزدلي بن سلكنان ترجوت ابن عم يوسف بن تاشفين وأحد كبار قادته، قاد حملات عديدة ضد النصارى استشهد في سنة 508 هـ/1114م في إحدى معاركه، وخلفه في قيادة الجيش ولده محمد الذي استشهد بعد ثلاثة أشهر فقط من توليته، أنظر: ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 109، إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 161، محمود محمد أبو الندى، المرجع السابق، ص 57.

(5) هو أبو عبد الله محمد ميمون بن محمد بن الحاج اللمتوني ابن عم يوسف بن تاشفين تمكن من انتزاع قرطبة من ابن عباد وخاض معارك عديدة، استشهد سنة 507 هـ/ 1113م، أنظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 84، محمود محمد أبو الندى، المرجع السابق، ص 57.

(1) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 98، عز الدين موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1991، ص 239، سالم أبو القاسم غومه، المرجع السابق،، ص 88.

(2) عز الدين موسى، المرجع السابق، ص 238.

كما تشرف القيادة العامة على قيادة الولاية ويقصد بها قيادة الجيش داخل الولاية ومن اختصاص الوالي، ويشترك معه في التسيير الطلبة والحفاظ [3].

ولم يكن اختيار القادة لهذه المهام يتم عفويا بل عن طريق دراسة ومراعاة الكفاءة، حيث نجد الناصر يولي أبا محمد عبد الواحد لصحة دينه وحسن يقينه وعلو قدره لضم المهدية [1]، وكذا يوسف بن وانو الدين الهنتاتي، الذي كان شجاعا ذو نجدة وشهامة متمرسا في الحروب والوقائع [2].

ويمكن اعتبار معركة الأرك 591 هـ/1195منموذجا لفن القيادة العسكرية التي تميزت بمشاركة جميع الأطراف في رسم خطة الحرب والاتفاق عليها واحترام الآراء ومناقشتها بموضوعية أثناء انعقاد مجلس الحرب، حيث نجد يعقوب المنصور كقائد عام للقوات المسلحة وأبو عبد الله بن صناديد الأندلسي النموذج للقائد العارف بتكتيكات الحروب، وأبو يحي بن أبي حفص الذي امتاز بالفطنة والشجاعة [3].

كما نجد أن القيادة العليا لا تتسامح في التهاون والاستهزاء وعدم تطبيق الخطة بحذافيرها، حيث عاقب يعقوب المنصور قبيلة هكسورة بعد الخطأ التكتيكي الذي وقعت

---

(3) عز الدين موسى، المرجع نفسه، ص 238، سالم أبو القاسم غومه، المرجع السابق، ص 88.

(1) ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، ص 245.

(2) نفسه، ص 151.

(3) فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 326.

فيه، مما أدى إلى خروج النصارى من منطقة حراسة هكسورة أثناء حصار مدينة وبذة567 هـ /1172م[4].

وما نستنتجه أن المرابطين والموحدين مارسا قيادة عصرية متطورة اعتمدت على التنسيق والتشاور والإعداد الجيد وروح المسؤولية وبلورت الهدف واحترام السلم القيادي والرتب.

د- إستراتيجية التنويع والاستثمار في الأقليات العرقية:

لقد انتهجت دولتي المرابطين والموحدين سياسة فريدة من نوعها ارتكزت على إستراتيجية التنويع داخل عناصر الجيش، والاستثمار في خبراته القتالية، ذلك أن هذه العناصر وما تحمله من إرث حربي مميز من خلال تجاربها في الحروب، استغلت الدولتان هذا الإرث ووظفته في تطوير وبناء الجانب التقني والنوعي في الجيش المرابطي والموحدي، فمن هي هذه العناصر ؟ وما مدى استفادت الدولتان منها ؟

العرب:

تشمل قبائل بني هلال، سليم، بني حسان، وعرب سويد، زغبة، بنو جابر بني رياح، بني عامر، بني سالم، الذين امتازوا بخبرات عسكرية وتكتيك حربي يبرزه لنا ليو السادس في كتابته Τηε Ταχτιχα[1]، حيث يشيد بمهارات العرب الحربية ومقدرتهم

---

(4) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 411، السلاوي الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، ط1، الدار البيضاء، 1954، ج2، ص 134، 135، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 323.

(1) ولد ليو السادس سنة 850 م تولى العرش البيزنطي وسنه عشرون سنة، اهتم بالشؤون الحربية، ألف كتبا كثيرة منها: والي المدينة، فن الحرب، المعارك البحرية، لقب بالحكيم، ألف كتابه Τηε ταχτιχα في بداية القرن العاشر

الفنية ومزاياهم وأساليبهم القتالية ودقة تنظيمهم الحربي وإدارتهم للمعارك وكذا إتباعهم أسلوب الكر والفر، حيث يقول عنهم: " في حالة هذا الأسلوب القتالي إما أن يفر العربي بخدعة وتجنب القتال وامتلاك فرسانهم عناصر القوة وحركة عجيبة سهلت لهم الهجوم السريع والانسحاب الفوري .... كما طبقوا طريقة الزحف والصفوف والكرة بعد الفرة والرجعة بعد الجولة، وهي أساليب قتالية أجادوا فيها " (1).

كما امتازوا بدقة في الرمي وحسن استعمال السلاح، واستعملوا السهام المسمومة التي تتم بسقي نصل السهام بالسم، وذلك بإدخال السم فيه.

إلا أن ما يؤخذ على الجندي العربي – حسب ليو السادس – أنه لا يجيد القتال في الظروف المناخية الباردة، حيث يقول: " الجو البارد والمطر كان مكروها لدى الجندي العربي، ولذلك كان يضعف إذا هجم البرد فلا يظهر ثباته وشجاعته المعهودتين " (2).

كما اشتهروا بإجادة المبارزة وهي خير وسيلة لإبراز البطولة، فهي فضاء لإثبات تجربته وتنظيم إستراتيجية حربية لتحطيم الآخر العدو، فهناك تنوع في المبارزة الهلالية، من ذلك مواجهة الخصم بسخرية وتهديد وافتخار مهما كانت قوة هذا الخصم وطاقته

نهاية القرن الرابع الهجري، وكتب سنة 903 م باللغة اليونانية، زمن الخلافة العباسية المعاصرة له، أي مرحلة الضعف، عاصر المعتمد والمعتضد والمكتفي والمقتدر، يبين لنا هذا الكتاب نقاط القوة ونقاط الضعف في كيفية المواجهة وتحقيق الانتصار، واعتمد في مصادر هذا الكتاب على تجاربه وتجارب قادته العسكرية وروايات والده باسيل الأول 867–886 م، وقد خصص جزءا لقوة العرب الحربية في التنظيم والتسليح والتجهيز والروح المعنوية والخطط الحربية في تلك الفترة، وتأثر الدولة البيزنطية بهذه التعبئة العربية، أنظر: طه خضر عبيد، التعبئة العربية الإسلامية في كتاب Τηε ταχτιχα للإمبراطور البيزنطي ليو السادس 886–912 م، مجلة المجمع العلمي، الجزء الأول، المجلد 47، بغداد، 2000، ص 124، 125، 127، 139.

(1) طه خضر عبيد، المرجع السابق، ص 129، 132.

(2) المرجع نفسه، ص 129، 130.

الحربية، ويهدف الجندي العربي من هذه الإستراتيجية إلى إزعاج الخصم واضطرابه ويفقده استعداده النفسي، ثم أن الفارس العربي يغلق خصمه بسرعة حركته في عملية الهجوم، متبعا تكتيكا خاصا بالاعتماد على خفة حركته التي تتعب وتعكر ثقة الخصم، ثم أن الفارس العربي يصارع طوال النهار من الصباح إلى المساء وهذه الإستراتيجية تجمع بين قوة العضلات وحدة الذكاء والدهاء والسرعة (1).

وتلخص الباحثة روزلين ليلى قريش هذه الإستراتيجية بقولها: " إستراتيجية الفارس الهلالي إستراتيجية مدهشة تثير الإعجاب، لأنها ذات خبرة حربية طويلة في التمرن على المبارزة الشديدة في فن القتال واستعمال وسائله السرية، وهي تشبه الوسائل السيكولوجية الحديثة في الحرب التكتيكية في وقتنا الحاضر " (2).

ومن عاداتهم في الحروب رفع معنوياتهم للحرب والقتال، حيث يتغنى شيخ القبيلة أمام الموكب بالشعر المحرض للقتال، فقد تأثرت قبائل زناتة به، كما امتازوا بنزعة حربية وبالأسلحة الخفيفة التي تتلاءم مع طبيعتهم كالسيف الذي يدافع عن الذات والمبارزة والقتال عن قرب، واتخذوا الرمح للكر والإغارة والرمي (3).

إن هذا الإرث الحربي والصفات القتالية التي امتازت بها العرب استغلتها الدولتان استغلالا تقنيا في حروبها، فقد شارك العرب في عصر المرابطين في وقعة إقليش 501

---

(1) العباسي الحسن بن عبد الله، المصدر السابق، ص 290، روزلين ليلى قريش، استراتيجية القتال في سيرة بني هلال، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 2009، ص 101، 102، 103.

(2) المرجع نفسه، ص 35.

(3) مصطفى أبو ضيف، القبائل العربية في المغرب، في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 258، 300، 301.

هـ/1108 م[4]، ويشار إلى هؤلاء العرب في رسالة لأبي الفضل جعفر بن شرف كتبها عن الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين قائد الحملة إلى أخيه أمير المسلمين علي بن يوسف في فتح حصن إقليش، حيث يقول: " فبرز فارس من العرب فطعن فارسا منهم (الروم) فأداره من مركبه ورماه بين يدي موكبه فانتهج، ما ارتج وانفتح المبهم وأفصح المعجم " [1].

ويصف لنا ابن القطان وقعة إقليش بأنها " من غر الوقائع وجليلها ... واستشهد في هذه الوقيعة الإمام الجزولي ... وجماعة من الأعيان والعربان رحمهم الله تعالى " [2].

كما أدخلهم يوسف بن تاشفين في جيشه لإتقانهم نظام الكراديس[3] وفن المباغتة التي اكتسبوها من الفرس، حيث يقول ابن الكردبوس: " فجرد يوسف بن تاشفين عسكرا جرارا من مرابطين وعرب وأندلس الشرق والغرب بقيادة محمد بن الحاج " [1].

---

(4) هي مدينة في ثغر الأندلس، وهي قاعدة كور شنتبرية، بنيت من طرف الفتح بن موسى بن ذي النون، تقع على نهر يأتيها من أعلاها ويسميها ابن أبي زرع بإقليج، واشتهرت أكثر أثناء حصار المرابطين لها 501هـ/1108م، أنظر: الحميري عبد المنعم، صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، دار الجيل، ط2، بيروت، 1988، ص 28، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 159، 160.

(1) حسين مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص 41.

(2) ابن القطان، المصدر السابق، ص 10، حمدي عبد المنعم، تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دولة علي بن يوسف المرابطي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت، ص 297.

(3) الكراديس كتائب وفرق الجيش، وأصل الكلمة يوناني Χοοϖιτσ وتعني الكتلة أو الكتيبة، وهو نظام تعبئة يختلف عن نظام الصف يضم ما بين 105 إلى 150 مقاتل وهو جزء من الكتل التي تضم ألف مقاتل، ولكل كردوس قائده الخاص، وهو تنظيم دقيق به فرجات مناسبة تخضع لطبيعة الأرض وسلاح العدو، أنظر: الهرثمي صاحب المأمون، مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبد الرؤوف عون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ط1،

وانخرطوا في عهد عبد المؤمن بن علي، حيث لاحظ أن جيشه لا يكفي خاصة الطاقات التي قتلت في محاربة المرابطين، وقد استطاع عبد المؤمن بسياسته وحنكته أن يحول سلبيتهم إلى إيجابيات فاعلة في جيشه، حيث مدحهم ومدح ماضيهم الحربي وضرورة إحيائه لمحاربة المسيحيين، وأنهم هم الوحيدون القادرون لهذه المهمة، وهذه خطة جديدة للتجنيد، حيث طلب منهم عشرة آلاف لمقاتلة النصارى (2).

والسياسة نفسها اتبعها أبو يعقوب المنصور في تجنيدهم ورفع معنوياتهم لغزوة الأندلس سنة 566 هـ/1170م بقصيدة يقول فيها:

أقيموا صدور الخيل نحو المغارب	لغزو الأعادي واقتناء الرغائب
ألا فابعثوها همة عربية	تخف بأطراف القنا والقوضب
بكم نصرة الإسلام بدءا قصره	عليكم وهذا عوده جد واجب (3)

فاستجابت له إفريقية والزاب والقيروان وكان عدد الخيل الواصلة من إفريقية وتلمسان خمسة آلاف فارس (1).

القاهرة، 1961، ص 24، ابن منظور لسان الدين، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1994، ج2، ص 63، فاروق عمر فوزي، المرجع السابق، ص 207.

(1) ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 107، 108، أمين النفوري، العرب والتسليح وتحديات التكنولوجيا قديما وحديثا، المجلة العسكرية، عدد 5، منشورات المحافظة السياسية للمتحف الوطني، الجزائر، 1972، ص 14، 18.

(2) فايزة كلاس، الجيش عند الموحدين، مجلة دراسات تاريخية، لجنة كتابة تاريخ العرب، السنة العاشرة، العدد 31، 32، آذار/ حزيران، دمشق، 1989، ص 204.

(3) نفسه، ص 203.

أما في معركة فحص جلاب560هـ/1164م برهنوا على خبرتهم القتالية ومهارتهم في ضرب الأعداء بالسيوف العربية التي كان لها الأثر في الانتصار، كما أوكلت لهم مهمة حماية المدن التي فتحت [2].

ويصف لنا ابن الأثير شجاعة العرب في هذه المعركة حيث يقول: " لقد أظهر العرب من الشجاعة ما لا يوصف وصار الفارس من العرب يبرز بين الصفين ويطلب مبارزة الفارس المشهور من الفرنج فلا يبرز إليه أحد " [3].

إن مشاركة العرب في الجيوش المرابطية والموحدية بسبب الدعوة للجهاد التي توقظ عندهم الشعور الديني وروح التضامن مع باقي المسلمين، ففي الحرب ينسون خصوماتهم ونزاعاتهم ويرفضون المساواة النصرانية.

ومن الأمثلة التي تؤكد أن العرب رفضوا الاستعانة بالنصارى على إخوانهم عندما حدث الخلاف بينهم وبين الموحدين على بعض المصالح، حيث قدّم روجر الثاني ملك صقلية عرضا لهم يقضي بتقديم العون والمساعدة ضد الموحدين فرفضوه رفضا قاطعا [1].

اللفيف الأجنبي: ويضم الفرق الآتية:

---

(1) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 412.

(2) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 198، عبد الحق الصادق الشيباني، بنو هلال في المغرب والأندلس 452-668 هـ/1060-1270 م، رسالة دكتوراه، 2001، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص 325، 327.

(3) ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، مراجعة محمود يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987 ج9، ص 120.

(1) عبد الحق الصادق الشيباني، المرجع السابق، ص 306.

الأغزاز[2]:وهي التسمية العربية لهذه القبائل ذات الأصول التركية، والتي قامت بدور هام في الجيش الموحدي، حيث كانت مختصة في الرمي الذي أجادته، حيث كانوا يحملون قسي خاصة بهم تعرف بقسي الغز، وكان السلطان يقدر الشجاعة والعصبية اللتان يتميز بهما الأغزاز، وهي مفيدة ولها نوع خاص في أساليب القتال، وكان المنصور يميل إلى الغز ميلا خاصة، ويظهر ذلك من خلال حفاوة الاستقبال والترحيب بهم [3]، ولما استسلم للمنصور عدد وافر من الأغزاز في قابس وقفصة جندهم ونقلهم معه إلى مدينة مراكش، واتخذهم رماة في غزواته في الأندلس فصارت لهم شهرة خاصة رماة سبتة، فكانوا يحتلون الصفوف الأمامية في الجيش، ودورهم شبيه بالمدفعية في الجيوش الحديثة[1]، كما أسندت لهم مهمة حماية الثغور لشجاعتهم ونكايتهم بالعدو وكافأهم المنصور مقابل الخدمة، كمنح رؤسائهم أكبر الإقطاعات مساحة وفائدة تساوي أو تفوق أحيانا إقطاعات بعض أقاربه، زيادة على العطاءات الضخمة التي كانت تمنح لهم،

---

(2) الغز Oγηυζ هي التسمية العربية لفرع من الأتراك الذين كانوا يسكنون قبيل ظهور الإسلام مساحة واسعة من أواسط آسيا تمتد من تخوم الصين شرقا إلى البحر الأسود غربا، وبعد أن اعتنقوا الإسلام في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي عرفوا لدى المؤرخين العرب باسم التركمان، وسيطروا على معظم بلدان الشرق الادنى في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، وفي المصنفات المغربية ترد الأسماء كالغز والأغزاز والغزيون والغزية للدلالة على الجنود المرتزقة من التركمان الذين جاؤوا إلى شمال إفريقيا عن طريق مصر بدءا من منتصف القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، أنظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 167، فايزة كلاس، المرجع السابق، ص 215، أمين الطيبي، الغز (الأغزاز) وقدومهم إلى المغرب والأندلس على عهد الموحدين، أعمال المؤتمر الثاني للعلاقات العربية التركية، ديسمبر 1982، ج1، تنسيق عقيل محمد عقيل البربار، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ليبيا، ص 45، عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت، 1983، ص 122، 123.

(3) هوبكنز ج.ف.ب، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تعريب أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1980، ص 153، 154.

(1) أمين الطيبي، المرجع السابق، ص 46.

فأطاعوه حتى أنهم انقلبوا ضد بني غانية وحاربوه عندما أحيا ثورته ضد الموحدين عام 605 هـ/1208م[2].

الأندلسيون:

شكّلت القوات الأندلسية في الجيش المرابطي والموحدي دعامة أساسية حيث شاركت في جميع الحروب ضد الفرنجة سواء في البرتغال أو الممالك الإسبانية وتمتاز هذه القوات بقوتها وشجاعتها القتالية، فكانت تقاتل في طليعة الجيوش نظرا لدرايتها بفنون القتال والخدع الحربية [3]، وهم الذين يرمون بقوس الرجل وعددهم يزيد على ألفي فارس، ويعود وجودهم في المغرب إلى أيام المرابطين، ولعل نموذج معركة الزلاقة والمشاركة النوعية للأندلسيين تحت قيادة ابن صناديد دليل على أهمية هذه الفرقة في التشكيلة العسكرية المرابطية [4].

كما شكّل الموحدون منهم فرقا عسكرية متنقلة على شكل حملات عسكرية لحماية الثغور ونشر الأمن والاستقرار، كما أقاموا كتائبا عسكرية متمركزة في نقاط هامة، كخط دفاع أول لصد أي هجوم مفاجئ من قبل الفرنجة[1].

وكانوا أدرى واعلم بمسالك بلاد الأندلس وبفنون قتال الفرنجة نظرا لاحتكاكهم بهم، فكانوا العقل المدبّر في الحروب التي خاضوها تحت لواء الجيش المرابطي والموحدي[2].

---

(2) ابن عذارى، قسم الموحدين، ص 232، فايزة كلاس، المرجع السابق، ص 205، الحسين إسكان، المرجع السابق، ص 133.

(3) فايزة كلاس، المرجع السابق، ص 205.

(4) نضال مؤيد مال الله، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني 685هـ-706 هـ/1286-1306م، ماجستير، جامعة الموصل، العراق، 2004، ص 81

(1) فايزة كلاس، المرجع السابق، ص 206.

السودان:

وهم مماليك من أصل زنجي سود البشرة يسكنون القصر ويضم الوصفان والأعلاج، حيث تميزت بالشجاعة والتحمل أثناء القتال بسبب المؤهلات البدنية العالية فكوّن منهم يوسف بن تاشفين فرقا عسكرية واشترى ألفين سوداني، فانتشرت هذه الحاميات في جل المدن المغربية المهمة، وشاركوا بأربعة آلاف في معركة الزلاقة كما ساهموا كذلك في حملة عسكرية على طليطلة لاسترجاعها، وأثناء المواجهات المرابطية الموحدية قتل حوالي ثلاثة آلاف سوداني [3].

وقد أدت الحروب مع الوثنيين إلى كثرة السودان الذين استخدموا في مناجم الملح ثم كونوا فرقة عسكرية خاصة في الجيش المرابطي [1].

كما شاركوا في عمليات التصفية للقبائل الخائنة لعبد المؤمن، من ذلك أنهم حاصروا قبيلة جزولة سنة 539 هـ/1144م وقدموها له، كما أوكلت لهم مهمة تنفيذ أحكام القتل والإعدام لكل من ارتكب خيانة وثار ضد الحكم، وهذا ما حصل مع الخليفة السعيد عندما ثار ضده عرب الخلط فانتقم العبيد منهم بالإعدام والسم، وكانت فرقة العبيد تدخل المعركة في لحظاتها الأخيرة لانتزاع النصر، والتي تتقن تكتيك الطعن والإيقاع بفرسان

---

(2) ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الأعلام، ص 242، فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 110، 119، فايزة كلاس، ص 206،.

(3) نضال مؤيد مال الله، المرجع السابق، ص 81، إبراهيم القادري بوتشيش، الأساس العسكري في دولة المرابطين، مجلة الحرس الوطني، العدد 156، أغسطس، الكويت، 1995، ص 38.

(1) سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس في عهد يوسف بن تاشفين، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1985، ص 18.

النصارى والتعدد في استخدام الأسلحة كالخناجر والمزاريق، وامتازت بتدريب جيد مذهل، وهم الذين تغلغلوا بطرق مدهشة في معركة الزلاقة وطعنوا ألفونسو السادس في فخذه(2).

الكتائب المسيحية:

إن مسألة جلب العناصر المرتزقة لحماية الأسرة الحاكمة ليست قضية جديدة إذ ظهرت منذ عصر المرابطين، وتقترن هذه العناصر بانتقال القبيلة السائدة إلى مرحلة الترف، وتشتد في أوقات الأزمات مما تستدعيه ظروف التصدي للتمرد القبلي واستئصال شأفته، ومن ثمة تدعيم عصبية القبيلة، ولما كانت الدول المتوسطية وخاصة إسبانيا أقرب المناطق للمغرب فإن جلب فرق عسكرية منها صارت مسألة بديهية (1).

والسمة البارزة لهذه الكتائب العسكرية لم تعد متكونة من أسرى الحروب كما هو الحال في العصر المرابطي، بل صاروا رجالا أحرارا التزموا ملوك الموحدين وقدموا من مختلف البلدان الأوروبية، وقد أضافت هذه الأقليات الرومية الكثير من خبراتها في خدمة الدولتين، فامتازوا بالصبر والخدمة واتقان آلات الحرب وهم أكثر دراية بالرمي بالسيف ورسم المكائد والحيل(2).

إن أول إشارة لظهور كتائب عسكرية من البلدان المتوسطية المسيحية في العصر الموحدي بدأت بالخليفة أبا يوسف يعقوب المنصور 580-595 هـ/ 1184-1198م،

---

(2) فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 108، محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1990، ص 218.

(1) إبراهيم القادري بوتشيش، الجاليات المسحية بالمغرب الإسلامي خلال عصر الموحدين، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، العدد 28، السنة السابعة، لبنان، 1995، ص 81.

(2) العباسي الحسن بن عبد الله، المصدر السابق، ص 291، ابراهيم القادري، بوتشيش، الجاليات المسيحية بالمغرب الإسلامي خلال عصر الموحدين، ص 82، 83.

حيث شيد لهم قصرين كبيرين وأسكن فيها عددا من الجند الرومي بلغ عددهم حوالي الألف، واستعموا كحرس خاص، ثم تزايد عددهم في عهد الخليفة المنتصر 610-620 هـ/1213-1223م، وأصبحوا يتكونون من مجموعتين: مجموعة مكناسة تحت قيادة قائد قشتالي يدعى ابن أخت ألفونسو ومجموعة مراكش تحت قيادة أمير برتغالي[3].

وكان تاشفين بن علي يضع ثقته فيهم حيث يختار بعضهم لمناصب عليا في القصر، ويعين آخرين في الجيش مثل رفرتر Ρεϖετερ[1]، كما نجد شخصية أخرى ساهمت في الجيش الموحدي هي شخصية كونسالفو، وهو من الذين اعتنقوا الإسلام يسمى أبا زكريا يحي بن كونسالفو اللاجئ، ويعرف أيضا باسم ابن أخت ألفونسو نصب قائدا لفرسان الدولة، الذين كانت مهمتهم محاربة عمليات التمرد والسلب التي يقترفها الرحل من البدو [2].

ومن الأمثلة على ذلك استقدام يوسف بن عبد المؤمن سنة 558 هـ/1163م من الأندلس Γεραλδο Σεμπαϖορ من البرتغال على رأس فرقة من ثلاثمائة وخمسون فارسا، استعملت في قمع الثورات، ولكنه قتل عندما تأكدت السلطة الموحدية أنه يعمل لصالح ملك البرتغال ألفونسو هنركيز (ابن الرنك) وهذا دليل على فطنة المؤسسة العسكرية ودرايتها بالعناصر الدخيلة وكيفية عملها، كما برز في عهد الرشيد من القادة

---

(3) إبراهيم القادري بوتشيش، الجاليات المسحية بالمغرب الإسلامي خلال عصر الموحدين، ص 82.

(1) اتخذ اسم أبا الحسن علي بن رفرتر، ظل خادما وفيا للموحدين، عٌين على ميورقة وقلد المركز الأعلى للجيش، ألقي عليه القبض فخادع الحراس وهرب بحيلة توفي في معركة غمارة ربيع الآخر 583 هـ جوان 1187، أنظر: خوسي أليماني، الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة، مجلة الأنوار، عدد 19، يوليو-أغسطس 1950، تطوان، ص 06، 07.

(2) خوسي أليماني، المرجع السابق، ص 07.

الروم مثل مرقسيل، وأبو ضربة، وبلغ عددهم في عهد الدولة الموحدية أحد عشرة قائدا، وينتشرون في فاس وسجلماسة[3].

وترجع علاقة الروم بالدولة الموحدية إلى البدايات الأولى لهذه الدولة، عندما تواطأ الروم العاملون في الجيش المرابطي مع عبد المؤمن لتسهيل فتح مراكش، وفيما بعد عمل على تجنيد هذه الفرقة سنة 542 هـ/1147 م ضمن الجيش الموحدي.

كما استخدمتهم السلطة خاصة في عصر المأمون في محاربة الأشياخ والعرب على حد سواء[1]، بينما استخدمهم يوسف بن تاشفين كحرس خاص شخصي للاستفادة من تقنياتهم العسكرية، حيث يتميزون بالثبات، فحاربوا بنفس فنون القتال المسيحية فكانوا خطوطا أمامية للمرابطين والموحدين[2].

وكان لهذه الكتائب المسيحية مراكزا يقيمون فيها على شكل تجمعات عسكرية وذلك للانضمام للجيوش الموحدية أثناء توجهها للمعارك، ويفهم من ذلك من خلال قول ابن عذارى أن بتارودانت اخذ شيوخ الموحدين مع جماعة من أجناد المسلمين والروم ساكنين

(3) ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972، ص 60، إبراهيم أنوار، الشيخ أبو محمد عبد الله وانو دين نموذج لعلاقة المخزن، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 164- السلطة المركزية والزعامات المحلية بالجنوب المغربي- كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تنسيق أحمد عمالك وآخرون، ط1، الرباط، 2010، ص 41.

(1) المرجع نفسه، ص 44.

(2) القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، ط1، بيروت، 1989، ص 47، فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 109.

هناك [3]، وفي جانب الأسطول الموحدي استخدموا للاستفادة من تقنياتهم في قيادة السفن الحربية، وكانوا يجلبون بواسطة تجار من إنجلترا وألمانيا [4].

القبائل المحلية:

اعتمد المرابطون والموحدون على القبائل المحلية في فتح المغرب، وكانت تعرف في العصر المرابطي بفرق الملثمين من لمتونة وجدالة وحلفائهم الذين اضطلعوا بعبء الكفاح، كما اشترك الزناتيون مع المصامدة والصنهاجيون في معركة الزلاقة[1].

تميزت هذه القبائل بالشجاعة ويظهر ذلك من خلال الأبيات الشعرية الآتية:

سيوف صنهاجة في كل معترك ... تأبى لأطياره أن تصف الخبر

وحولك الصيد من لمتونة وهم ... أبطال يوم الوغى ولا نجم الزهر [2]

ويضيف البكري صفات أخرى بقوله: " ولهم في قتالهم شدة وجلد وهم يختارون الموت على الانهزام ولا يحفظ لهم فرار من زحف وهم يقاتلون على الخيل والنجب وأكثر قتالهم رجالة " [3].

---

(3) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، ص 399، 405.

(4) عبد الحق المريني، المرجع السابق، ص 39.

(1) حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 377، 378.

(2) السلاوي أبو العباس الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري وآخرون، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ص 35.

(3) أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص 166.

كما اشتهرت صنهاجة كذلك بقواسين مهرة بسهام مريشة ذات أسنة فولاذية [4] هذه القبائل وما تحمله من إرث حربي استفادت منه الدولتان في عماليتها العسكرية خاصة وأن النظام كان مصدره القبيلة.

وما يلفت النظر في هذا التنوع في عناصر الجيش هو انصهارها في بوتقة الدين، الذي أدى إلى ارتفاع الجانب المعنوي، خاصة وأن كل قبيلة وعرق يعملان على أن يكون نموذجا للأخر في الشجاعة والمغامرة والمبادرة وإظهار فنون قتاله، فحدث تنافسا بين هذه الأجناس تصب كلها في قالب الانتصار [1].

وما نستنتجه من هذا الأسلوب أن المؤسسة استثمرت في العنصر البشري وفعّلته وجعلته أكثر عطاءً ومردودية، فكان نموذج نوعي التكتيك وهذا يدل على تفتح المؤسسة العسكرية في الدولتين وعدم انغلاقها.

(4) الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية من القرن 10م/12م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1992، ج2، ص 142.

(1) عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص 48.

المبحث الثالث: الإعداد المادي :

أهمية التموين والمال والغذاء وحرب المياه في العملية الحربية للدولتين.

يعتبر التموين [2]عنصرا هاما في عملية الصمود والنفس الطويلة في الحرب فعليه تتوقف الخطط والأهداف ودونه تكون عملية مبتورة الرأس فهو عنصر محوري في العملية الحربية.

ويقصد به إعداد الجبهة الاقتصادية بتحويل الاقتصاد من مدني إلى حربي ويتم بوسائل عدة، منها توجيه معظم الموارد للمجهود الحربي لما يعنيه ذلك من تعطيل جزئي لبعض الخطط الاقتصادية المدنية وتوجيه السياسات المالية والسعرية والادخارية لتخدم الإنتاج الحربي المباشر وكذا الحد من الاستهلاك وبناء المخزون الاستراتيجي اللازم، ثم ضرورة وضع الوسائل الاقتصادية اللازمة لتجاوز مخلفات الحرب على الجبهة الاجتماعية والاقتصادية لما يصاحب الحرب من انخفاض في الصادرات وزيادة في الواردات [1]، فالمعركة الاقتصادية جزء من هذه المواجهة ضد العدو، وهي من أقدم الحروب التي عرفتها البشرية، وتعني الصراع على الموارد الاقتصادية ومحاولة امتلاكها والسيطرة على مصادرها الحيوية [2].

---

(2) المؤن أصلها في اللغة مون يمون مانه أي احتمل مؤنته وقام بكفايته فهو ممون، ويقال مان الرجل أهله أي كفاهم وقدم لهم ما يحتاجونه المؤونة هي القوت وما يدخر منه، وبيت المؤونة هو ما توضع في المؤونة، والموان هو الذي يسعى إلى جمع المؤونة وتقديمها وعموما هي نظام تتبعه الدولة لتأمين حاجة رعاياها (أنظر: مشتاق بشير الغزالي، مؤين المسلمين في غزوات عصر الرسالة، مجلة كلية التربية للبنات، بغداد، 2007، ص 172.

(1) بلهول نسيم: أبجديات الثقافة الحربية، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 55.

(2) سيار الجميل، الحرب ظاهرة تاريخية، مدخل من أجل فهم سوسيولوجي، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد 02، المجلد 36، أكتوبر ديسمبر، 2007، ص 25–26.

واستعمال أسلوب الغذاء قديم نلاحظه عند الرومان في إسبرطا[3]، لذلك فالجيش في الميدان يحتاج إلى عناصر تموينية كثيرة كالحيوان منها الجمال والأحصنة، السلاح الطعام والعلف، أي يعتمد على الإمداد والإعاشة [4]، كما يستعمل الغذاء كطعم لقتال العدو وفي هذا الصدد يقول ابن منكلي: " وإذا فتح المسلمون حصنا ووجدوا فيه مأكولا أو مشروبا فلا يبادرون بالتناول منه، فربما يكون مسموما مدخرا لمثل ذلك " [1]، وهو تكتيك للمواجهة بأسلوب آخر لتسهيل وتسريع عمليات القتل والإبادة والقضاء الكلي بجهد أقل.

ثم إن شرعا يجوز للمسلم أن ينصب على الأعداء حصارا غذائيا لتسريع استسلامهم [2]، وهذا كله لا بد له من استعداد لإنجاح هذا العنصر في الحروب، لذلك أكد الإسلام على ضرورة ربط العسكرية الإسلامية بين الإستراتيجية والاقتصاد برباط وثيق

---

(3) من ذلك أنه عندما حوصر الترقيين نقلوا المواد الغذائية إلى الجبال وأنهم سيصمدون فقط على أمل أن تستجيب قوات كليارنوس عن حصارهم بسبب النقص في التموين لديه، ولكنه استطاع أن يوهم ويقنع أعداءه باستمرار الحصار حيث عمد إلى قتل أحد الأسرى وقطع لحمه ووزعه على خيام جنده وعدت للأكل، فاعتقد الترقيين أنه يأكل كل شيء ولكي يكف عنهم عرضوا عليه الاستسلام سنة 401/402 ق.م وفي مقام آخر نجد كذلك أنه عندما أعلن لوزونيس أنهم لا يخشون الحصار بسبب تمتعهم بتموين كبير يكفيهم لمدة عشر سنوات قال كرانوس أنه سيحتل المدينة في السنة الحادية عشر، فأخافهم هذا الكلام لدرجة أنهم استسلموا فورا رغم المواد الغذائية التي كانت لديهم 179/189 ق.م. (أنظر فونيسيوس: خدع حربية، ترجمة عبد الله فؤاد كحيل، دار الفارابي، بيروت، 1986، ص 114).

(4) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف، مصر، 1961، ص 122.

(1) محمد بن منكلي: الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، تحقيق محمود شيت خطاب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1988، ص 222.

(2) ففي الجانب الشرعي يؤكد الشيباني على أهمية هذا العنصر في اكتساب الحرب، ويؤكد أن المسلمين عندما يحاصرون حصنا فلا ينبغي أن يبيعوا لأهل ذلك الحصن طعاما ولا شرابا ولا شيئا يقويهم، لأن الهدف من الحصار الغذائي هو ضرورة نفاذ العولة عليهم واستسلامهم والأحداث التاريخية تؤكد لنا أهمية هذه النقطة قديما وحديثا (أنظر محمد بن الحسنالشيباني: شرح كتاب السير الكبير، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة شركة الإعلانات الشرقية، ج1، القاهرة، 1971، ص 1243).

يصبان في قالب واحد وهو القوة [3]، يعني تسخير الاقتصاد في خدمة الأمة الإسلامية لاعتبارات عسكرية ويعرف باقتصاد الحرب وأن يكون البنيان الاقتصادي قادرا على التكيف مع متطلبات الحرب وحاجاتها [4].

وتستند الدول في إعداد جيوشها إلى قوة مداخيلها مقتطعة جزء منها تعتمده في ميزانية خاصة للتعبئة عددا وعدة، فكلما زاد حجم الإنفاق زادت نسبةالنجاح [1].

ويؤكد الأستاذ يوسف القرضاوي أن الإعداد الاقتصادي يتطلب أمورا أساسية منها ألا تكتفي الأمة بالزراعة وحدها مغفلة الجوانب الأخرى التي تتطلبها الأمة القوية مثل الصناعات المختلفة وفي مقدمتها صناعة الحديد التي أشار القرآن إلى أهميته في الحياة العسكرية، ويعني تعبئة جميع موارد الدولة البشرية والمادية لتحقيق التفوق[2].

وضرورة توفير المال اللازم للإنفاق على الجهاد ومتطلباته وجب فيه إشراك خبراء عسكريون يشيرون على الاقتصاديين والماليين بما توجبه الأهداف والضرورات والخطط

---

(3) يقول الله عز وجل في سورة الأنفال: " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ورباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم..." " وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفى إليكم وأنتم لا تظلمون " الآية 60. الآية تحمل جميع مصادر القوة المادية والمعنوية وهو ما يعبّر عن الاقتصاد من مال وإنفاق، محمد جمال الدين محفوظ، العسكرية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ص 26.

(4) محمد جمال الدين محفوظ، المرجع السابق، ص 27.

(1) موسى هصام، الجيش في العهد الحمادي 405 هـ/547 هـ 1014م /1152 م، رسالة ماجستير، 2000–2001، جامعة الجزائر، ص 39.

(2) السورة المقصودة في القرآن هي: " وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس " سورة الحديد الآية 25، أنظر: يوسف القرضاوي: فقه الجهاد دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة، منشورات جريدة الشروق، الجزائر، العدد 2446 ص 19، هيثم كيلاني، الإعداد الاقتصادي للحرب، مجلة الدفاع، السعودية، العدد 61، 1406هـ، ص 16، السورة المقصودة في القرآن هي: " وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس " سورة الحديد الآية 25.

العسكرية من متطلبات حتى لا تفاجئ الأمة عند المعركة بفقدان هذه الضروريات التي قد لا تتوافر عند خصومها، بمعنى أن إعداد الجبهة الاقتصادية لخوض الحرب لا يكون أمرا ارتجاليا وإنما يكون باستشارة وتنسيق بين الجيش وأصحاب الأموال [3].

فهل عنصر إستراتيجية التموين في الحروب كان حاضرا في الفلسفة العسكرية لدولتي المرابطين والموحدين ؟

لقد اهتمت الدولتان بعنصر التموين اهتماما بالغا، حيث خصصت مصادر تموينية لذلك كحاصل الضرائب والزكاة وعائدات النشاط التجاري والمساهمات العينية للقبائل والغنائم وفدية الأسرى [1].

وكانت الدواب المحملة بالأقوات والخيام – في المؤخرة – تصحب الجيش في سيره إلى المعركة[2].

كما اهتمت الدولتان بإطعام الجيش باعتباره محور العملية الحربية وحامي الدولة حتى أنهما أنشأ وظيفة تسمى صاحب الطعام، الذي يشرف على طعام الجند وإعداده لهم في المعسكرات في أوقات منتظمة.[3]

(3) أبو حمو موسى الزياني، المصدر السابق، ص 200، 201، يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص 19.

(1) رسائل موحدية، تحقيق أحمد عزاوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قنيطرة، ط1، 2001، ج2، ص 239-243، حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي ط1، القاهرة، 1980، ص 209-211، علي محمد الصلابي: الجوهر الثمين لمعرفة دولة المرابطين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، القاهرة، 2003، ص 198.

(2) يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، القاهرة، ط2، 1996، ص 391.

وتطورت عملية إطعام الجيش بالتطور الجغرافي للدولتين وتوسعهما في المغرب والأندلس، فالمرابطون كانوا في البداية صحراويين يعيشون على اللبن ولحوم الأغنام المجفف والمطحون القديد وكذا العسل، وكان الجند يشترون بأنفسهم طعامهم من الأسواق ثم تطورت صنوف الأكل باحتكاكهم بالأندلسيين خاصة عند استحداث معسكرات مؤقتة لتجميع الجنود أو ما يعرف عندنا حاليا بـ Τρανσιτε أي مركز تجمع وعبور واستراحة وإطعام لإكمال المسيرة الموكلة إليهم (1)، ويضيف لنا ابن عذارى في العهد الموحدي وظيفة تسمى خازن الطعام (2).

ولعل مدينة جبل الفتح التي بناها عبد المؤمن ابن علي سنة 555 هـ/1160م كانت مركزا أساسيا لتموين أقاليم العدوتين بالمواد الغذائية وتوزيعها، لأنها مركز تحويل المواد الأولية إلى استهلاكية، حيث كانت بها رحى تطحن الأقوات بالريح وهو عمل فريد من نوعه، لأن الطواحين في تلك الفترة كانت تدار بالمياه، ويرجع الفضل في بنائها إلى المهندس المالقي الحاج يعيش (3).

---

(3) القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 139-207، فتحي زغروت: المرجع السابق، ص 149، عز الدين موسى، الموحدون نظمهم وتنظيماتهم، ص 242

ρεϖυε δε λ□οχχιδεντ μυσιλεντ ετ δε λα μ⌈διτερραν⌈ε, Τομ 1, ριταβλιε παρ πιερρε Β οψερ, εξπροϖενχε, Μαρχελλε , Π 105.

(1) فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 150.

(2) ربما هناك فرق بين وظيفة صاحب الطعام وخازن الطعام، فالأول حسب اعتقادنا مسؤول على الطهي وإعداد الوجبات بينما الثاني مسؤول على تخزين المواد الأولية الغذائية، فهناك علاقة تنسيق، أنظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، دار الثقافة، ط1، بيروت، الدار البيضاء ، 1985، ص 158.

(3) أحمد مختار العبادي، صور من حياة الجهاد في الأندلس، منشأة المعارف، ط1، الإسكندرية، 2000، ص 216.

وعند فتح مدينة أبله 568 هـ/1173م من طرف الموحدين استزادوا بالأعلاف والأكل وما يكفيهم في سفريتهم العسكرية المنصورة، أعطى دافعا قويا للانتصار على غومس وفتحوا المدينة واستفادوا استفادة مادية تمثلت في الأغنام الدروع البغال والحمير [1].

كما شهدت فترة أبى يعقوب بحبوحة مالية واكتفاء غذائي ممتاز وفي هذا الصدد يقول صاحب الحلل الموشية: " وزادت المخازن إثر ذلك وفورا ونمت الأرزاق وعمرت الأسواق بالبيع والتجارة الرابحة ودارت على الناس الخيرات درورا وكثر المال..." [2].

ولما احتل يوسف بن تاشفين الجزيرة حفر الحفير وشحنها بالضروريات كالأطعمة والأسلحة [3]، كما كان الجيش يتزود بالمؤونة الغذائية أثناء مروره بالمدن من ذلك ما فعله المتوكل بن الأفطس من تقديم مساعدات غذائية كبيرة شملت الأسلحة والعلف [4].

كما قدم المنصور تعليمات صارمة على ضرورة توفير الأقوات والأعلاف وإصلاح المسالك عند تحركه إلى مدينة قفصة [5].

ومن الأدلة التي تثبت مدى حرص القيادة الموحدية على الاستعداد الغذائي لمواجهة الطوارئ ما وجده ابن همشك وحلفاؤه عندما فتحوا حصن غرناطة 502

---

(1) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 432.

(2) مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، المصدر السابق، ص 266.

(3) المصدر نفسه، ص 51.

(4) نفسه، ص 53.

(5) ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 186.

هـ/1102 م، من مخازن مملوءة بالأقوات والآلات وهذا يقدم لنا دليلا على حسن اليقظة والتخطيط [1].

وفي سنة 616 هـ/1219م عند حدوث المجاعة أمر المستنصر بالله بفتح المخازن المعدة لاختزان الطعام ففتحت للعامة ووزعت عليهم [2]، ولم يكن هذا الأسلوب حكرا على المرابطين والموحدين، بل استعمل من طرف النصارى أي ما تسمى بالحرب الاقتصادية المضادة، حيث يذكر ابن عذارى أن النصارى عندما احتلوا مدينة شنقية جلبوا لها الأقوات وعملوا على تقويتها بالعدد والآلات.

كما كتب عبد المؤمن بن علي إلى عماله قبل ثلاثة أعوام من حركته إلى إفريقية 550هـ/1154م يأمرهم أن يحفظوا جميع ما يحصدون من غلات وترك الزرع في سنبله وتخزينه في مواضعه، وطبقوا هذه التعليمات ونقلوا الغلات إلى المنازل التي على الطريق التي يمر عليها الجيش، وطينوا عليها وصارت كأنها تلال.[3]

كما يقدم لنا ابن عذارى كذلك مثالا حيا على قمة المساعدات الغذائية التي تقدمها الدولة الموحدية في بعض الأزمات الطارئة، كالمساعدات التي قدمت لأهالي بطليوس فعند ضعف المدينة وحاجتها للأقوات وسيادة الحصار وقطع كل المرافق الحيوية الداخلية على المدينة من طرف الروم سنة 565 هـ/1169م، حُملت إليها الأطعمة من مدينة ميرة التي كانت أكبر مطمور لتخزين الأطعمة، ولعل تخصيص خمسة آلاف دابة لنقل هذه

---

(1) نفسه، ص 186، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 196، عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988، ص 172.

(2) نفسه، 266-267.

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص 297، الناصري، الاستقصاء، ج2، ص 131، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 297، 298، 299.

المساعدات دليل على وفورها وعلى سياسة التخزين الحكيمة، التي اتبعتاها الدولة فأسست بذلك قاعدة للتموين [1].

ويعتبر الماء من المؤن التي يتجهز بها المقاتل لا سيما في منطقة يغلب عليها الطابع الصحراوي، وهذا ما نجده في المرحلة الصحراوية المرابطية ضد غانا وما جاورها.

ونعتقد أن من بين المؤن في المرحلة الصحراوية للمرابطين هي الماء والتمر لأنه غذاء متكاملا، أما في مرحلة قوة الدولة سواء المرابطية أو الموحدية أضيف خبز الشعير.[2]

أما العنصر الثاني والذي يمثل المال فيعتبر عصبا حيويا، إذ يتوقف عليه التخزين الغذائي والعكس بالعكس، لذلك نجد هذا العنصر تجسد في حركية المؤسسة العسكرية المرابطية والموحدية، من ذلك مساهمة الأقاليم في الحرب عن طريق المساعدات المالية فهند جواز أبا يعقوب بن عبد المؤمن بالأندلس للجهاد قدم له دعما ماليا من مراكش وتلمسان حتى وصل إلى خمسون حملا من المال الصامت [1]، كما أن الاستعداد للمعارك الكبرى كالزلاقة 479 هـ/1086م، العقاب 609 هـ/1212م الأرك 591 هـ/1195م وكذا قمع الثورات وحركات التمرد يحتاج إلى رصيد مالي كبير أدى إلى

---

(1) يقصد بذلك المنطقة المحصنة أو الإقليم أو المدينة التي تتمون منها القوات المحاربة بالأرزاق والعتاد والمعدات ويرسل إليها الجرحى والأسرى والمغانم، أنظر: ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 110-146، العقيد محمد صفا، الحرب، دار الرؤية العلمية للطباعة والنشر، ط2، 1981، ص 18.

(2) ويتم تحضيره بعد أن تحمص الحنطة والشعير ثم تطحن لتكون جاهزة فيحملها المسافر، فإذا تناولها مزجها باللبن والعسل والسمن ثم تعجن فإذا لم تتوفر تلك المواد مزجت بالماء، أنظر: مشتاق بشير الغزالي، مؤن المسلمين في غزوات عصر الرسالة، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، جامعة الكوفة، العدد 1، السنة 1، أيلول 2007، العراق، ص 172، 174، 175.

(1) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 116.

تحقيق نتائج عسكرية مهمة في المعارك المذكورة، ونقصه سبب الهزيمة في معركة العقاب [2].

ويمكن أن نعطي مثالا على حجم الإنفاق الموحدي على استهلاك الجيش للقمح والشعير أثناء خروجه من مراكش إلى بجاية والتي دامت سبعة أشهر من 06 شعبان 580هـ 19 صفر 581 هـ/12 نوفمبر 1184م بلغت مليون وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون وستمائة درهما، كما بلغت نفقات جيش المنصور من مراكش إلى تونس والتي دامت مائة وعشرون يوما 03 شوال 582 هـ/ 04 صفر 583 هـ17 ديسمبر 1186 م/ 15 أفريل 1187م مليون وتسعمائة وعشرون ألف درهما، كما أن الخلفاء الموحدين والمرابطين قد تعودوا قبل المسير إلى أي حرب أن يخرجوا البركة للجنود وهي هبات مالية تعطى للجند زيادة على رواتبهم لتقوية نفوسهم في الحرب [3].

وكلما زاد عدد الجيش تضخمت متطلباته وارتفعت معها بشكل موازٍ لوتيرة الجبايات، ثم أن حاجة خلفاء المرابطين والموحدين إلى جيوش نظامية جعلهم في حاجة دائمة للمال لتسديد نفقات تلك الجيوش أو ما يسمى باقتصاد الغزو [1].

فلا مال إلا بجيش ولا جيش إلا بمال، فهما أمران متلازمان إن ضاع أحدهما ضاع الآخر، وهذا ما نجده في خطأ السلطان أبا تاشفين المرابطي عندما فرط في جيشه أثناء محاصرة بني مرين له، حيث أمسك العطاءات فكانت هزيمته حتمية [2].

---

(2) الحسين بولقطيب، حفريات في تاريخ المغرب الوسيط، دار جذور للنشر، ط1، الرباط، 2004، ص 83.

(3) المرجع نفسه، ص 102-105.

(1) واعظ نويوة، أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية 580-633 هـ/ 1184-1235 م، رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، 2007-2008، ص 116-118.

ويمكن أن نقدم نماذج إحصائية (أنظر الملحق رقم 05) تبين لنا مدى التطور العددي للجيش المرابطي والموحدي في الحروب، والذي تطلب مسايرة مالية من طرف الدولة تضاهي حجم الجيش المنظم من خلال بعض الجمل التي أوردها ابن عذارى في بيانه المغرب، التي يمكن أن نستأنس بها في معرفة تجهيز الجيش والذي ينجر عنه نفقات ضخمة.

أما الجيش الموحدي وأعداده يمكن توضيحه بالجدول الذي يحتوي على الجمل الدالة على ضخامة هذا الجيش والتي تؤدي إلى زيادة النفقات لمواجهة هذه التهديدات فتوزع الجيش عبر هذه البؤر المتوترة قد يكون عملا شاقا ومكلفا (أنظر الملحق رقم 06)

كما نلاحظ أن المرابطين والموحدين قدر ارتفعت نفقاتهما المالية بشكل مذهل خاصة في الجبهة الداخلية أي في قمع الثورات والتمردات ضد الحكم، التي أدت إلى عجز الخزينة في الدولتين(1)، (انظر الملحق رقم 07 الذي يوضح بعض هذه الثورات في العصرين).

فمثلا أنفقت الدولة المرابطية للقضاء على حركة ابن تومرت سبعون ألف دينار من الذهب، وذلك ببناء الأسوار الضخمة لحماية المدن (2).

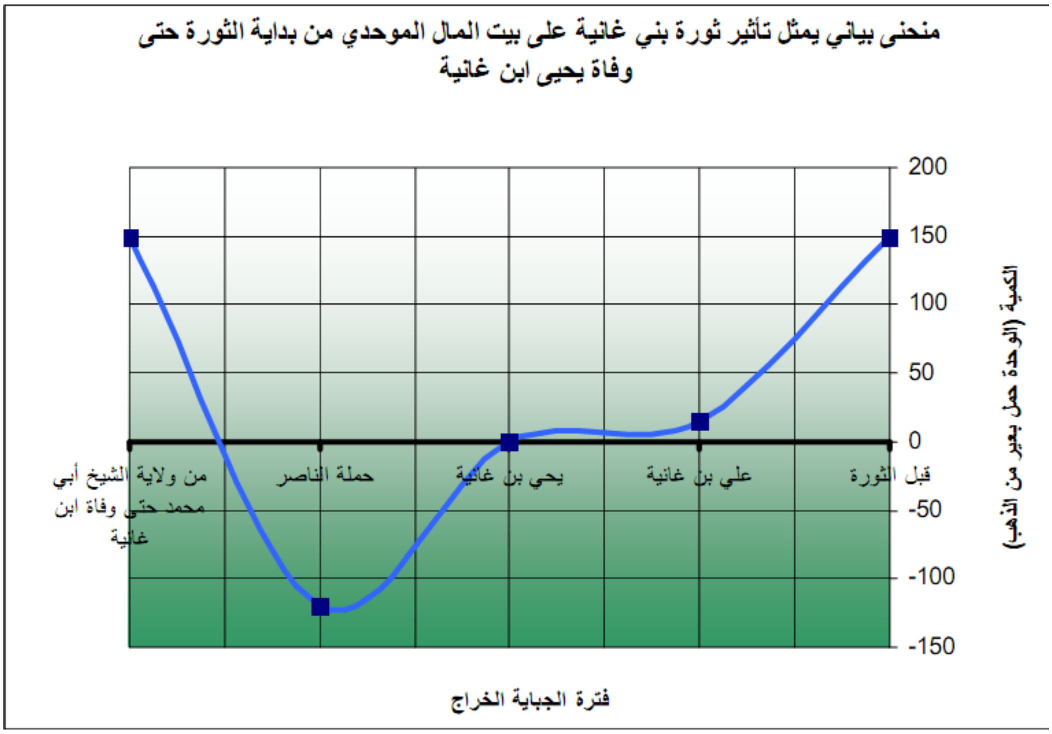
---

(2) أبو حمو موسى الزياني، المصدر السابق، ص 203، 204.

(1) هذه الثورات شملت قرطبة، غرب الأندلس، أركش، غرناطة، جيان، مالقة، واد آش، ثغر قادس، شاطبة، مرسية، قفصة، أنظر: السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج2، ص 111، ابن خلدون، العبر، ج6، ص 271، 274، البيدق، أخبار المهدي، ص 77، محمد العمراني، الثورات والتمردات بالمغرب الأقصى خلال العصر الموحدي، دار النشر المعرفة، الرباط، 2005، ص 47.

(2) ابن القطان، المصدر السابق، ص 228، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 111، عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 228.

كما يوضح لنا المنحنى الآتي نفقات الدولة الموحدية للقضاء على حركة بني غانية (580هـ/1184م)[3].



من خلال مسار المعارك والحروب الكثيرة المرابطية والموحدية وملاحقة المتمردين والصدام مع النصارى قد أدى إلى إنفاق وتخصيص أموال ضخمة ذات قيمة بل أنها شكلت أهم أوجه ميزانية الدولة وكذا الأموال التي تتطلبها مستلزمات الإعداد لهذه الحروب

---

(3) بنو غانية ينتمون إلى قبيلة مسوفة وهم أبناء عمومة قبيلة لمتونة وهم من بطون صنهاجة من أبناء علي بن يوسف المسوفي، الذي أنجب ولدين يحي ومحمد، ذلك أن الأول كان من قواد المرابطين فاستقر بجزر البليار وكان يغزوا بلاد الروم مرتين، فهابته أوروبا توفي سنة 579هـ/1189م ولم تخضع شوكة بني غانية للموحدين إلا في عهد الناصر، أنظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص 390، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 176، 177، واعظ نويوية، أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية 580 هـ-633 هـ/ 1184-1235م، رسالة ماجستير، بوزريعة، الجزائر، 2008، ص 106.

ومباشرتها من عطاءات الأجناد وتوفير السلاح والمؤونة[1]، وهذا يحتم على الدولة تخصيص احتياط محترم توظفه لقمع هذه الثورات، ويعرف باحتياط الطوارئ، الذي يتكون من المعدات والآلات والتجهيزات والمواد اللازمة لبدء وإدارة القتال في حالات الطوارئ لمدة قصيرة أو طويلة، ويحتفظ به في الوحدات والتشكيلات القتالية في وقت السلم بالقدر الكافي [1].

وهذا الاحتياط يسهل للدولة أن تواجه ما يسمى حاليا بالحرب الاقتصادية وهذا ما عرفناه في عنصر التحصين والحصار.

كما يوظف هذا الاحتياط كدعم لوجستيكي في المعركة لتأمين متطلبات قوات الجيش واحتياجاتها [2].

أما العنصر الثالث والمقصود به حرب المياه فإنه استغل استغلالا كبيرا في الإستراتيجية العسكرية في الدولتين، فمن سيطر على المياه سيطر على المعركة وكسبها لما لهذا العنصر من أهمية في بقاء الدولة حية وهو أسلوب ناجع في الحرب وهذا النوع من الحرب كان متبادلا ومعروفا لدى خصوم المرابطين والموحدين ومارسوها ضدهم أي

---

(1) حميد تتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، 2009، ص 187.

(1) غازي بن سالم، اقتصاديات الحرب في الإسلام، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 1989، ص 262.

(2) يعني اللوجستيك جميع الإجراءات والتصرفات الإدارية العاملة على تأمين المتطلبات اليومية للقوات في أفضل الشروط وأسرعها وكذلك تكوين التموين بالإعاشة والذخيرة والمعدات وإصلاح وصيانة الأسلحة، وقد عرف هذا النظام منذ عهد الفراعنة واليونان والرومان والفرس أنظر: منير شفيق، علم الحرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1988، ص 20، محمد صفا، الحرب، دار الرؤية العلمية للطباعة والنشر، ط2، بيروت، 1981، ص 26.

ما تسمى بحرب المياه المضادة، من ذلك أن شانجه الأول حاصر مدينة شلب [1] مدة ثلاثة شهور دون جدوى، حتى اهتدى إلى قطع المياه عن المدينة مما اضطرها لقبول الاستسلام [2].

وكذلك عندما حاصر أبا الحسن ابن الخليفة عبد المؤمن عرب سليم في جبل كسرى أصيبوا بعطش شديد فسهل ذلك عملية القبض عليهم [3]، كما استخدم الموحدون هذا الأسلوب الاستراتيجي ضد المرابطين في وهران، حيث تم قطع الماء عند حصار المدينة كانت نتيجته وفاة ثلاثون إلى أربعين شخصا، ولما خرجوا من الحصار توافدوا على الماء فمات معظمهم من كثرة ما روى فكانت فرصة لقتلهم جميعا كبارا وصغارا [4].

وتفطن أبا يعقوب لهذا العنصر وأهميته فقام بالتزود بالمياه في وادي " أنّه " أثناء حصار مدينة وبذة [5]، وإنشائه كذلك في إشبيلية لخزانات كبيرة للمياه لمواجهة الطوارئ

---

(1) شلب تقع غربي الأندلس وهي قاعدة كورة أكشونبه وتتمتع بإمكانيات اقتصادية كبيرة ومناظر عجيبة وأكثر المدن تحصنا وحسنا وخصبا وهي مدينة قديمة أزلية لا يعرف من بناها، (أنظر: مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس تحقيق وترجمة لويس مولينا، ج1، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1983، ص 44-45، الحميري، المصدر السابق، ص 106.

(2) عبد الرحمان علي حجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق، ط5، 1997، ص 262-263.

(3) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 154.

(4) نفسه، ص 22.

(5) وبذة مدينة بالأندلس وهي حصن تقع بالقرب من وادي إقليش تشتهر بمياهها الصحية العجيبة، وكانت مسرحا للكثير من المعارك، الحميري، المصدر السابق، ص 194.

كما استعمل سياسة قطع المياه أثناء حصاره لوبذة[6]، وذلك يبين أن المرابطين والموحدين من خلال إتباعهم لإستراتيجية التأمين الغذائي الحربي وبراعتهم في حرب المياه يدل على فلسفة المؤسسة العسكرية وقمة نضجها العسكري والتنظيمي.

---

(6) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 306-408-409.

المبحث الأول: أسلوب الحصار والتحصين.

أ- الحصار:

يعتبر الحصار من أقدم الوسائل الحربية، وهو أسلوب هجومي تتحدد فيه مستويات المواجهة بين الطرفين، ومدى توفر آليات مقاومة الحصار وخطط إحكامه لإنجاحه وفرض الاستسلام على العدو، ويعني الحصار عموما قطع التموين والمدد على العدو وجعله يستسلم بأقل الخسائر [1]، أي أن يمنع المسلمون عن الدولة التي تحاربهم كل عناصر التقوية وعدم وصولها إليهم [2] وهو من بين الأساليب الجيدة لفتح المدائن [3].

إن إتباع أسلوب الحصار وتطبيقه وإنجاحه يعتمد على دراسة، لأن طول الحصار سوف يرهق الجيش الذي يحاصر المنطقة، خاصة إذا كان المحاصرون يتمتعون بحصون منيعة تزخر بالأرزاق والمؤن [4]، حتى أن بعضهم أكد على ضرورة استراحة الجيش من الناحية البدنية، وذلك عن طريق الحصار بالتداول، وضرورة نزولهم بمسافة بعيدة عن الحصن تفاديا للتشويش وفوضى المحاصرين [5].

والحصار كما تعرّفه دوائر المعارف هو العمل الذي يقوم به جيش ما بالمرابطة أو البقاء في مواجهة قلعة أو موقع محصّن أو مدينة، فإذا أمكن الإحاطة بالحصن تماما فإن

(1) يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص246.

(2) ضو مفتاح غمق، نظرية الحرب في الإسلام وأثرها في القانون الدولي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، بيروت، 1988، ص 177.

(3) ابن منكلي محمد، الحيل في الحروب، ص 378.

(4) ياسين سويد، الفن العسكري الإسلامي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1988، ص 289.

(5) ابن منكلي محمد، الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، ص 217.

القوة المتفوقة يمكنها أن تمنع وصول الإمدادات إليهم، ومن ثمة يسهل استسلامهم أو تقوم القوات بفتح ثغرات في الحصن والاستيلاء على المنطقة وأسر المدافعين، أو الانتظار حتى يتضوروا جوعا (السلاح الأخضر) بالمفهوم الحالي [1].

فإلى أي مدى طبّق المرابطون والموحدون هذا الأسلوب ميدانيا ؟

لم يكن هذا الأسلوب غائبا عند المرابطين والموحدين، نظرا لما يتطلبه من ديناميكية في المعركة، غير أن المتتبع لتاريخ المرابطين يجدهم رغم معرفتهم بفنون الحصار وآلاته وتقنياته، فإنهم لم يكونوا بارعين فيه بسبب ارتكازهم على قوة الفرسان، وهم أقل معرفة بفنون الحصار على حد قول يوسف أشباخ[2].

ويسانده في هذه النظرة عز الدين موسى الباحث السوداني بقوله: " وتفوق الموحدون على المرابطين في فنون الدفاع والحصار " [3]، ونحن نؤيد هذا الاتجاه والدليل أن ابن عذارى المراكشي لم يذكر مصطلح الحصار سوى ثلاث مرات في تاريخ المرابطين، وهذا يدل على عدم ممارسة هذا الأسلوب وإتقانه [4].

وليس هذا عاملا سلبيا في المؤسسة العسكرية المرابطية وإنما – حسب اعتقادنا– أن الحصار مكلف بطبيعته ماديا وبشريا، لذلك لا يلجأ إليه، أضف إلى ذلك أنه في العصور الوسطى عرفت عدم التكافؤ بين أسلحة الرمي (القذف) وأسلحة الحصار، لأن

---

(1) دائرة المعارف، مادة حصن، ص 312.

(2) يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 237.

(3) عز الدين موسى، الموحدون نظمهم وتنظيماتهم في الغرب الإسلامي، ص 245.

(4) أنظر ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج4، ص 33، 62، 64.

هذا الأخير كان أقوى وأنجع، وعلى الرغم من ذلك إلا أن المرابطين مارسوه وطبقوه في خططهم في بعض الأحيان وهذا يحسب لهم.

تزخر الأحداث بتكتيك هذا الأسلوب ونجاعته في خطط المرابطين والموحدين خاصة عندما انتقلا من الدعوة إلى تأسيس الدولة، حيث اتبعوا قطع الإمدادات الحربية والغذائية، ذلك أن هدف الحصار هو العمل على نفاد الطعام والشراب حتى حدوث عملية الاستسلام، ويجوز لهم أن يفسدوا شرابهم بالدم أو السم [1]، وهذا ما نجده في حصار الموحدين لمدينة وهران، حيث قطع عنهم الماء فلما اشتد بهم العطش استسلموا [2]، كما استعمل أبو يعقوب عبد المؤمن في عدوة الوادي أين أمر بإغارة المياه وتخريب ما وُجد من المباني واستئصال الأشجار أثناء حملته على شنترين، وكذا حصار عبد المؤمن لفاس ومكناس وحصن طلبيرة برا وبحرا [3] وحصار الموحدين لمراكش المرابطية لمدة أربعين يوما [4].

(1) الشيباني محمد بن الحسن، كتاب السير الكبير، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، 1971، ج4، ص 1243، 1467.

(2) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، قسم الموحدين، ص20، 22.

(3) دام حصار مكناسة سبع سنوات، أنظر: ابن غازي المكناسي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، المطبعة الأميرية، الرباط، 1952، ص 16، 21، ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 283، ، عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات، المدينة في العصر الوسيط، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1984، ص 61، 62.

(4) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 144.

والحصار له انعكاسات اقتصادية واجتماعية كانتشار المجاعة وغلاء الأسعار كما حدث في مراكش، خاصة عندما يكون الحصار طويلا، والأحداث الكرونولوجية لمعارك المرابطين والموحدين تثبت مدى استخدام هذا الأسلوب في إستراتيجية حروبهم(5).

(5) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 137، 138، ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، ص 27، حسين بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن، د.ط، الرباط، 2002، ص 99، وأنظر كذلك النتائج الوخيمة لحصار شلبيطرة من طرف الموحدين (معمر الهادي القرقوطي، جهاد الموحدين في الأندلس، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2005، ص229).

جدول يبين أهم الحصارات الموحدية لإخضاع أو فتح بعض الجهات الثائرة

الجهة التي تعرضت للحصار	تاريخ الحصار	مدة الحصار
مراكش	من فاتح محرم 541هـ إلى 18 شوال 541 هـ/13 يونيو 1146 إلى 23 مارس 1147م	تسعة أشهر وثمانية عشر يوما
وهران	539هـ/1144م –1145	ستون يوما
فاس	من صفر إلى ربيع الثاني 540هـ من السنة نفسها/ 1 يونيو، يوليوز، أكتوبر 1145	تسعة أشهر
المهدية	555–602هـ/1205–1206م	سبعة أشهر
قفصة	576هـ/1180م، 1181/583هـ/1187م/1188	بضعة أيام
شنترين	من 07 إلى 22 ربيع الأول 580هـ/25 يونيو إلى فاتح يوليوز 1184	خمس عشرة يوما
وبذة	من 17 ذي القعدة إلى 29/ 567هـ/11 إلى 23 يوليوز 1172	أحد عشرة يوما
شلب	02 جمادى الثانية 587هـ إلى 28 من الشهر نفسه/ 27 يونيو إلى 23 يوليوز 1191م	ست وعشرون يوما
شلبيطرة	ربيع الأول من سنة 608هـ/ أوت 1211م	إحدى وخمسين يوما

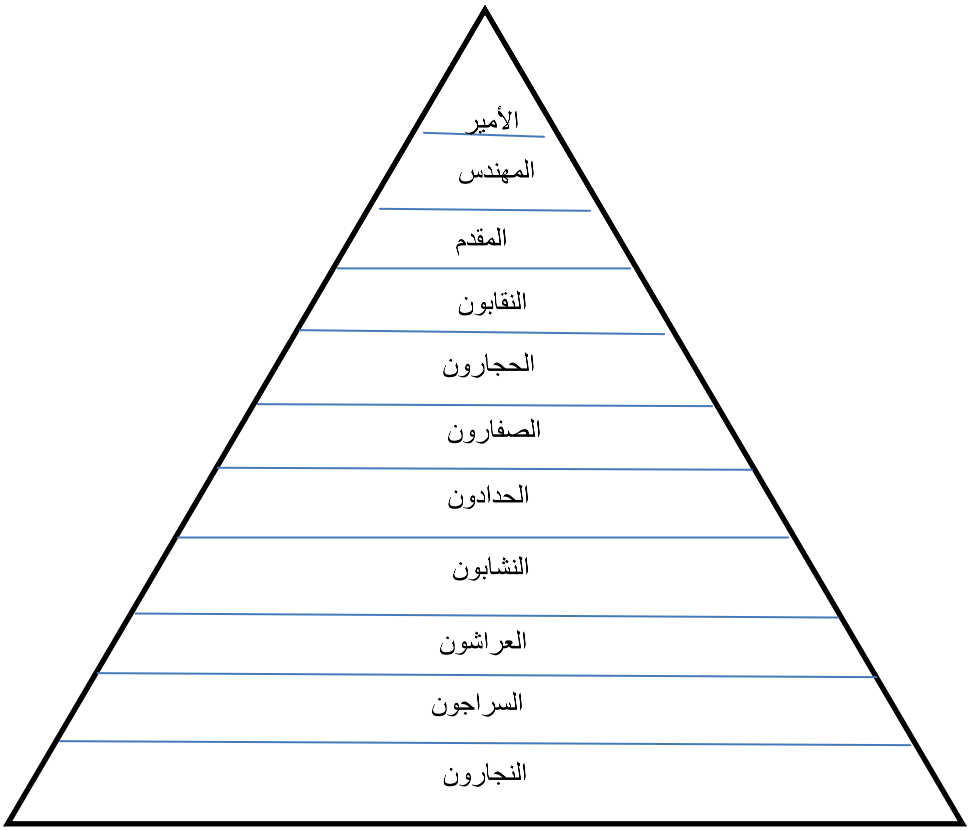
أنظر: صباح عويناتي، المرجع السابق، ص 218، 219.

وعند قراءتنا لهذا الجدول نستنتج أن مجموع الحصارات هو 13، نجح الموحدون في 11 منها، بينما فشلوا في اثنين في عهد يوسف بن عبد المؤمن بسبب ضعف عملية التموين ومشاكل المتمردين التي فتحت جبهات أخرى للمؤسسة العسكرية الموحدية.

كما نلاحظ كذلك أن مدن المغرب الأقصى مراكش، فاس ومكناس تعرضت للحصار مرة واحدة فقط، عكس مدن إفريقية والأندلس، ويوعز ذلك إلى حالة التمرد والعصيان التي تعرفها هذه المناطق [1].

وعملية الحصار ليست فردية بل تتكامل فيها عدة مجموعات واختصاصات كل يكمل الآخر في عملية تنسيقية مترابطة يوضحها الشكل الآتي:

(1) صباح عويناتي، المرجع السابق، ص 220.



يتضح من هذا الهرم التنسيق العملياتي في الحصار، إذ نجد كل واختصاصه والمهام الموكلة له، وهذا دليل على أن الحصار ليس عملا ارتجاليا بل يخضع إلى دراسة تشارك فيها جميع الفئات من ذوي الاختصاص [1].

كما استخدم المرابطون والموحدون عدة أدوات لاستحكام أسلوب الحصار منها:

---

(1) Φ.Ω⇐ στενφελδ: Δασ ηεερωεσεν δερ Μυηαμμεδανερ υνδ διε Αραβι σηε ϖεβερσετζυνγ δερ τακτικ δεσ αελιανυσ Γ⎞ττινγεν Διετεριχησχηε ϖ ερλαγσ–Βυχηηανδλυνγ, 1880, Π02.

المنجنيق: [1] وهو من أشهر آلات الحصار لرمي الحجارة والسهام والنار والثعابين والعقارب وكل ما يضر العدو ويؤذيه ويجبره على الاستسلام [2]، كما استعملوا العرادة وهي أصغر من المنجنيق وترمي السهام والحجارة على مسافات طويلة [3].

وتشير بعض الرسائل الموحدية عن استعمال سهام الحريق والمنجنيقات وكذا الأبراج التي تبنى من العود؛ حتى تصل إلى مستوى الأسوار مثل برج المبارك ويسميه ابن عذارى الديدبان وهي المرقبة العليا التي وضعت للخليفة يوسف أثناء حصار قفصة 555 هـ/1161م، ونفسها صنعها الناصر في حصار المهدية 554 هـ/1160م[4].

---

(1) اسم أعجمي الأصل، والجمع مجانيق ومنجنيقات، هي آلة قديمة من آلات الحصار ترمى بها الحجارة الثقيلة فتحدث عمليات تهديم كبيرة وقد شهدت هذه الآلة مراحل تطور في صنعها ووظائفها، ووصلت هذه الآلة إلى الحوض الشرقي من المتوسط في نهاية القرن السادس الميلادي، وكانت معروفة عند العرب، ثم أن الجانب الفيزيائي للمنجنيق هو حركة جد بسيطة في أساسياتها، ذلك أن دوران الثقل الموازن يؤدي إلى دوران حاسم في نقل الطاقة إلى العارضة ومنها إلى القاذفة، ويعتبر كتاب الأنيق في المنجنيق لابن أرنبغا الزردقاش الذي يعود تأليفه إلى فترة حكم المماليك سنة 836 هـ/1432م أهم حصيلة علمية متراكمة من الفترات التي سبقت تاريخ تأليفه، ويمكن اعتباره من أهم الوثائق العلمية التي تعبّر عن رقي الصناعات الحربية، ويخضع إلى أمور علمية وتدريب في استخدامه، والمنجنيقات تختلف عن بعضها البعض فهناك العربي والفارسي والرومي ، أنظر: الطرسوسي مرتضى بن علي، تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة من الحروب، تحقيق كلود كاهين، د.ط، بيروت، 1948، ص17، 18، ابن منكلي محمد، التعابي الحربية، ص 219، أزاد علي، البنية النظرية لكتاب الأنيق في المناجيق، مجلة دراسات تاريخية، لجنة كتابة تاريخ العرب، العددان 33، 34، أيلول، دمشق، 1989، ص 143، 151، 154، محمود شيت خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، سلسلة كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، العدد الثالث، قطر، 1991، ص 119، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 47.

(2) المرجع نفسه، ص 47.

(3) نفسه، ص 47، محمود شيت خطاب، المرجع السابق، ص 118.

(4) رسائل موحدية، ج2، ص 236، ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 244، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 349، 350.

كما استعملها المنصور في حصار أركش وشلب 586 هـ/1190م حيث نصب المجانيق عليها، حيث يقول ابن عذارى ونصبت المجانيق والآلات الحربية ودنا السور الحماة والكماة ... [1].

كما استخدموا الدبابة [2]، نوع من الأسلحة استعمله المرابطون والموحدون وبرعوا فيه، وفي بعض الأحيان تصنع أثناء المعركة لأن الجيوش كثيرا ما يصطحبون معهم الصناع والنجارين، فالأبراج والدبابات كانت تشحن بالرماة والآلات ثم تحرك نحو الحصن، كما حدث في حصار قفصة [3]، وكذا أثناء حصار الناصر الموحدي لشلبيطرة 608هـ/ 1212م، حيث يقول الحميري: " ونزل عليها وحاصرها بالمجانيق الفخام والآلات الحربية حتى قهر أهلها " [4].

وتعتبر كذلك السلالم من الآلات المهمة التي تساعد على اعتلاء الأسوار وفتح مغاليق الحصون، ومع مرور الزمن أصبحت السلالم تصنع من الأخشاب والحديد مرتفعة

---

(1) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 205.

(2) اسم الدبابة لغة مشتق من دبيدب، لأنها تدب إلى أن تصل إلى الحصون، ثم يعمل الجنود الذين بداخلها في ثقب الأسوار بآلات الحفر وعرّفها صاحب كتاب آثار الأول في تدبير الدول بأنها آلة تتخذ من الخشب الثخين المتلزر وتغلف باللبود أو الجلود المنقعة في الخل لدفع النار وتركب على عجل مستدير وتحرك وتجر، والدبابة آلة قديمة الظهور عرفتها الشعوب القديمة كالفراعنة والأشوريين والرومان واليونان والعرب، وعموما فهي سلاح لاقتحام الأسوار، وهي عبارة عن هودج مصنوع من كتل خشبية صلبة على هيئة برج مربع، وبين كل برج مسافات قليلة يستطيع الجنود العمل من خلالها في جرها، وشهدت هذه الآلة تطورات عبر الزمن ولها طريقة قتال معينة، والأسلوب الوحيد لمقاومة الدبابات هو أن ترمى بالنار من فوق الأسوار أو يصب فوقها الحديد المصهور المذاب فيحرق خشبها ومن بداخلها (أنظر: العباسي بن عبد الله، المصدر السابق، ص 204، إبراهيم مصطفى المحمود، المرجع السابق، ص 70، 71، عبد الروف عون، فن الحرب في صدر الإسلام، ص 168، 169، محمود شيت خطاب، المرجع السابق، ص 120، 124، فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 163).

(3) رسائل موحدية، ج2، ص 236.

(4) الحميري، المصدر السابق، ص 108

بارتفاع السور حيث يسندونها إلى السور من مكان آمن [1]، لذلك اكتست السلالم أهمية كبرى في آلات المرابطين والموحدين، نظرا لما يواجهونه من تحصينات منيعة، وكانت السلالم تصنع وتحمل إلى موطن الحصار بفضل النجارين والصناع، من ذلك أن أبا يعقوب بن عبد المؤمن أمر أثناء حصار شنترين 580هـ/ 1184م بصنع السلالم، كما يقدم لنا صاحب الحلل وابن عذارى والبيدق وصفا لحصار مراكش 541 هـ/1147م واعتلاء أسوارها بالسلالم، حيث أمر أبو محمد عبد المؤمن بصنعها لارتقاء السور ثم قسمها على القبائل وأحدقوا بالمدينة فدخلت هنتاتة وتنمل من جهة باب دكالة أما صنهاجة وعبيد المخزن من باب الدباغين، ودخلت هكسورة مع بقية القبائل من جهة باب ينتان سنة 541 هـ/1146م، ولعل السلالم كانت الوسيلة الوحيدة لدخول حصن شنفيرة[2].

ومن بين أدوات تهديم الحصون استعمال الماء عن طريق الضخ القوي لتهديم الأسوار، ويظهر هذا جليا في حصار مدينة فاس 539 هـ/1144م، فعندما استعصى فتحها بسبب مناعة التحصين لجأ عبد المؤمن بن علي إلى استخدام مياه النهر المخزنة في خزانات ضخمة ثم يطلقها دفعة واحدة على الأسوار فحطمها [3].

---

(1) محمود شيت خطاب، المرجع السابق، ص 125، فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 174.

(2) أنظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 27، 28، 161، الصنهاجي أبو بكر، أخبار المهدي بن تومرت، دار المنصور للطباعة والوراقة، د.ط، الرباط، 1971، ص 64، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 138، الحميري، المصدر السابق، ص 116، عز الدين موسى، الموحدون نظمهم وتنظيماتهم، ص 247، ، فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 175.

(3) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 123، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 211، ابن الأثير، المصدر السابق، ج11، ص 447 ، ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج4، ص 69، فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 169.

وما نستنتجه هو أن الحصار إستراتيجية هجومية انتهجت من طرف المرابطين والموحدين وبرعوا فيه، وكيفوه حسب الظروف والخصوم والإمكانات البشرية والمادية، ذلك أن الحصار وأدواته ومدى استغلالها جزء من الإستراتيجية الكلية التي تهدف إلى ضرورة جعل العدو يستسلم أو يهادن.

ب- أسلوب التحصين:

التحصينات [1] أسلوب استراتيجي دفاعي مهم، إذ عليه نقف على مدى عسكرية الدولة ونضجها الحربي، وهو عبارة عن مجموعة من المنشآت والموانع والستائر تقام لتقوية موقع ما وحمايته من الهجمات الخارجية، وينقسم إلى قسمين: تحصين دائم يقام وقت السلم وتشمل الأبراج والمداخل والأسوار والمزاغل [2] والممرات الخارجية والخنادق، حيث تدعم بوسائل دفاعية كجذوع الأشجار والمجانيق والسهام وأما القسم الثاني من التحصين فهي تحصينات ميدانية غير ثابتة تستخدم في حالة الاشتباك والحروب والمواجهة المباشرة مع العدو، وهناك عدة دوافع لإقامة الحصون منها الاستفادة من قوة

(1) من الناحية اللغوية التحصينات مفرد حصن، وهو كل مكان منيع لا يوصل إلى ما في جوفه، نقول حصنت المرأة حصنها أي عفت عن الزنا، وقيل العرب حصونها، وقد سمت العرب حصنا (ابن منظور، المصدر السابق، ج 4، ص195، أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ط1، بيروت، 1979، ج2، ص 69، محمد عياش، الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديد والمنصورة بتلمسان، دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 23)

(2) مزغل Αρροωσλιτσ فتحة ضيقة في سور المدينة أو الحصن أو البرج تطلق منها الرماح والسهام من المقذوفات على المهاجمين ويستخدم للتهوية والإضاءة والمراقبة، فهي ضيقة من الخارج ومتسعة من الداخل، أنظر: عاصم محمد رزق، معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 2000، ص 277.

الوحدة المتمركزة في الموقع المحصن، ومنع العدو من الاستفادة من إمكانياته حتى لا يحقق أي انتصار أو تقدم أو تفوق (1).

كما أن بناء المنشآت التحصينية الدفاعية لا تكون عفوية أو اعتباطية بل تتطلب دراسة ومعرفة عن طريق اختيار الأرض ومدى إستراتيجية موقعها الذي ينجز عليها (2).

ثم أن بقاء المدينة وسلامتها مرهون بمدى قوة الاستحكامات وفعاليتها خاصة وأن مشكل اللاأمن والحروب والتهديدات صارت هاجسا يؤرق الكثير من الدول في العصور الوسطى خاصة المرابطين والموحدين (3).

ويقدم لنا الهرثمي مجموعة من التقنيات في عملية التحصين وجب مراعاتها حيث يقول: " لا بد على المشرف على التحصين أن يراعي نقاط الضعف قبل أن يواجهه عدوه، من ذلك أن يحكّم مواضع المقاتلة فيه والمدافعة عنه ويعمل على ترميم الخلل وشحنه بكل آلة وعدة، وأن يستعمل من الآلات ما فيه الإفساد والدفع والإبطال لآلات عدوه، وأن يعمل على المطاولة والمدافعة ... وأن ينازل عدوه في أحصن مواضع الحصن ليظن أنه أهم

(1) ابن العنابي محمد بن محمود، السعي المحمود في نظام الجنود، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1983، ص 130، موسى هصام، الجيش في العهد الحمادي 405-547هـ/1014-1152، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص 83، محمد عياش، المرجع السابق، ص 23.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص 339، موسى هصام، المرجع السابق، ص 83.

(3) محمد بن فيسة، المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة، دراسة تاريخية أثرية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص 35.

المواضع إليه ويشغله به عن غيره، ويتغافل عن موضع الخلل المجهول في حصنه ويخفيه لئلا يعثر عليه ويكتشفوه " [1].

ولعل دولة المرابطين والموحدين من أهم الدول التي أولت عناية فائقة للتحصينات نظرا للخارطة الحربية وموازين القوى آنذاك والصراعات الحيوية فبالنسبة للمرابطين نجدهم قد اهتموا بإنشاء القلاع والحصون لأن الصحراء المنبسطة موطنهم الأصلي تستلزم إقامة استحكامات دفاعية لصد الغارات، وعرفت هذه الحصون باسم تاجرارت، أو تاقرارت[2].

وكان الاهتمام بالحصون بالنسبة للمرابطين أمرا طبيعيا نظرا للوسط الذي يعيشون فيه، الممتلئ بالغزوات وتهديدات القبائل المجاورة، ومن ثم فإن فكرة التحصين والدفاع هي أمر مألوف لدى البربر لحفظ سلامة المدن من الأخطار الداهمة وحفظ الرعية، كما هو الحال في المغرب والأندلس [3].

وكان المرابطون يجيدون الامتناع بالقلاع ويتفننون في تحصينها، وقد برهنوا في مواطن كثيرة ومعارك أنهم يحسنون الدفاع وتقنياته [4]، وقد شهدت سنة 520 هـ/1126م مجموعة من التحصينات والمنشآت الدفاعية في المغرب والأندلس، وعمد علي بن يوسف إلى تسوير حاضرته مراكش، حيث كانت حين إنشائها سنة 462 هـ/1069م، قد أقيم السور فقط حول المسجد والقصبة اللتين ابتناهما يوسف بن تاشفين حيث بقيت المدينة

---

(1) الهرثمي صاحب المأمون، مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبد الروف عون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1964، ص 60، 61.

(2) وتعني بالبربرية المحلة أو العسكر أو المجتمع ، أنظر: ابن غازي المكناسي، المصدر السابق، ص 06، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 115.

(3) محمد فيسة، المرجع السابق، ص 37.

(4) يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 237

دون أسوار، وكان العقل المدبر لتسوير المدينة القاضي أبا الوليد بن رشد بسبب اشتداد حركة المهدي بن تومرت، حيث أصدرت فتوى في بنائها من فقهاء المغرب والأندلس، وبدأت عملية تسوير المدينة في جمادى الأولى 520 هـ/ جوان 1126م، فأوكل المشروع إلى الصناع والمهندسين المهرة في البناء واستغرق ثمانية أشهر، بلغت نفقته 70 ألفا دينارا ذهبيا (1).

كما أصدر علي بن يوسف أوامر صارمة من خلال كتبه ورسائله للولاة في الأندلس يحث فيها بوجوب بناء الحصون والأسوار، وتتجلى لنا إمكانيات التحصين في قوة وصلابة التحصينات العسكرية التي أقامها المرابطون، حيث بلغ عدد الحصون والقلاع المرابطية 70 حصنا، مثل حصن تاودة Tawda، حصن أمرجو Amergo استخدمت فيه الأبراج المستديرة، وكان أكثر مناعة وحصانة، وقد ذكر البيدق سلسلة من الحصون التي أنشأها المرابطون جنوبا على سفوح جبال الأطلس لمراقبة تحركات المصامدة والموحدين وصد غاراتهم (2).

---

(1) محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 114، إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 181، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 138، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 98.

(2) شهدت فترة علي بن يوسف قيام أرغون ألفونسو الأول المحارب بمجموعة من الحملات والتهديدات على الأراضي الشرقية سنة 519هـ/1125م مدة سنة كاملة، إذ انعدمت أية مقاومة ضده، لذلك أمر علي بن يوسف التشديد على بناء الأسوار من خلال رسائله للأندلسيين ونلاحظ تطبيق أوامره في غرناطة وقرطبة، أنظر: أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 118، .Λεϖι προϖεν| αλ, Ηιστοιρε δε λэΕσπαγνε Π 630،وأهم الحصون المرابطية التي ذكرها البيدق هي: حصن تاسغيموث بناه ميمون بن ياسين، حصن أنسا بني إيما ديدن، حصن تافركوكونت، حصن أسكابو، متاع تاسنولت، حصن أصكان كمات، تارولولت، لجاغة، هيلانة، هسكورة، تادلة، تاكررت، أصرو، القلعة، الفلاج، تاسغمارث، كرنطا، الولجة، تازعدرا (أنظر: ابن صاحب الصلاة، أخبار المهدي، ص 90–93، إبراهيم حركات، المرجع السابق ص 184).

ولم تقتصر الحصون على الجبال وإنما امتدت إلى المناطق الساحلية مثل محرس سبتة الذي يراقب كل حركة في جبل طارق، وكانت مدينة سلا مسورة من جهاتها الأربع، وقد هدم عبد المؤمن بن علي أسوارها سنة 547 هـ/ 1152م، ثم أعاد يعقوب المنصور بناء أسوارها في فترة حكمه [1].

وتعود أهمية التحصينات العسكرية في تلاحم أجزائها ومكوناتها وطريقة إحكام البناء ومدى صلابتها ومقاومتها لعوامل التعرية والحت إلى مادة تعرف باسم الطابية أو التراب المدكوك، ولعل صمود أسوار ندرومة المبنية بهذه المادة دليل على قوة صلابتها، حيث فشل أبو يعقوب في تكسير حصارها بعد ثلاث محاولات [2].

أما الموحدون فقد اهتموا هم الأخرين بفن التحصين وورثوا تحصينات جاهزة من المرابطين، بالإضافة إلى قيامهم ببناء حصن تنمل [3]، وحصن مراكش [4]، التي حظيت برعاية وعناية وتحصين عسكري نموذجي باعتبارها العاصمة المحصنة للموحدين، كما اهتموا بتحصين المناطق الساحلية، حيث أنشأوا الروابط والمحارس ذات المناور أو الطلائع التي تشعل النار ليلا على قممها مثل رباط تيط والمهدية كما اهتم الموحدون

---

(1) الأنصاري السبتي، اختصار الأخبار بثغر سبتة من سني الأثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباط، 1983، ص 32، حمدي عبد المنعم، سلا في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993، ص 75، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 118.

(2) أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، القاهرة، د.ت، ص 80، محمد رابح فسه، المرجع السابق، ص 38،.

(3) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 92، ابن القطان، المصدر السابق، ص 242، ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الأعلام، ص 238.

(4) يبدو أن مراكش المرابطية وأسوارها استخدم فيها الحجر والطين المدكوك مع الحجارة المكسرة، وأما مراكش الموحدية فتحولت تقنية البناء إلى استخدام نوع من الطين المخلوط بالحصى والرمل والجير، أنظر: أحمد مختار العبادي،المرجع السابق، ص 209.

بالحصون في الأندلس خاصة مدينة الفتح على سفح جبل طارق سنة 555 هـ/1160م لتكون قاعدة حصينة لتجمعات جيوش الموحدين وأحيطت بمجموعة من الأسوار والأبراج بالإضافة إلى حصن إشبيلية وشنقيرة[1].

وقد قام التحصين المرابطي والموحدي على مجموعة من الآليات منها:

- السور: وهو تحصين دفاعي يلي الخندق، خشبي أو حجري يحيط بالمدينة وهو خط دفاعي أول، ويتألف السور من الناحية العلوية من درب يسير عليه المحاربون ويطلق عليه ممشى السور، [وشرفات يقذفون منها سهامهم، وكتل ذات شكل مخروطي يحتمون خلفها بها فتحات تساعد المحارب على النظر للأسفل[2].
- الأبواب: تعتبر من أضعف النقاط في المبنى حيث يمكن اقتحام المبنى أو المدينة منها، ولقد انتبه المسلمون لذلك فاهتموا بتحصينها بأساليب وابتكارات معمارية مختلفة، ولعل أهم ابتكار معماري هو استخدام المداخل المنكسرة، وتسمى الباثورة عند المرابطين، فالمدخل المنكسر يعيق هجوم الفرسان ويمنع دخولهم بسهولة، وهذا الابتكار المرابطي في بناء الأبواب يعرف باسم الأبواب المنثنية ولم يسقفوا هذه الممرات حتى يتيحوا الفرصة للجند للإشراف من أعلى على المهاجمين وقذفهم بالنبال والنار الإغريقية، وتمتاز الأبواب بوضع عقبات أمام المهاجمين بانحناءات [3].

(1) الحميري، المصدر السابق، ص 119، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 120.

(2) محمد رابح فيسه، المرجع السابق، ص 27، 29، 30،

Ενχψχλοπεδια δε λэIσλαμ, νουϖελλε εδιτιον παρ: Χ.Ε. Βοσωερρ. Η, Ε. ϖαν δονζελ , Ω.Π. Ηεινριχησ ετ .ΧΗ. Πελλατ, Παρισ, 1990, Τομε ςI, Π 1001

(3) محمد رابح فيسه، ص 29، 30.

كما أوجد المرابطون والموحدون وظيفة في حراسة الأبواب تسمى جهاز الأمن هدفها المساهمة في حماية المدينة من التهديدات التي قد تأتي من الخارج ومنع المتابعين في الداخل من الفرار، وساهمت في أداء هذه الوظيفة مجموعة من البوابين والمكونات المعمارية للباب، إذ يوجد في الغالب منفذان للباب، واحد داخلي يؤدي إلى وسط المدينة وآخر خارجي يشرف على خارجه [1].

- الأبراج: عنصر معماري حربي، وهو جزء من التحصينات الدفاعية وتنفيذ الرمايات، وهي أبنية دفاعية تدعيمية مزودة بغرف علوية صغيرة لقذف النار ورمي السهام وصب السوائل المشتعلة [2].

لقد تأثر المرابطون والموحدون بصفة خاصة بالعمارة البيزنطية كبرج حصن العقاب وهو برج سداسي الشكل، وما يلاحظ في تقنية الأبراج هو الابتكارات الموحدية، لما يسمى بالبرج البراني، والسبب في ذلك هو التهديدات المسيحية المتواصلة على المدن الأندلسية، مثل برج الذهب والشرفة واسبانتا بروس ببطليوس[3].

ولم يغفل المرابطون والموحدون في إستراتيجيتهم على عنصري الحصار والتحصين لما لهما من أهمية وموقع في التكتيك الحربي، بل تم تقنينهما وذلك لم يكن عفويا بل أسندت مهمة البناء الاستراتيجي إلى مختصين ربطوا بين الموقع والهدف والخطر والدفاع، فكانا أسلوبين بأطر علمية تحمي سيادة الدولتين.

---

(1) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 289، محمد رابطة الدين، مراكش على عهد الموحدين، جوانب من تاريخ المجال والإنسان، رسالة دكتوراه جامعة محمد الخامس، الرباط، 2002، ص 106.

(2) محمد رابح فيسه، المرجع السابق، ص 31.

(3) فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 191، 192.

المبحث الثاني: الكمين والخنادق والتضاريس في الإستراتيجية الحربية للمرابطين والموحدين:

▪ **الكمين:** [1]هو أسلوب هجومي تقوم به مجموعة قتالية متخفية وترصد هدفا معاديا متحركا أو ثابتا لفترة قصيرة من أجل القيام بهجوم مفاجئ ومنسق، وبما أنه لا يعرف الوقت المحدد لظهور العدو وجب على مجموعة الكمين المكوث والتريث فترات غير معروفة قد تطول إلى ساعات طويلة، لذا وجب انتقاء الكمناء انتقاء نوعيا، تتوفر فيهم شروط كالجلد والصبر والمثابرة وانتقاء الهدف والدقة في تنفيذه [2].

والكمين خطة عسكرية تباغت العدو، ويقدم لنا الهرثمي مجموعة من المواصفات وجب أن يتحلى بها أصحاب الكمين، كأن يكون موضعهم خفيا مستورا وألا يؤذوا الطير والوحش والسباع لأن ذلك يجعل الوحوش تفر وعلامة على وجود كمين، وألا تكون بالكمناء ولا الدابة خلق يكشفه العدو [3].

والكمين هو تكتيك قتالي تعرفه القوات النظامية، ولا يختلف لدى رجال العصابات أو القوات النظامية في أسسه الفنية، إلا أن الكمين عند رجال العصابات ينفرد بميزات معينة، أهمها الدعم المحلي للسكان في الإخفاء والتمويه[4].

وتلعب الحيل دورا هاما في بعض الكمائن لإنجاحها، حيث يقول ابن منكلي: " وأما هيئة أصحاب الكمين فيجب أن يكونوا على خيول صحاح شاكين في سلاحهم

---

(1) الكمين: أي كمن أي اختفى أو دخل في مكان لا يفطن له ولا يتوقع وجوده فيه أحد (المنجد الأبجدي، دار المشرق، ط7، بيروت، 1989، ص 849، 850)

(2) أحمد سعد بن متعب، الكمين، مجلة الحرس الوطني، عدد 16، الكويت، 1992، ص 14.

(3) الهرثمي، المصدر السابق، ص 50.

(4) بلهول نسيم، المرجع السابق، ص 74.

بدرقهم وآلاتهم وطبولهم، فإذا خرجوا من الكمين بالعلامة التي تواصوا بها وضربوا الطبول بغير صياح " [1].

من خلال الأحداث المعلمية والمعارك وحركة التمردات والحروب مع النصارى لجأ المرابطون والموحدون لهذا الأسلوب، الذي كان عنصرا هاما في انتصاراتهما، من ذلك أن المرابطين عندما حاصروا قصبة إقليش 502هـ/ 1105م واستعصى أمرها، ابتعد عنها المرابطون ونصبوا كمينا لهم عن بعد فظنوا أنهم انسحبوا فخرج أهل القصبة هاربين فقبض عليهم وقتلوا وأسر الباقون [2].

كما نجد بعض الفقهاء في العهد المرابطي أتقنوا كذلك الثقافة الحربية وقدموا نصائح لملوكهم في حروبهم، حيث نجد الفقيه أبو زكريا الصيرفي [3]، يقدم نصائحا حول الكمين لعلي بن يوسف، قائلا:

"واحذر كمين الروم عند لقائها وأحفظ كمينك خلفها إذ تدفع " [4]

كما حذر تاشفين بن علي جنوده خوفا من الكمين عندما حاصر الموحدون وهران 539هـ/ 1147م، وهذا دليل على درايتهم بخطورة الكمائن [5].

أما بالنسبة للكمائن النصرانية نلاحظ أن ابن همشك خرج من قرطبة ونصب كمينا لقائد الموحدين أبا يزيد بن يخيت، وكان الكمين بالخيل والرجالة، فوقع القائد وقتل، ومن

---

(1) ابن منكلي محمد، التعابي الحربية، ص 199.

(2) ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص 66، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 159.

(3) هو أبو زكريا يحي بن محمد بن يوسف الأنصاري الغرناطي يكنى أبا بكر ويعرف بابن الصيرفي وهو صاحب كتاب الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية وكان كاتبا لتاشفين بن علي وكان متمرسا في الخطط الحربية (أنظر: ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الأعلام، ص 257، 260).

(4) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 127.

(5) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 20.

كمائن النصارى كذلك ما فعله جيرانده النصراني[1] بالقائد أبا يحي، فكمن له مع مجموعة من النصارى من أهل شنترين[2] في موقع قرب بطليوس، حيث تظاهر بالانسحاب فلاحقته القوات الموحدية فمسكوا به في الكمين [3].

ومن الأمثلة على الكمائن المرابطية أثناء حصار سير بن بكر القائد المرابطي لقلعة بروطة المنيعة، وعندما تيقن بفشل الحصار نظرا للاحتياطات الغذائية الضخمة داخل القلعة تظاهر بالانسحاب، ثم جند أجناده على هيئة الإفرنج في زيهم وأمرهم أن يقصدوهم ويغيروا عليها، وكمن هو وأصحابه بالقرب منها وراء هضبة مرتفعة، فلما رآهم أهل القلعة استصغروهم فنزلوا إليهم ومعهم صاحب القلعة، فخرج إليهم سير بن بكر بجنوده وقطعوا طريقهم إلى القلعة فقبض عليهم [4].

ودبر الموحدون كمينا ممتازا للنصارى الموجودين في غرناطة بقيادة ابن همشك، حيث كان تدبير الكمين من طرف أبو محمد عبد الله وأبا سعيد مفاده أنهم نصبوا كمينا في مرج الرقاد القريب من غرناطة 557هـ/ 1165م وكمنوا في السواقي الجارية، فعند خروج النصارى سقطوا في السواقي بخيلهم[5].

---

(1) تسميه الروايات العربية بالجليقي، ويسميه البرتغاليون باسم السيد، كان من بين مساعدي ألفونسو هنر يكيز الذي منحه مساعدة مادية وبشرية لقتال المسلمين لما يتصف به من مهارة عسكرية واتقانه للحيل والخدع، حيث يبدأ غزواته في الليالي الممطرة حالكة الظلام شديدة الرياح، وهو أحد الفرسان المرتزقة، أنظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص 239.

(2) ميدنة أندلسية تابعة لإقليم ماردة، وتقع على ضفة نهر الغور كثير الملاحة، لأن ماءه يغور تحت الأرض، بناها عبد الرحمن بن مروان، أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 46.

(3) المصدر نفسه، ص 69، 109، 237.

(4) المقري، المصدر السابق، ج2، ص 532، فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 260.

(5) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 128، 129.

إن استعمال أسلوب الكمين يدل على عبقرية الجيش المرابطي والموحدي واستثماره أحسن استثمار في الحروب، كما أنه يدل على نضج المؤسسة العسكرية ومواكبتها للتكتيكات العسكرية المستعملة آنذاك.

- **الخنادق:**[1] من وسائل الدفاع القديمة، ظهرت عند الفرس والروم، يحفرونهم حول مدنهم وحصونهم للدفاع عنها، ولم يعرفه العرب إلا عن طريق الفرس بدليل أن اسمه فارسي معرّب، فاستعمل في غزوة الأحزاب، وهو أسلوب دفاعي تقني يعتمد على التمويه، حيث يحفرون حول الخندق حفائر تغطى بالقصب والتراب ليقع فيها العدو، ويرمون حوله الحسك الشائك وهو شوك صلب تطور فيما بعد وصار يصنع من الحديد، فيبثونه حول الخنادق لمنع تقدم الخيل والرجال [2].

والخندق من الأساليب التي اعتمدت لزيادة تحصين المدن ودعم القدرة الدفاعية للأسوار، باعتبارها من الأسس التي تستند إليها الدولة، ويكون محفورا في الأرض بأعماق مختلفة لتأمين حماية المقاتلين من أنظار العدو ونيرانه وتهيئة ظروف أفضل لتدقيق الرمي والحركة [3].

---

(1) مفردها خندق، مصطلح فارسي يعني كندة، ومعناها الشيء المحفور، واقتبسه العرب من الفرس ثم أدخلوا عليه العديد من التطوير خاصة في طرق اقتحام الخنادق، ومن الأمثلة على ذلك نجد أن خالد بن الوليد اعترضته مشاكل في خنادق الأنبار الفارسية فقام بذبح الإبل المسنة التي كانت معه، ثم رماها ومعها رحاها في أضيق مكان فيها ثم عبرها ففتحها، أنظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج2، ص 246، فاروق محمد علي، الاستحكامات الدفاعية في تخطيط المدن والعمارة العربية الإسلامية في العراق حتى نهاية العصر العباسي، بحث تكميلي لمتطلبات الدكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة بغداد، العراق، 2006، ص 61، 62.

(2) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، ص 190، 193، 196.

(3) ابن خلدون، المقدمة، ص 486، 487، ابن العنابي، المصدر السابق، ص 153، موسى هصام، المرجع السابق، ص91.

وتكون الخنادق في أغلب الأحيان مملوءة بالمياه إذا كانت قريبة من مجرى النهر، وتكون عكس ذلك لبعدها عن الأنهار، وقد عرف البربر هذا التكتيك فقاموا بحفر خنادق تمنع العدو من اقتحامها وقد يضعون بعض العراقيل والموانع التي تعرقل عمليات العدو الهجومية، فمعنى هذا أن المرابطين والموحدين مارسوا هذا الأسلوب باعتبارهم بربرا [1].

ويضيف ابن منكلي بعض مميزات الخنادق، حيث يذكر أن هناك خنادقا تغطى بالحطب والتراب، وأما الخنادق التي تغطى بالماء فلا بد أن تكون هناك شروط يقول عنها: " أما إذا كان الخندق به ماء وكان واسعا عظيما هنا وجب أن يعقد عليه الجسر أو تستعمل الأطواف وهي عبارة عن خشب يشد ويركب عليه في البحر فيجعل كهيئة سطح فوق الماء " [2].

فعند البحث في معارك المرابطين والموحدين نجدهم قد استخدموا هذا الأسلوب فعند وصول يوسف بن تاشفين إلى الجزيرة الخضراء 479 هـ/1086م[3] شرع في بناء أسوارها وحفر الحفير عليها وخندقها جيدا.

كما نجد مدينة أليسانة مدينة متحصنة بسور قوي محاط بخندق بها من الجهات الأربع، امتازت بعمق قعرها [4].

---

(1) محمود شيت خطاب، عقبة بن نافع الفهري، دار الفكر، ط5، بيروت، 1977، ص 52، فاروق محمد علي، المرجع السابق، ص 61.

(2) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص 410.

(3) تعتبر من أقرب المناطق للعبور من المغرب إلى الأندلس، فهي قريبة من المغرب لوصول الإمدادات ثم الانتشار في المناطق الاندلسية، تقع على ربوة مشرفة على البحر ذات مناعة وحصانة، وتسمى جزيرة ام حكيم وهي جارية لطارق بن زياد، تشتهر بمرساها الجيد وصناعة السفن، انظر: الحميري، ص 73، 74.

(4) أنظر: مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 51، شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الناشر محمد المهدي الجبالي، ط1، فاس ، 1936 ، ج1، ص 74.

أما البرتغاليون فقد حفروا خندقا كبيرا حول قصر أبي دانس 587 هـ/1195م فعند هجوم المنصور عليها أمر بردم خنادقها، فاقتحمها ودخلها [5].

وبرع الموحدين في كسر عمليات الخندقة في دخول حصن قلمالة587 هـ/1195موهو من القلاع سامية الارتفاع والغريبة، ويصعب على أي جيش اقتحامها، فاستطاع الموحدون إيجاد حلول تقنية، حيث سوّيت خنادقهم بالردوم وقرعت أسوارها بالرجوم " [1].

وفي إطار الصراع النصراني الموحدي نلاحظ أن النصارى عندما تيقنوا من غزو الموحدين لوبذة 567 هـ/1170م حفروا خندقا للإطاحة بهم، دام حفره يومين وصنعوا عليه زريابا من الخشب، أضافوا إليه أبواب ديارهم وبيوتهم، إلا أن ذلك لم يفلح أمام إستراتيجية الموحدين الذين فتحوا المدينة بسرعة مطبقين آليات محاربة الخنادق [2].

- **الظروف المناخية والتضاريس:** تلعب هذه العناصر دورا كبيرا في تحديد نتيجة المعركة، لذلك اهتمت الجغرافيا الحربية بالبحث عن مدى تأثير المعالم الطبيعية على سير العمليات الحربية، فالتاريخ الحربي فرض الاهتمام بالجغرافيا الحربية وفن سوق القوات وتحركاتها وقيادتها أي فن الإستراتيجية والتكتيك.

لذلك وجب على القائد أن يكون ملما بجغرافية الإقليم الذي ستجرى فيه العمليات الحربية، وهذا ما يقودنا إلى كيفية إعداد الجيش وتعبئته وتموينه والطرق المواصلاتية

---

(5) ليلى أحمد نجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي، دراسة تاريخية حضارية 588-602 هـ/1184-1198، رسالة دكتوراه، جامعة ام القرى، مكة، السعودية، 1989، ص 220.

(1) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 211.

(2) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 400، 405.

ويتحمل القائد مسؤولية الإهمال، لذلك وجب مراعاة هذه الشروط التي تتحكم في المعركة(3).

وعن أهمية الظروف المناخية يقدم لنا المرادي في كتابه السياسة والمعروف بالإشارة في تدبير الإمارة، مجموعة من الاستراتيجيات، حيث يقول: " واحتل للشمس أن تكون معك في وقت اللقاء، وللريح أن تكون معك وقت الهجوم وللماء وللمرعى أن يكونا معك في مكان النزول " (1).

ويعتبر المناخعاملا مؤثرا في العمليات العسكرية، فلا بد أن تحسن الجيوش الحساب للظروف المناخية المتوقعة أثناء سير العمليات العسكرية، وكذا حالة الطقس السائدة أثناء القيام بالعمليات العسكرية، فالظروف المناخية تملي على الجيوش إعداد الخطة المسبقة، والتي تتطلب أحيانا إيجاد حلول تتلاءم مع هذه المتغيرات، كبناء مواقع تحمي الجنود من المطر والبرد والرياح.

كما يعمل الضباب على حجب الرؤية وتقليل مداها، فهو من جانب يوفر البيئة المناسبة للحركة بعيدا عن أعين القوات المعادية بما يوفره من تضليل وخداع وتيه(2).

أما بالنسبة للتضاريس نجد أن للارتفاع أثر سلبي على العمليات العسكرية فبالإضافة إلى تعاظم الجهد المبذول مع زيادة الارتفاع، فإن درجة الحرارة حسب القانون تنخفض بمعدل 1° لكل 150 مترا، وهذا يؤثر على كفاءة الجنود.

---

(3) اليوز باشي محمد عثمان أفندي، الجغرافيا وأهمية دراستها– مجلة الجيش المصري– العدد 05، ماي 1939، وزارة الدفاع الوطني، القاهرة المطبعة الأميرية ببولاق، ص 233، 234، 236.

(1) محمد بن الحسن المرادي، كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق محمد حسن محمد وأحمد فريد المزيري، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت، 2003، ص 63.

(2) قاسم الدويكات، أثر الجغرافيا في العمل العسكري، إعداد وتنسيق أبو سعد الأثري، سلسلة بحوث الدراسات العسكرية الإستراتيجية، ط1، دمشق، د.ت،، ص 17، 26.

كما نجد أن الجبال تمنح للمدافع فرص الصمود، ويتيح فرصة جيدة للرؤية أي مشهد عام للمعركة، ولكن هناك سلبيات للدفاع في المناطق الجبلية، حيث تضعف الاتصال المباشر بين القائد وجنوده وهو ما يؤدي إلى تفرقها في وحدات منعزلة(3).

أما السهول فهي تفرض على القوات التشتت والتوزيع لتتمكن من حماية الجبهات الطويلة، فهي مكشوفة للعدو وبعيدة عن التخفي والتستر، كما تتيح السهول للمهاجمين فرص المراقبة والالتفاف والتطويق للقوات المعادية(1).

وقد اهتمت الشعوب القديمة بهذه العناصر ووظفتها في معاركها وحروبها، بل ألّفت فيها مؤلفات مثل المفكر العسكري الصيني سون تزو الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، حيث بيّن أهمية التضاريس ومدى توقف الحرب عليها، وقسمها إلى ستة أنواع، أراضي سهلة المنال تحتوي على طرق معبدة واتصالات وأراضي محفوفة بالمخاطر ذات أفخاخ وكمائن وأراضي معوقة والممرات الضيقة والمرتفعات الخطرة والمواقع شديدة البعد عن العدو (2).

إذا تتبعنا هذه القراءة فإلى أي مدى تنطبق على الواقع العسكري للمرابطين والموحدين ؟ وإلى أي مدى استخدمت في برنامجهما العسكري ؟

هناك أحداث كثيرة بينت عدم تغافل الدولتين عن هذه الإستراتيجية في حروبهما ضد النصارى والمتمردين، بل أعطوا هذه الإستراتيجية حقها في التطبيق الميداني، ولنا الكثير من الأمثلة تثبت ذلك.

---

(3) المرجع نفسه، ص 27–29.

(1) نفسه، ص 38، 39.

(2) سون تزو، المصدر السابق، ص 63.

ففي سنة 533 هـ/1138م لاحق تاشفين بن علي جموع الموحدين التي تحصنت في أعالي الجبال، حيث دارت بين الطرفين حرب في طرق جبلية ضيقة جدا وجبال شاهقة، وبما أن المهاجم سيكلفه خسائر وضحايا طلب تاشفين وقف القتال والرجوع، إلا أن عدم معرفة قبيلة جزولة بخبايا تضاريس الجبال عند الانسحاب، حيث سلكوا طرقا جبلية وعرة وضيقة، فهجم عليهم الموحدون فهزموهم وقتلوهم رغم نصائح تاشفين لهم [(1)].

وعندما تحصنت الروم في جبل القصر [(2)] 530هـ/1135م تبعهم تاشفين بن علي إلى الجبل ودارت معركة أظهر فيها المرابطون خبرتهم في القتال الجبلي، حيث أبيد الروم عن آخرهم، وفي صورة أخرى لم يحسن المرابطون التصرف مع الظروف المناخية فكانت نقمة عليهم في محاصرة مدينة فاس 536هـ/1141م، حيث يقول ابن عذارى: " وكان وصوله إليها في أول المشتى فروت الأرض بنزول الغيث واشتد البرد إلى أن هلك كثير من عساكر تاشفين بردا وجوعا لانقطاع الطرق عنهم " [(3)].

وكان عبد المؤمن بن علي خبيرا عسكريا في قتاله للمرابطين، ذلك أنه اختار التحصن وكسب الأتباع في المناطق الجبلية كأسلوب استراتيجي تكتيكي، حيث يقول ابن عذارى في هذه العملية: " وتحرك على طرقات الجبل بخيل كثيرة العدد ورجال ولما وصل خبره إلى تاشفين بمراكش جنّد جنوده وحشد حشوده... فمشى عبد المؤمن في تلك الجبال وعدة عسكره آلاف الرجال... فكان الموحدون يمشون في الجبال المانعة حيث الأرزاق الواسعة، وكان تاشفين يزل البساط بعساكره فما يجد من البرابر من بداخله ولا من يستعين

---

(1) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 15.

(2) مدينة بالأندلس تقع على ضفة نهر كبير محاطة بالصنوبر، أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 161.

(3) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج4، ص 93، 94، 99، 100، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 187، حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، د.ت، ص 204.

به " [4] كما استطاع عبد المؤمن أن يرهق القوات المرابطية بتنقله من جبل إلى جبل، ففي مواجهة بين الموحدين والروم للسيطرة على مدينة وبذة 567هـ/1172م تهاطلت أمطار غزيرة مصحوبة برياح عاصفة فخاف الموحدون ورعدوا من هول الطبيعة وعجزوا عن القتال [1].

كما أن اختيار المهدي لمدينة تنمل الواقعة على جبل درن ينم عن إستراتيجية الدفاع المحصن، حيث يصفها صاحب الحلل: " فطريق أوسع ما فيه أن يمشي عليه الفارس وحده موسعا وضيقه أن ينزل عن فرسه خوفا من سقوطه... لأن الطريق ممنوعة في نفس الجبل، نحت راكبها حافات وفوقه حافات وفيها مواضع مصنوع بالخشب، وإذا أزيلت منها خشبة لم يمر عليها أحد " [2].

وفي أحد الصراعات والنزاعات على قلعة رباح 568هـ/1173م [3] بين الموحدين والروم، الذين تحصنوا في أعلى الجبال لنقل المعركة هناك، ولكن خبرة وتكتيك الموحدين كان الأفضل في مثل هذه الحروب، فدارت معارك فردية وجماعية تميزت بالضرب والطعن مدة نصف نهار، انتصر فيه الموحدون، وفي هذا يقول صاحب المن بالإمامة:" وانحازوا (أي النصارى) إلى جبل شاهق لا يصعد عليه إلا من طريق واحدة في شعراء ملتفة خذقه اعتقدوا أنها منجاتهم... فتدافع الموحدون أيدهم الله مع النصارى في ذلك

---

(4) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 16.

(1) المصدر نفسه، ص 16، 123، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 323.

(2) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 113، ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج4، ص 68.

(3) هي مدينة أندلسية من أقاليم جيان، تقع بين قرطبة وطليطلة، بنيت في عهد بني أمية، وهي من أكثر المدن تحصينا، بقيت تحت سيطرة النصارى مدة واحد وخمسون سنة وعشرة أشهر حتى استرجعها المنصور الموحدي، أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 163.

الجبل الوعر الملتف بالشعراء والحجارة، حيث لا ينفذ لفارس جري ولا مشي، فبعد نصف نهار في طعن وضرب ومقارعة وحرب هزم الله المشركين " [4].

نجد كذلك أن بعض زعماء النصارى وهو جيرلنده قد استغلوا الظروف المناخية الشديدة للتسلل داخل المدن، حيث كان يتسلل في الليالي الممطرة حالكة الظلمة شديدة الريح والثلج [1].

وأثناء مواجهة المنصور لقراقوش الغزي وابن غانية في القيروان 583هـ/ 1193م خضعت لظروف مناخية طارئة تمثلت في كثرة الضباب الكثيف الذي انتهزه الأعداء للهروب والانفلات، كما انتهز ابن غانية الظروف المناخية الشتوية وهيجان البحر وسيطر على مدينة يابسة 599 هـ/1209م[2].

وعند حصار الموحدين لمدينة وبذة 599هـ/ 1209م مدة أسبوعين لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها بسبب هبوب رياح عاصفة ألحقت خسائر فادحة بالموحدين، وكان ذلك مصحوبا برعد وبرق وهطول لمطر، فانتهز النصارى الفرصة وخرجوا من مدينتهم، وهزموا عسكر هكسورة [3].

---

(4) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 431.

(1) المصدر نفسه، ص 288.

(2) ثالث جزر البليار من حيث المساحة التي تبلغ 541 كلم2 طولها 40 كلم وعرضها 21 كلم، تقع إلى الجنوب الغربي من جزيرة ميورقة، حيث أسهمت في تطوير البحرية الإسلامية واشتهرت بأخشاب الصنوبر الصالحة لبناء السفن، أنظر: أبو مطرف بن عميرة، تاريخ ميورقة، تحقيق محمد بن معمر، منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، ط1، وهران، ص 61، الحميري، المصدر السابق، ص 198، ابن عذارى المراكشي، البيان المغربي، قسم الموحدين، ص 191، 240، ابن زرع، المصدر السابق، ص 218، ابن خلدون، العبر، ج6، ص 257، الزركشي أبا عبد الله، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، ط2، تونس، 2002، ص 16.

(3) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 498، 501، هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 246.

هذه بعض الشواهد التي تثبت صحة القراءة وتطابقها على الواقع العسكري المرابطي والموحدي، ذلك أنها استغلت أحسن استغلال في الإستراتيجية العسكرية، إذ بينت عبقرية الدولتين في التعامل مع الظروف الطبيعية، ومدى نضج المؤسسة العسكرية وعلميتها ومعرفتها.

المبحث الثالث: الحرب النفسية و العيون والهدنة وقضية الأسرى في الإستراتيجية العسكرية للدولتين:

أ- الحرب النفسية:

وقد تباينت تعاريف هذه الحرب، فهناك من يراها حربا هجومية يخوضها الجيش بأسلحة فكرية وعاطفية من أجل تحطيم المقاومة المعنوية في جيش العدو، كما أنها الكلمات والأفعال، وهي استخدام أية وسيلة قصد التأثير على الروح المعنوية وعلى سلوك أي جماعة لغرض عسكري معين، وهي استخدام مخطط من جانب الدولة للدعاية وغيرها من الإجراءات الإعلامية الموجهة إلى الخصوم [1]، من بث الأخبار المدروسة والإجراءات المعنوية لإشاعة البلبلة الفكرية عند العدو التي تنتهي باستسلامه[2].

ويرى آخرون بأنها حملة مخططة شاملة تستخدم الدعاية والشائعات وأساليب أخرى كإجراءات عملية ذات طبيعة سياسية وعسكرية [3]، وشن هجوم مبرمج على نفسية وعقل الفرد والجماعة لغرض إحداث التفكك والوهن والارتباك فيهما وجعلهما فريسة لمخططات وأهداف الجهة صاحبة العلاقة والسيطرة عليها وتوجيهها الوجهة المقصودة

(1) فهد بن عايد العايد، الحرب النفسية في ضوء القرآن الكريم، بحوث الملتقى الدولي حول العسكرية الإسلامية في ضوء القرآن الكريم لجائزة الأمير سلطان الدولية لحفظ القرآن الكريم للعسكريين الرابعة، 2007، وزارة الدفاع، السعودية، ص 504.

(2) احمد زماني، بحوث في النظام العسكري في الإسلام، الدار الإسلامية، ط1، بيروت، 1991، ص 155.

(3) محمد منير حجاب، الحرب النفسية، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2005، ص 18.

[1]، باستخدام الدعاية وغيرها من الأساليب للتأثير في إرادة وعواطف واتجاهات وعقائد وسلوك جماعات معينة، فهي جزء أساسي من الحرب الشاملة [2].

وتعتبر الحرب النفسية من أخطر الأسلحة الفتاكة والمدمرة للأمم والجيوش، فهي بوسائلها المختلفة موجهة إلى الفكر والعقيدة والقوى النفسية؛ من أجل إضعافها وتحطيمها [3].

ويبين لنا تاريخ الحروب أن الجيوش التي انتصرت ماديا على أعدائها يبقى انتصارها ناقصا وغير مكتمل؛ لأنه لم يقض على عدوه من الجانب المعنوي، الذي يعد الجانب الأكثر فعالية في مسار وحركية الحروب وكيفية اكتسابها [4].

وتعتمد الحرب النفسية على أسلوب الإشاعة التي تتميز بشدة تأثيرها على عواطف الجماهير وقدرتها الكبيرة على الانتشار؛ وتختلف الإشاعة عن الأساليب الأخرى لأنها الوسيلة التي تحملها وتنقلها وتضاعف من حدتها وفاعليتها، وهي سلاح فعال يستعمل للسيطرة وزعزعة الوحدة الفكرية وبث البلبلة والفوضى [5].

---

(1) أحمد نوفل، الحرب النفسية، د.ط، دار الشهاب، الأردن، 2000، ص 34.

(2) عبد الرحمان محمد عيسوي، علم النفس الحربي، دار الراتب الجامعية، مصر، 2008، ص 42، محمد بن فراج الشمري، طرق دراسة الحرب النفسية، مجلة كلية خالد العسكرية، السعودية، عدد 101، 2010، ، ص 14.

(3) أما في العصر الحديث فقد تطورت وصارت تعتمد على الدراسات السوسيولوجية التي تساهم في تطوير الجيش خاصة ما يسمى بالطب النفسي، أنظر: عبد الله بن فريح العقلا، المرجع السابق، ص 375، فؤاد الآغا، علم الاجتماع العسكري، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2008، ص 12، 13.

(4) محمود شيت خطاب، إرادة القتال في الجهاد الإسلامي، دار الفكر، ط2، القاهرة، 1973، ص 26.

(5) عبد الله بن متعب ربيق، الإشاعة والحرب النفسية، مجلة الحرس الوطني، العدد 297، جانفي 2007، الكويت، ص 28.

ويقوم انتشار الإشاعة على عاملين: أولهما عامل الاهتمام وثانيهما عامل الغموض في الخبر، وتخضع في انتشارها إلى قوانين فتصبح أقصر السرد وأقل في التفصيل وأكثر سهولة في النقل إلى الآخرين وأكثر تعرضا للتشويه مع تكرار نقل الخبر [1].

وهي أخبار مشكوك في صحتها ويتعذر التحقق من أصلها، وتتعلق بموضوعات لها أهمية لدى المواجهة، ويؤدي تصديقها إلى إضعاف الروح المعنوية وتحطيم إيمان الخصم بعقيدته وإدخال الشك بها [2].

من خلال تتبعنا للأحداث والتواريخ المعلمية المرابطية والموحدية وجدنا أن هذا النوع من الحروب لم يكن غائبا في الإستراتيجية الحربية للدولتين، وذلك من خلال الأمثلة التاريخية الآتية:

نلاحظ من خلال الرسائل والمخاطبات التي حملت في طياتها بعض صور الحرب النفسية من خلال الرسائل المتبادلة بين قادة النصارى والمرابطين والموحدين من ذلك المكاتبات بين يوسف بن تاشفين والأذفونش ملك قشتالة قبيل معركة الزلاقة 479 هـ/ 1186م، تبين هذه الرسائل مدى الاستفزاز والاستهزاء والتراشق الفكري واللفظي بين الطرفين [3].

---

(1) نشام أحمد، العوامل العلمية لسيكولوجية سريان الإشاعة، مجلة روضة الجندي، العدد 153، أكتوبر 1997، مديرية الاتصال والإعلام والتوجيه، وزارة الدفاع الوطني، الجزائر، ص 16.

(2) محمد بن فراج الشمري، طرق دراسة الحرب النفسية، مجلة كلية خالد العسكرية، عدد 101، جوان 2010، السعودية، ص 18، فهمي النجار، الحرب النفسية في ضوء القرآن الكريم، بحوث الملتقى الدولي حول العسكرية الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، 2007، السعودية، وزارة الدفاع، ص 419.

(3) أنظر الرسالة كاملة، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 53، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 220، 221.

كذلك رؤيا الأذفونش قبل معركة الزلاقة دليل على الحالة النفسية والضغط الذي يمر به، كما تبين ظاهرة التشتت والخوف والفزع [(1)]، والشيء نفسه يقال على رسالة الاستهزاء والازدراء التي بعثها ألفونسو الثامن للمنصور قبيل معركة الأرك 591 هـ/1195م يدعوه فيها إلى مواجهة حربية.

من خلال هذا يتضح لنا التركيز على الجانب النفسي ومس الرموز وشخصية قائد المسلمين للتأثير عليه، حيث وصفه بأوصاف دنيئة، وتعيره بالمريض العليل [(2)].

ثم أن التراشق الكلامي الذي يعتبر جزءا من أجزاء تكوين الحرب النفسية وإثارة الخصم وإرباكه، كالحرب الكلامية التي جرت عبر المخاطبات بين المعتمد بن عباد والأذفونش بن شانجه سنة 478 هـ/1085م[(3)].

وفي سنة 509 هـ/ 1115م بثت إشاعة مفادها أن شهر رمضان سيكون فيه خطب عظيم وحادث كبير وقطع على الدولة شديد وأن يوسف بن تاشفين سيموت فيه وانتشرت هذه الإشاعة بشكل سريع، كما نلاحظ ازدياد دور المنجمين في حروب

---

(1) مضمون هذه الرؤيا أنه رأى في منامه كأنه راكب فيل وإلى جانبه طبل معلق وهو يضربه فاستيقظ فزعا مذعورا، وجمع الأساقفة ومفسري الأحلام لتفسير رؤياه، ففسر له بأنه سيهزم يوسف بن تاشفين، ولكنه لم يقتنع بهذا التفسير حتى فسر له من طرف أحد علماء المسلمين وهو محمد بن عيسى المغامي المقرئ بطليطلة، فقال أن سيهزم شر هزيمة من طرف المسلمين وربط ذلك بقصة أصحاب الفيل، لكنه يبدو لنا أن هذا الحلم من نسج الخيالات والأساطير التي هولت المعركة وأحداثها، فهو من صنع العامة والقصاصون، لأن الحلم ارتبط بحادثة هدم الكعبة فأرادوا من خلال الانتصار في الزلاقة أن يربطوا هذا بذاك، أنظر: مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 54.

(2) أنظر نص الرسالة كاملا، ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج4، ص 38، 39، السلاوي الناصري، المصدر السابق، ص 39،

(3) أنظر نص المكاتبة، ابن عذارى المراكشي، ج4، ص 38، 39، ابن خلكان أبا العباس، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، إعداد وداد القاضي وآخرون، دار صادر، د.ط، بيروت، 1994، ج7، ص 116، الحميري، المصدر السابق، ص 85.

المرابطين وإن كان يوسف بن تاشفين يمقت هذا العمل، فالكثير تكهنوا بانتصاراته في الحروب، ربما يكون دافعا نفسيا للثبات والمقاومة[1].

وعن الظروف النفسية المنهارة التي يعيشها سكان دانية[2] من جراء الغارات حيث يقول ابن عذارى: " واشد جزع المسلمين بدانية ... وكثر شر الغارات من بلنسية عليها وتوالى الضرب وعظم الضرر وانقطعت السابلة وخافت الطرق " [3].

وعندما سيطر الكومبيطور[4] على بلنسية 485هـ/ 1092م قام بإعدام قاضيها ابن حجاف[5]وأهله حرقا أمام المسلمين، وهذا من أجل تخويفهم وترك أثرا نفسيا عن طريق نشر الفزع والرعب والاستسلام [6].

ومن بين وسائل الضغط النفسي ضرب الطبول في الجيش الموحدي لإخافة الأعداء من ذلك أنهم عند فتح مدينة وبذة 567هـ/ 1172م صفقوا الطبول التي بلغت

---

(1) من ذلك تكهن منجم الأمير أبو القاسم بانتصار المسلمين بقيادة يوسف بن تاشفين، ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج4، ص 63.

(2) مدينة أندلسية تقع في ركن منعزل على شاطئ البحر المتوسط قبالة جزيرة يابسة، وهي قديمة الإنشاء تعرف في عهد الرومان باسم Δανυμ وهي مركز إنشاء السفن، وتشتهر بالتين والكروم، أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 76، محمد عبد الله عنان، الآثار الاندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1997، ص 145.

(3) المصدر نفسه، ص 34.

(4) يطلق عليه في الروايات العربية اسم القمبيطوز أي المحارب الباسل أو المبارز، وهو فارس قشتالي مغامر يدعى رودريجو دياثبيبار، أنظر: محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، ص 231.

(5) اسمه أبو جعفر ابن حجاف المعافري، تولى حكم بلنسية بعد مقتل القادر ذي النون في 485هـ/ 1092م، الذي حصّن المدينة وقاوم حصار القمبيطور مدة عشرون شهرا ثم قبض عليه وأعدم حرقا، أنظر: الضبي، المصدر السابق، ص 285.

(6) نفسه، ص 37.

مائة طبل، فعندما ضربت الطبول كأن الأرض اهتزت وصار النهار ليلا، خاصة وأن هذا القرع كان مصحوبا بالتهليل والتكبير، فكان من أهم العوامل لهزم النصارى [1].

كما استغل يوسف بن هود حالة الإحباط وسخط الناس على الخلفاء الموحدين المتأخرين جراء الأوضاع التي آلت إليها الدولة، فبث إشاعة من أجل الدعوة له ضد الموحدين، حيث نشر تنبؤات بين الناس عن قرب ظهور مخلّص من أصناف الجند اسمه محمد، واسم أبيه يوسف، يتم على يديه إنقاض المسلمين، حتى أن الموحدين قبضوا على الكثير من تسموا بمحمد فقتلوهم [2].

كما استعمل ابن همشك الإشاعة للإطاحة بالجيش الموحدي، حيث دس بأهل إشبيلية خبرا كاذبا مفاده أن ابن همشك احتل قرطبة ودمر زرعها، وأن أبا زيد بن بخيت استشهد دفاعا عليها، فلما خرج أبو زيد من قرطبة لتكذيب ذلك كمن له ابن همشك بمقربة من قرطبة فقتله مع جنوده سنة 554 هـ/ 1159م[3].

وما نستنتجه هو أن الحرب النفسية تعتبر من أهل الأساليب التي استعملت في الإستراتيجية الحربية المرابطية والموحدية لمواجهة الأعداء والخصوم، وقد طبقت بشكل محكم يدل على نضج المشرفين على الجهاز العسكري المرابطي والموحدي أي أنهم لم

---

(1) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 405، 406.

(2) ابن عذارى المراكشي، قسم الموحدين، ص 256، ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الأعلام، ص 278، ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص 128، هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 207، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 275، 276.

(3) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 69، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 280.

يكونوا منعزلين عن الاستراتيجيات المطبقة آنذاك، فقد أولوها عناية فائقة فكانت نقطة حاسمة في انتصاراتهما.

ب- العيون:

تعتبر العيون [1]، من الأمور الأساسية والهامة في كسب المعركة؛ حيث تساهم في الحصول على المعلومات من أجل بناء مخطط صحيح ومتكامل عن العدو أو الأرض، التي ستجرى عليها المعركة، سواء في مرحلة التخطيط أو خلال المعركة أو بعدها، ويمكن أن يتخذ القائد أو الحاكم عيونا له كالرقابة الإدارية على الولاة والعمال والجند، ليتعرف على أحوالهم وسيرتهم، وترفع له تقارير عما يدور [2].

وعموما فالاستطلاع هو جمع المعلومات عن العدو باستخدام جميع الوسائل لمعرفة القدرات والمعدات والخطط وأنواع الأسلحة، لأن الحصول على المعلومات الكاملة عن العدو يؤدي إلى اتخاذ القرار الصحيح بعد التقدير السليم للمعلومات، وقد استعملت الدولة الإسلامية الناشئة هذا الأسلوب وطورته، ويظهر ذلك في الأساسيات العسكرية للخلفاء الراشدين.

وهناك شروطا لاختيار العيون، كالليافة الجسمية والشجاعة والسلامة من الأمراض والذكاء، وأن يكون عارفا بلسان أهل البلاد والقدرة على التمثيل والتلون والتخفي وذو حدس

(1) تطلق معظم كتب الفقه اسم العين على الجاسوس، وقد ورد التعريف بالجاسوس في دائرة المعارف الإسلامية بما يلي: " كلمة تدل على المعنى المعروف وهي ترد ملازمة مع كلمة عين بمعنى الرقيب، ومن ثم فإنه لا يمكن في جميع الأحوال أن نميز بين الكلمتين، ولا يكاد المرء أن يناقش إحداهما دون الرجوع إلى الأخرى "، أنظر: دائرة المعارف الإسلامية، التجسس، ص 28.

(2) سلمان بن صالح، الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها حتى متصف القرن الثالث الهجري، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة، السعودية، 1998، ج1، ص 385، 396.

وفراسة، فمهمة العين هو البحث والتفتيش عما يخفى من الأخبار والمعلومات السرية الخاصة بالعدو والاستفادة منها في إعداد خطة المواجهة (1).

فالعيون لا تكون عملا فرديا، بل تشارك فيه جميع فئاتها معا في وقت واحد وفي انسجام تام، حتى لا يستطيع أي شخص اكتشاف هذا التنظيم السري، كما تستطيع الدولة أن توظف عيونا من الأعداء بواسطة الإغراءات كالرشاوى (2).

ومن أمثلة أخبار العيون ما يرويه المقري من أنه قبيل وقعة الزلاقة استطاعت عيون المعتمد بن عباد أن يصلوا إلى محلة الملك ألفونسو السادس وأن يسمعوا ما دار بينه وبين أصحابه من حديث، حيث يقول: " ثم جاءت الجواسيس من داخل محلتهم تقول استرقنا السمع فسمعنا الأذفونش يقول لأصحابه ابن عباد مسعّر هذه الحروب، وهؤلاء الصحراويون وإن كانوا أهل حفاظ وذوي بصائر في الحروب فهم غير عارفين بهذه البلاد وإنما قادهم ابن عباد فاقصدوه واهجموا عليه واصبروا فإن انكشف لكم هان عليكم الصحراويون بعده، ولا أرى ابن عباد يصبر لكم إن صدقتموه الحملة"(3).

يروي عبد الواحد المراكشي أن المرابطين قبيل عبورهم الأندلس أرسلوا مجموعة من عملائهم في شكل زهاد وعبّاد ومجاهدين وهم في الحقيقة عيون يعملون لحسابهم، حيث يقول: " فاتفق رأي يوسف بن تاشفين ورأي أصحابه أن يراسلوا المعتمد يستأذنونه

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص 276، القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص 124، بن بلكين بن عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله المسماة كتاب التبيان، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص 21، محمد ركان الدغمي، التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط2، القاهرة، 1985، ص 30، عبد القادر عثمان محمد جاد الرب، الوضع السياسي والاجتماعي لغرناطة في القرن الخامس الهجري، دكتوراه، 1997، ج1، الرباط، ص 326

(2) سون تزو، المصدر السابق، ص 90، 92.

(3) المقري، المصدر السابق، ج6، ص 98، 99.

في رجال صلحاء أصحابهم رغبوا في الرباط بالأندلس ومجاهدة العدو والإقامة ببعض الحصون المساقبة للروم إلى أن يموتوا ... وأراد يوسف وأصحابه من ذلك أن يكون قوم من شيعتهم مبثوثين بالجزيرة... ووجدوا لهم في كل بلد لهم أعوان " [1].

لقد حرص الموحدون على كتمان أخبارهم العسكرية بالإضافة إلى استخدام التمويه الذي كان عاملا مساعدا في إنجاح الكثير من حروبهم، فاستخدم المنصور نظام التجسس على العدو لمعرفة أحواله ونقاط ضعفه ومدى قوته، من ذلك دسه لعملاء قصد الحصول على معلومات ويظهر ذلك من خلال استعادة بجاية 588هـ/ 1196م، حيث يقول ابن عذارى المراكشي: " ودسوا بالكتب جواسيس دخلوا بها ليلا إلى البلاد واحتموا مع من يوثق به للأمن ".

ثم أن فشل ثورة الأشل 589هـ/ 1197م كان بسبب نجاح مخابراتهم، حيث دست له عيون يتحسسون أخباره ومكان استقراره، فمن خلال هذه المعلومات قضي عليه، دون أن ننسى أن هناك جوسسة مضادة، فقد اكتشف المنصور أثناء السير لمعركة الأرك مجموعة من النصارى يتجسسون على جيشه، وهذا يدل على الفطنة والحذر، فكان بارعا في اقتفاء أثرهم والقضاء عليهم[2].

ولعل الذين اشتهروا بالجوسسة في العصر الموحدي أبي عمران موسى بن حمو الصنهاجي، الذي يقول فيه صاحب المن: " وقدموا أمامهم طليعة من جملة الأدلاء الحافظ ابن أبا عمران موسى بن حمو الصنهاجي ... لشهامته بأخبار الثغور لتعليم كل

---

(1) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 138، 139.

(2) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 215،178 ، ليلى أحمد نجار، المرجع السابق، ص 373، 375.

ساعة برحيل النصارى ونزولهم ومبيتهم وترتيب مشيهم، ويتطلعوا على أسرارهم فكلما مشوا مرحلة تطلع عليهم وأعلم الشيخ المرحوم والموحدين بما لديهم " [1].

كما كان له دورا في انهزام النصارى إثر معركة إيله 566 هـ/1170م بالنظر إلى إستراتيجية المعلومات المقدمة للموحدين، بل أن الجند الموحدين قضوا نهائيا على جواسيس النصارى في هذه الموقعة [2].

وفي منحى آخر نلاحظ تسرع العيون والأدلاء وعدم معرفتهم بالجوانب الجغرافية أفرز بعض الأخطاء، من ذلك أن الموحدين عندما نزلوا مدينة ركانة567هـ/ 1172م بمخطط خاطئ من العيون، حيث اخترقت العساكر الجبال والمضائق والشواهق فتاهوا [3].

كما استعمل المتمردون على الحكم المرابطي والموحدي عملاء كجواسيس من المدينة نفسها للاطلاع على الأسرار والعيوب، من ذلك أن ابن غانية استطاع أن يجد جواسيسا ويغرسهم في بجاية لتسهيل دخولها، حيث ساعدته مجموعة من السوقة والفساق في كشف عورات المدينة 581هـ/ 1188م.

وفي جانب آخر نجد أن بعض العيون من زناتة الذين أوكلت لهم مهمة مراقبة جهات تلمسان 539هـ/ 1141م لم يقوموا بدورهم بل لعبوا دورا مزدوجا وخانوا الأمانة التي أوكلت إليهم[1].

---

(1) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 430.

(2) نفسه، ص 431.

(3) نفسه، ص 421.

(1) ابن عذارى، المصدر السابق، ص 275.

هذه بعض السلبيات التي تدل على وجود بعض الثغرات والفجوات في النظام المخابراتي، الذي يعد نظاما حساسا في المؤسسة العسكرية للدولتين.

بالإضافة إلى وجود صرامة وفطنة ودهاء في هذا النظام، من ذلك أن الموحدين مسكوا للبيوج ثمانون علجا من الأدلاء، كان يستخدمهم في إغارته على أركش وطلبيره 572هـ/ 1179م[2].

ج- الهدنة وقضية الأسرى:

تعتبر الهدنة وقضية الأسرى ميدانا آخرا لا تختلف عن ميدان الحرب العسكرية فهي حرب تعتمد على الدبلوماسية الصامتة، لأن توقيع الهدنة أو الصلح بمدى قصير أو بعيد له أهداف يطمح كل طرف لتحقيقها، وتعتمد على الحيلة وفن التفاوض وبراعة الحوار والذكاء في بنود الهدنة وتحريرها.

فالهدنة هدف مصلحي استراتيجي بين الطرفين وكسب الوقت لاسترجاع الأنفاس والعودة بقوة للخصم [3]، فالهدنة هي وقف القتال بين المتحاربين، يقال هدنت الرجل وأهدنته إذ سكنته أي المهادنة هي المعاقدة على ترك الحرب مدة معلومة، ويقول علي بن

---

(2) أركش مدينة أندلسية تقع على وادي لكة تشتهر بالزيتون، أما طلبيرة تقع على نهر تاجه متسعة ذات قلاع مرتفعة، أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 14، 128، ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 138، 252.

(3) في الشرع الإسلامي يجوز وقف القتال إذا اقترح من طرف العدو وتوفرت شروطه بنص الآية الكريمة: " وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله وهو السميع العليم " (الأنفال 61).

أبي طالب في نهج البلاغة: " ولا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضا فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمن لبلادك " [(1)].

ومن شروط الهدنة مع الكفار ومراعاة مصلحة المسلمين وأن يكون العدو ذو نية صادقة وبنوده تتماشى وكرامة المسلمين والوفاء بالشروط [(2)].

إذن فالهدنة عقد سلم بين أطراف الحرب وعهد أمان بينهما، وهي عند أهل الفقه مشاركة أهل الحرب مدة معلومة لمصلحة ما [(3)].

من خلال هذه القراءة لمدلول الهدنة فهل وجدت كأسلوب في الإستراتيجية المرابطية والموحدية ؟

إن تاريخ المرابطين والموحدين العسكري يبين لنا العدد الهائل من المواجهات الحربية مع الخصوم خاصة مع النصارى في الأندلس وتسمى دول المواجهة للخطر الصليبي، لذلك نجد شساعة مساحة الدولتين وبعض المشاكل الداخلية حتم عليهم قبول أو عقد هدنة مع الخصم النصراني.

(1) نجد أن المسلمين أول من درس كيفية المحافظة على العهود وعدم الغدر، حيث يقول علي بن أبي طالب: وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارعى ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جنة دونما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود، أنظر: علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، جمع وتنسيق الشريف الرضي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1990، ص 644، 645.

(2) يعرفها صبح الأعشى بأنها المصالحة وهي تأخير الحرب وقد تقع قبل بدء الحرب أو أثناءها وتسمى الموادعة والمسالمة والمقاضاة، أنظر: القلقشندي، ج2، ص 407، 408، أحمد زماني، المرجع السابق، ص 299، 300.

(3) ضو مفتاح غمق، المرجع السابق، ص 324.

فالنسبة للموحدين يمكن تقديم عدة نماذج من الصلح وأهدافهم منه، عن طريق الرسائل كرسالة الخليفة يوسف من إشبيلية إلى مراكش بشأن توقيع هدنة مع النصارى بطلب منها بسبب الضغط الموحدي المستمر على النصارى، بالقضاء على حليفهم ابن مردنيشثم محاولتهم فتح مدينة وبذة وكذا الانتصار الباهر الموحدي في فحص هلال على صاحب مدينة أبله وتوجيه حملات لتدعيم الثغور مع البرتغال ومحاولة السيطرة على جنوب قشتالة التي تعاني من مشاكل سياسية وداخلية وتوتر علاقاتها مع نافارا وليون، لذلك ونتيجة لهذا الضغط الموحدي رغبت البرتغال في الهدنة مع الموحدين فقلدتها قشتالة، فبعثا سفرائهما لعقد السلم مع الخليفة في إشبيلية سنة 569 هـ/ 1172م.

كان الطرفان يطمحان من خلال هذه الهدنة إلى أهداف إستراتيجية يمكن حصرها فيما يلي: بالنسبة للطرف الموحدي:

كسب الوقت لتدعيم الثغور عمرانيا واقتصاديا وعسكريا بسبب الهجمات البرتغالية عليها، وحل بعض المشاكل الداخلية ومواجهتها والتفرغ إليها مثل قراقوش الغزي المتمرد، ثم تقييم الوضع العسكري الداخلي والخارجي والمشاورة فيه من طرف الطلبة والشيوخ والأعيان.

أما بالنسبة للطرف البرتغالي والقشتالي، فكان يطمح إلى كسب الوقت لمعالجة حالات التمزق السياسي، والتركيز على جهة واحدة في الحرب (النزاع الحدودي مع نافارا)، ثم التفرغ للجبهة الداخلية وإصلاحها [1].

---

(1) رسائل موحدية، ج1، ص 119، 140.

ما نستنتجه هو أن الهدنة عقدت من موقع قوة الموحدين وشروطا خاصة، فما صحة هذه الهدنة وما مدى التزام كل طرف بها ؟

الأحداث اللاحقة تبرهن أنها كانت هدنة هشة، من تظاهر الملك جيرالدو بالخدمة لصالح الموحدين ولكنه كان يتصل سرا بملك البرتغال، ثم نقضت الهدنة من طرف ملك ليون سنة 569 هـ/ 1172م، ثم توصل الأطراف الإسبانية المتناحرة إلى نوع من التسوية في علاقتهما [1].

من جانب آخر نجد أن سلبيات معركة حصن العقاب 609 هـ/1212م حتمت على الموحدين أمام ثقل مشاكلهم الداخلية بإفريقية والأندلس، كانت هي المخرج وأسلوبا للتهدئة والتفكير في حل المشاكل، لذلك كانوا يسعون إليها مع الأسبان النصارى، وربما كان إطلاق المنصور لأسرى معركة الأرك تدل على احترام الهدنة وما قتل المستنصر لأحد مسؤوليه عندما أثار المشاكل في مدينة بطليوس أثناء الهدنة لدليل على التشبث بهذا الأسلوب كإستراتيجية [2].

ولقد كانت الهدنة خدعة مارسها النصارى ولم يحترموها، من ذلك الرسالة التي وجهها والي مدينة جيان إلى ملك قشتالة حول انتهاك الهدنة التي كانت مع الموحدين منذ سنة 600 هـ/ 1203م[3].

وفي سنة 568 هـ/1172م قام الغومس (الأحدب) بأسر مجموعة من المسلمين أثناء زحفه على الوادي الكبير وأبله وأستجه وسوف يساوم هؤلاء الأسرى فيما بعد [4].

---

(1) نفسه، ج2، ص 124.

(2) نفسه، ج2، ص 252.

(3) هذه الهدنة اخترقت من طرف فرسان قشتالة الذين اجتاحوا مدينة جيان، حيث أخذوا الكثير من الأسرى والغنائم سنة 607 هـ/ 1210م وهو تاريخ نقض الهدنة، أنظر: رسائل موحدية، ج1، ص 257.

(4) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 125.

ومن الأحداث التي تبين نقض النصارى للهدنات نجد أنه في سنة 590 هـ/ 1194 أخلوا بالصلح من طرف القشتاليين وثبوت رؤية الغدر من خلال معطيات كثيرة، حيث يقول ابن عذارى: " فلما وصلوا إليه وقد انصرمت مدة صلح مع قشتالة فبعث المذكور اللعين إلى جميع ثغور المسلمين المجاورة له لينذرهم ويحذرهم، وقد كان قد وجه رسله إلى عقد المهادنة وأزهر بعده المكيدة " [1].

كما اتخذت قضية الأسرى بعدا ماديا وطلبا للفدية خاصة من طرف النصارى حيث نجد أن ابن مردنيش عندما أسر قائد الأسطول بسبتة 576هـ/ 1180م وأخوه أبو العلاء وجملة من أصحابه، فساومهم بإحضار المال لفك أسرهم، وحقق مطلبه.

وفي حدث آخر نجد الأذفونش بن شانجه ملك قشتالة وطليطلة أسر خلال زحفه على رنده 578هـ /1182م ألف وأربعمائة أسير وعلى شنتقيلة578هـ /1182م سبعمائة أسير طالبا الفدية لفك أسرهم ففداهم أهل إشبيلية بألفين وسبعمائة وخمسة وسبعين دينارا ذهبيا ساهم منها ابن زهر من ماله الخاص بمائة دينار [2].

ولم يكن الصلح مع النصارى فقط بل إستراتيجية اتبعتها الدولتين ضد المتمردين للحفاظ على الأمن وكسب الوقت للقضاء على الحركات الانفصالية فيما بعد[3].

من خلال استقرائنا للأحداث المعلمية المرابطية والموحدية نجد أن الهدنة مورست كأسلوب استراتيجي عند الموحدين لأنهم صاروا مجاورين لدول المواجهة (الخطر الصليبي) بينما لا نجد هذا الأسلوب متبعا عند المرابطين، وليس هذا جهلا بهذا الأسلوب

(1) المصدر نفسه، ص 217.

(2) نفسه، ص 143، 146.

(3) نفسه، ص 41.

وإنما نجد أن دول الطوائف هي التي ارتبطت بصلح وهدنات مع النصارى لأنهم من دول المواجهة، فبعض المدن الأندلسية استولى عليها النصارى فتدخل المرابطون في حرب معهم من أجل استرجاعها، ومن ثم لا نجد في هذه المواجهات هدنات لأنها تتعلق باسترجاع المدينة فقط.

المبحث الرابع: أسلوب التخريب والأرض المحروقة:

من أهم الأساليب التي اتبعها المرابطون والموحدون في حروبهم ضد أعدائهم وهو أسلوب قديم وليس جديدا كما يدعي بعض المؤرخين الفرنسيين أنها ارتبطت بالجنرال بيجو، بل استخدمت عند الرومان والفينيقيين واتبعتها حتى الكاهنة في حروبها ضد حسان بن النعمان، وهذه السياسة تعني تدمير مساكن العدو وأمواله ومزروعاته.

لقد أولت الدولتان أهمية لهذا الأسلوب والأمثلة عن ذلك كثيرة، فعند اجتاح الروم لإشبيلية 524هـ /1128م في عهد علي بن تاشفين عملوا على التخريب والحرق أو ما تسمى بسياسة الحرق المضادة، حيث يقول ابن عذارى: " فقتلوا عظيما وسبوا عظيما... واستاقوا من الأسرى والمواشي ما لا يحصيه عدد ... فلم ... عن إحراق الزرع وقطع الشجر " [1].

كما قام الأذفونيش عند اجتياحه مدينة طلبيرة578هـ 1182م حيث عمد إلى إفساد الزرع وتخريبه كما اتبع المستعين أحمد بن هود سياسة الحرق ضد الروم في مدينة أونبة، حيث هدم وأحرق وقتل وسبى [2].

(1) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4، ص 83.
(2) نفسه، ص 42-53.

وكذلك عندما حاصر المنصور مدينة طمار 586هـ/ 1190م[1]، التي اشتهرت بالمزارع والأشجار والثمار، حيث قام بتخريب أراضيها من خلال الغارات الموحدية التي شملتها من كل الاتجاهات، كما ألحق خرابا بأراضي البرتغال [2].

وأثناء حصار المرابطين لمدينة الميرة 481هـ/ 1088م في عهد يوسف بن تاشفين استطاع الأذفونيش أن يخلص النصارى بحرق المدينة والحصن، حيث يقول ابن عذارى:" فقطعوا كرومها وأشجارها وأحرقوا زروعها وخربوا ديارها " [3].

كما اتبع القائد العسكري الموحدي أبو عبد الله محمد بن وانو الدين الهنتاتي سياسة الحرق التي امتدت من مدينة إشبيلية إلى مدينة يابرة، فغنم الكثير من بقر وغنم وأمر بقطع الثمار والأشجار والكروم فخرجت النصارى من المدينة فازعة منهزمة [4].

كما خربت مدينة باجة عن آخرها من طرف النصارى متبعين الأسلوب نفسه حيث يصف ابن عذارى ذلك: " وتحكم الكفرة في أوطانها وعند دخولهم إليها مشى كل منهم إلى داره وموضع قراره فأبصروا ما يشيب له الوليد أسفا ويبكي عليه الجمال لهفا قد أحرق منها الدور ومزق المعمور..." [5].

---

(1) هي مدينة تقع شمال طورش، أنظر: ليلى أحمد نجار، المرجع السابق، ص 217.

(2) رسائل موحدية، المصدر السابق، ص 225–227، ليلى أحمد نجار، المرجع السابق، ص 218،

(3) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 70، ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج4، ص 154.

(4) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 144.

(5) نفسه، ص 133، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 453.

والشيء نفسه استخدمه ابن مردنيش بقرطبة حيث نازلها ودمر زرعها [1]، كما أحدث العرب حرقا كبيرا بتلمسان من خلال الجموع التي أرسلت إليها، فنهبوا وأحرقوا وانتهكوا العمران، وهذا ما أثر سلبا على أهالي تلمسان [2].

وكذلك عند دخول الجيش إلى أراضي العدو يقوم بجمع المؤونة من الأراضي التي يمر بها ثم يقوم بانتسافها وحرقها حتى لا يستفيد منها العدو وهذا ما يسمى بسياسة التجويع [3].

المبحث الخامس: الحيل والخداع في حروب المرابطين والموحدين.

من بين الأساليب التكتيكية التي أدت إلى نجاح معارك المرابطين والموحدين هي أساليب الحيل والخداع وتقنية ممارستها، فهي تعني مجموعة من الإجراءات المنسقة وتنفيذها لإخفاء الحقائق وإقناع العدو وحلفائه بمفهوم غير حقيقي عن نوايا استخدام القوة وإمكانيتها الحقيقية، وتقوده إلى اتخاذ القرارات الخاطئة التي تؤدي إلى تهيئة الظروف المناسبة لإعداد الجيش، وهي جزء من العلم العسكري، وهي ضرورية في المعارك، كما تعرّف بأنها فن التمويه والاستتار عن الحقيقة والقيام بأعمال تضليلية لصرف العدو عن الاتجاهات والأمكنة والأعمال الأساسية، وهناك ألفاظ كثيرة ذات صلة كالحيلة والمكر والخداع والاحتيال [4].

---

(1) نفسه، ص 63، ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 66.

(2) نفسه، ص 252.

(3) رسائل موحدية، المصدر السابق، ج2، ص 237.

(4) جمال أحمد سليمان أبو ريدة، الخدع العسكرية للمسلمين في صدر الإسلام، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2009، ص 09-17-18.

ومن أهم الحيل الحربية التي استخدمها المرابطون والموحدون في حروبهم نذكر منها:

الاستطراد: ويسمى التراجع التكتيكي، وهو أن يظهر القائد الهزيمة أمام عدوه ليتبعه فيقوم بإبعاده عن حصونه بحيث تطول المسافة بينه وبينها، ثم يكر عليه مرة واحدة ويصدمه بكل قوته فيهزمه، ويؤكد الهرثمي على الحذر من الاستطراد إذ يقول: " إن استطرد العدو ولكم وراهجوا فلا تحملوا عليهم حتى يسكن الرهج ويثبت لكم " (1) وهذا ما طبقه عبد المؤمن بن علي عندما استعصى عليه حصار مراكش نظرا لحصانتها ومناعتها، حيث أمر فرقة من الموحدين بإحداث مناوشات مع المرابطين وإظهار الهزيمة لهم والفرار وحينما لاحقوهم وتباعدوا عنهم مسافة تكتلوا مع جيش عبد المؤمن المخفي فهجموا عليهم ومات من المرابطين خلق كثير (2).

ومن دهاء الحيل عند الموحدين ما تحيله القاضي أخيل بن إدريس (3) مع أبا زيد عبد الرحمن في التحيل لإقصاء ابن مردنيش عن قرطبة، حيث كتبوا كتابا على لسان سيد راي بن وزير ورفعاه لرجل زيات على ثيابه أثر الزيت، حيث يقول البيدق: " فأمره أن يغير لباسه كأنه زيات من أهل الشرف ويسير بالكتاب إلى ابن مردنيش بمحلته ويدفعه له، وفي الكتاب من ابن وزير فصل مستفعل عليه مكتوب أن يعجل بالإقلاع عن قرطبة

---

(1) الهرثمي صاحب المأمون، المصدر السابق، ص 45، فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 261.

(2) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 103، فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 262.

(3) هو أخيل بن إدريس الرندي الكاتب أبو القاسم ولي قضاء قرطبة وإشبيلية كانت سمحا جوادا بليغا توفي بإشبيلة سنة 561 هـ/1166م اشتغل كاتبا أيام الملثمين ثم استكتبه أبو جعفر حمد بن محمد في إمارته، أنظر: ابن الأبار القضاعي، الحلة السيراء، ص 241–242.

ويسير إلى إشبيلية فهو ضامن له دخولها " فعندما قرأ ابن مردنيش هذا الكتاب انصرف بقوته من قرطبة نحو إشبيلية [1].

وفي معركة الزلاقة 479 هـ/ 1186م حاول الأذفونيش خداع يوسف بن تاشفين بحيلة اختيار يوم المعركة الكاذب وتحديده بيوم الاثنين، حيث ينقل لنا صاحب الحلل ذلك يقوله: " إن غدا يوم الجمعة ولا نحب مقاتلتكم فيه لأنه عيدكم وبعده السبت يوم عيد اليهود وهم كثيرون في محلتنا ونحن نفتقر إليهم وبعده الأحد عيدنا فنحترم هذه الأعياد ويكون اللقاء يومالاثنين " [2].

وقد تفطن ابن عباد لهذه الخديعة التي تهدف إلى غدر المسلمين فأمر الجيوش الإسلامية بالحذر واليقظة وحث الناس على الاستعداد طوال يوم الجمعة وبالفعل كان شك المعتمد في محله إذ أعلنت الحرب على المسلمين في يوم الجمعة [3].

وقد قدم العديد من الشعراء ليوسف بن تاشفين عدة نصائح في شكل قصائد شعرية تحذره من خدع الحروب والتفطن إليها، من ذلك ما كتبه الصيرفي ليوسف بن تاشفين يحذره من خدع الحرب وينبهه على إحكامها، إذ يقول:

لا يعظمن عن الأمير فإنـها   خدع الحروب وكل حرب تخدع

واحتل لتوقع في مضايقة الوغى   خدعا توريها وأنت موسع [4].

التظليل: نوع من الخدع الهدف منها تقوية الروح المعنوية للجنود وإثارة الشك والرعب في قلوب الأعداء، وتعتمد على التمويه بإيهام العدو بقدوم الإمداد أو إظهار العدد والقوة أمامه ليزيده خوفا وارتباكا، وهذا أسلوب اتبعه الموحدون مع خصومهم المرابطين

(1) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 67-68.

(2) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 57، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 147.

(3) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 194، الحلل الموشية، ص 59.

(4) نفسه، ص 125-127.

من ذلك ما فعله علي بن تاشفين المرابطي عندما تحصن على البحر بوهران 539هـ/ 1142م لجأ الموحدون إلى إطلاق أصوات عالية دفعة واحدة فسمعها المرابطون وأهل وهران جميعا ثم اندفعوا دفعة واحدة فخاف المرابطون ورعبوا واستسلموا [1].

ومن أساليب التظليل كذلك أنه عندما تحصن يحيى بن أبي بكر بن يوسف المعروف بالصحراوي بمدينة فاس قام الموحدون بإيقاد النيران الكثيفة فوق جبل زلاغ المشرف على فاس فرهب ورعب المرابطين واستسلموا [2].

كما استطاع ابن غانية بذكائه وفطنته ودهائه أن يظلل بعض الناس عندما تأزمت به الأمور وأراد أن يدخل مدينة ميورقة 581هـ/ 1185م، ويقول ابن عذارى في ذلك: " وانظم في بعض القرى في أطرافها وخدع بعض الرعية باستمالتها واستلطافها فخرج عندهم وأعانوه بدواب ورجال وسار إلى البلد فدخله بتلطف واحتيال" ونفس الأسلوب اتبعه مع أهالي بجاية [3].

وقد تفطن الموحدون عند اجتياحهم لمدينة قابس أن العدو اتبع معهم سياسة التمويه، حيث يقول ابن عذارى: " ...والعدو بأقطار قابس قد تكاملت أعدده واستوفت حشوده وإمداده وجاءوا بخفهم وأثقالهم والنفيس من أثاثهم وأموالهم وعلقوا الإبل بأوقارها وأوقفوا الطعائن بكراعهم بإزائها وجعلوها كالتماثيل... ولما رأى الموحدون ما مثلوه من الأشكال وراعوا الاحتفال وإن ذلك من خدع حروب القتال " [4].

أسلوب المفاجأة والمباغتة: يستخدم في القتال وله صور منها: مفاجأة العدو بمهاجمته في وقت لا يتوقعه أو في مكان أو جهة لا يتوقع الهجوم عليه منها أو

(1) ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص 127.، فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 262.

(2) ابن الأبار، المصدر السابق، ص 315، فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 263.

(3) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 178-185.

(4) نفسه، ص 245.

باستخدام سلاح لم يكن يتوقعه وهذا ما حدث في معركة الزلاقة عندما فاجأ يوسف بن تاشفين معسكر النصارى وأحرقه وكذا استعمال الجمال ورغائها الذي أحدث هلعا كبيرا في صفوف خيل النصارى، وأحدث فيهم إرباكا شديدا وانهارت معنوياتهم في القتال واستسلموا، وهذا الأسلوب دقيق إذ لا يجعل العدو يعد العدة للتصدي لهذه المفاجأة أو مقاومتها لأنها مرتبطة بمكان وزمان معين لتطبيق المفاجأة [1].

كما دخل الموحدون مدينة شلب 540هـ /1143م بتدبير من أحد الأدلاء حيث استغلوا سبات النصارى وإهمالهم للحراسة وتأكدوا من أن القتال يكون في الصباح ولكن الموحدين فاجؤوهم، فاختاروا هذه المعطيات وانقضوا عليهم بغتة دون سابق إنذار، وهذا يدل على اختيار الوقت والظروف المناسبة لبدء تنفيذ العملية[2].

كما استطاع الموحدون أن يتغلغلوا في أوساط الجيش المرابطي بزيه داخل مدينة مراكش فأحدثوا مجازرا كبيرة في صفوفهم[3].

وما نخلص إليه من خلال هذه الدراسة أن المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين كانت تساير التطورات والتغيرات التي كانت سائدة في عصرها فقد عمدت المؤسسة العسكرية إلى إرساء مخطط عسكري دقيق يسير عليه الجيش في حروبه بكل دقة وتفان، وهذا عكس ما ذهبت إليه المدرسة الإسبانية التي تتهم المرابطين والموحدين بالحروب العشوائية غير المنظمة والخالية من الأهداف، وعلى رأسهم دوزي ويوسف أشباخ وليفي بروفنسال.

---

(1) محمد عبد القادر أبو فارس، المدرسة النبوية العسكرية، دار الفرقان للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1993، ص 184.

(2) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 211.

(3) ابن غازي المكناسي، المصدر السابق، ص 14، 15.

المعركة عند المرابطين و الموحدين دراسة في فن القتال الحربي :

تخضع المعركة إلى عدة تصورات وظروف توجهها وفق مسار الأحداث و لذلك يتحتم على القادة أن يضبطوا خطط لمواجهة كل طارئ يحدث عكس التصورات الافتراضية للمعركة ولعل معركة الزلاقة و الأرك و العقاب نماذج يمكن تقديمها لدراسة كيفية التخطيط العملي للمعركة أثناء المواجهة .

المبحث الأول: معركة الزلاقة (يوم الجمعة 12 رجب 479 هـ/ 23 أكتوبر 1086م) دراسة في التكتيك:

الزلاقة Sagrajas تطلق عليها المصادر المسيحية اسم ساكرالياس Sacralias وهي اسم لمدينة من أقاليم بطليوس من غرب الأندلس حوالي 12 كلم وهي عبارة عن سهل، لذلك تسمى بالسهلة، فهي أرض منبسطة تتخللها الأحراش [1].

أما بالنسبة لخط سير الجيشين للمعركة نلاحظ أن الجيش المرابطي كان انطلاقه من الجزيرة الخضراء نحو إشبيلية وصولا إلى بطليوس، وكان هذا الجيش مساندا من طرف ملوك الطوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عباد الذي نجح في عمليات الحشد لهذه المعركة، والعدد يدل على ذلك ستون ألف مقاتل من المرابطين وسبعون ألف من ملوك الطوائف، وكان وصولهم إلى بطليوس يوم 09 رجب 479هـ/ 1086م أي قبل المعركة بثلاثة أيام لاسترجاع الأنفاس والتشاور في الخطة [2].

---

(1) الحميري، المصدر السابق، ص 83.

(2) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 193، ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص 193، فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 311.

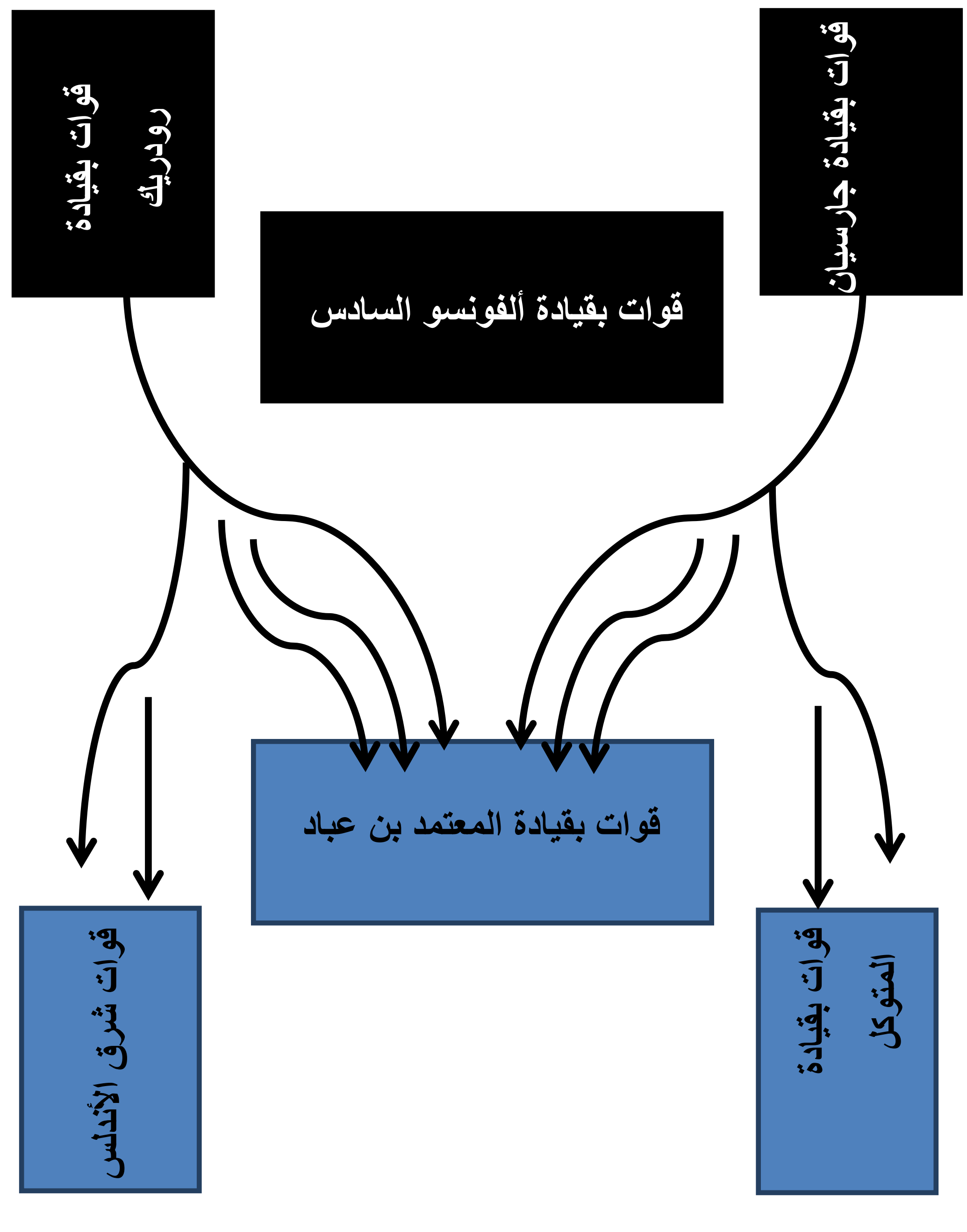
أما بالنسبة للحشد النصراني فحدث استنفارا مذهلا قام به ألفونسو السادس فاجتمعت له الجيوش من كل أنحاء إسبانيا النصرانية ومن الولايات الجنوبية لإيطاليا وفرنسا، فعمل على تعبئتها وتنظيمها فبلغت مائة وثمانون ألف مقاتلا، انطلق بهم من مدينة طليطلة إلى الزلاقة يوم 09 رجب 479هـ/ 1086م ولا يفصل بين الجيشين سوى ربوة، وفي هذه المدة تبادل الطرفان الرسل لتحديد يوم المعركة التي دامت يوما واحدا من طلوع الفجر إلى غروب الشمس [1].

وانطلاقا من المصادر والمراجع قسمنا المعركة إلى أربع مراحل وذكر مميزات كل مرحلة وإستراتيجيتها، ويمكن توضيح هذه المراحل بواسطة المخططات البيانية التالية:

---

(1) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 148.

المرحلة الأولى:



نلاحظ أن طلائع الجيش النصراني الميمنة والميسرة قد هاجمت بعنف وبشكل مفاجئ ودون إنذار القوات الأندلسية وطبقت خطة ألفونسو السادس المتفق عليها وهي الانقضاض وضرب مقدمة ابن عباد بقوة وكثافة عددية بقيادة كل من جارسيان وروردريك باعتبار أن قوات المعتمد نوعية وأكثر تدريبا وعددا، وفي الوقت نفسه تخصيص قوات أقل عدد لضرب الميمنة والميسرة من الجيش الأندلسي، حيث كانت الخطة النصرانية تهدف إلى إحداث اضطراب وثغرات وتخويف للجيش الأندلسي[1].

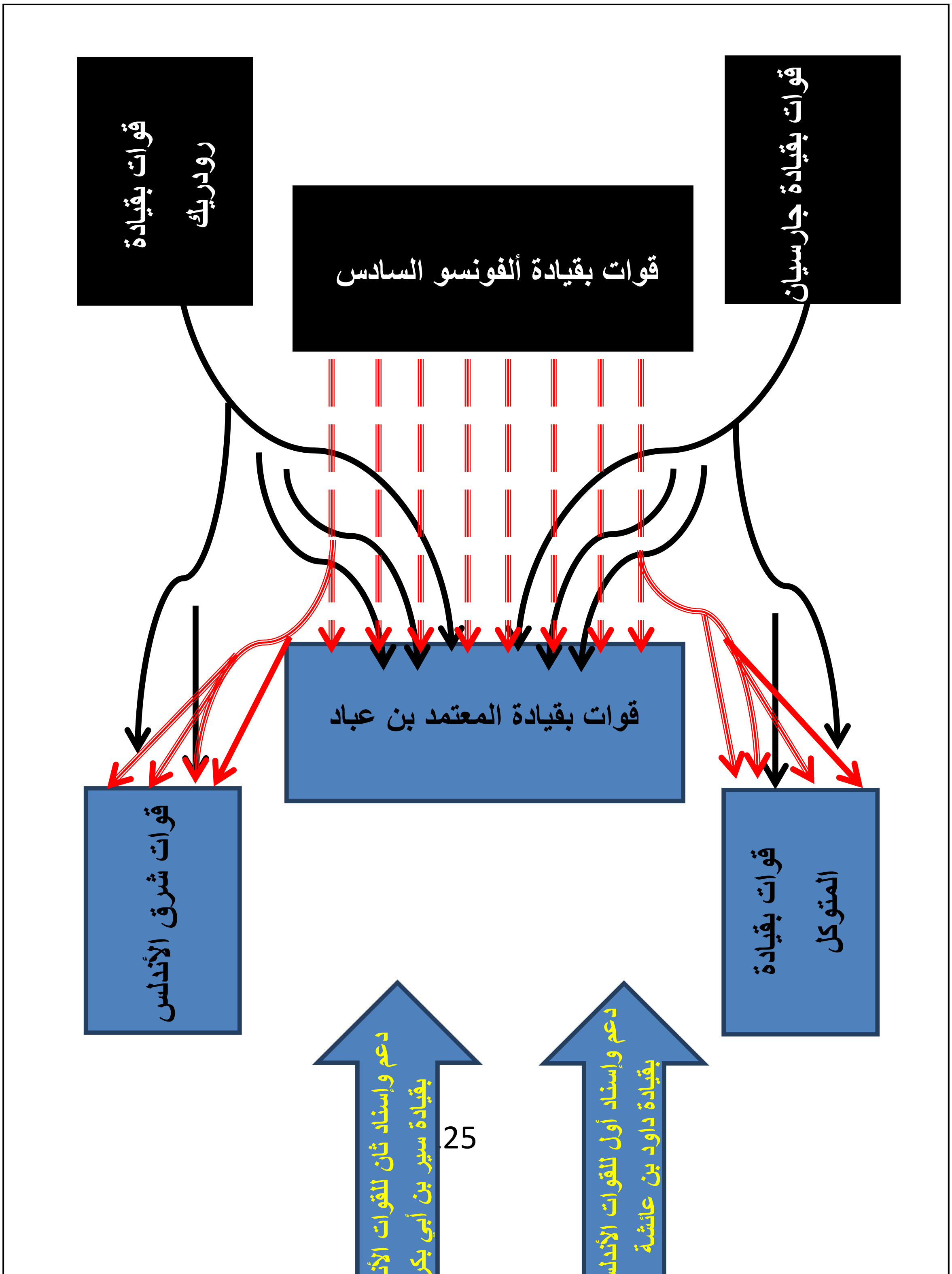
وهذا الهجوم النصراني درس من طرف قوات الأندلسيين في مجلس الحرب حيث كانت الخطة العسكرية الإسلامية الموضوعة تقوم على أساس أن يتلقى الأندلسيون الصدمة أو الضربة الأولى في الصدام الأول وضرورة المواجهة التكتيكية التي تعتمد على شغل النصارى بالمعركة والإطالة فيها بهدف إحداث إرهاق وتصور خاطئ للمعركة [2].

---

(1) فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 319، .Ηενρι Τερρασσε, Oπ.Χιτ, Π234–235

(2) يوسف أحمد حوالة، بنو عباد في إشبيلية 414هـ-484هـ/1023م-1091م، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، 1980، ص 286.

المرحلة الثانية:



في هذه المرحلة نلاحظ دخول قوات ألفونسو المعركة مما أدى إلى تأزم الوضع التكتيكي داخل المعركة وللحد من هذا التأزم قام يوسف بن تاشفين بدعم وإسناد لوجستيكي للقوات الأندلسية بقيادة داود بن عائشة بقوات تعدادها عشرة آلاف مقاتل جراء الاختناق والضغط اللذان حدثا للقوات الأندلسية بسبب عنف وفجائية الهجوم وكان الهدف من هذا الدعم هو أن يحول دون تحقيق الأهداف الأولى للجيش النصراني وسد الثغرات عند الأندلسيين [1].

حيث حدث تلاحما كبيرا بين الجيشين في هذه المرحلة الذي يصفه ابن أبي زرع" فاقتتلوا قتالا عظيما ... وكانت بينهم مضاربة تفللت فيها السيوف وتكسرت الرماح "[2].

ونظرا للعدد الهائل للقوات النصرانية حال دون تحقيق أهداف داود بن عائشة بسبب قوة التسليح والتوزيع للجيش النصراني وسده للثغرات، وكذا حالة الارتباك في المعسكر الأندلسي، كل هذا حتم على يوسف بن تاشفين بإرسال دعم وإسناد ثان بقيادة سير بن أبي بكر يظم قبائل المغرب وزناتة والمصامدة وسائر قبائل البربر وهدفه تقديم دعم لقوات ابن عائشة وابن عباد، كما كان يوسف يهدف كذلك من هذا الدعم الثاني إلى

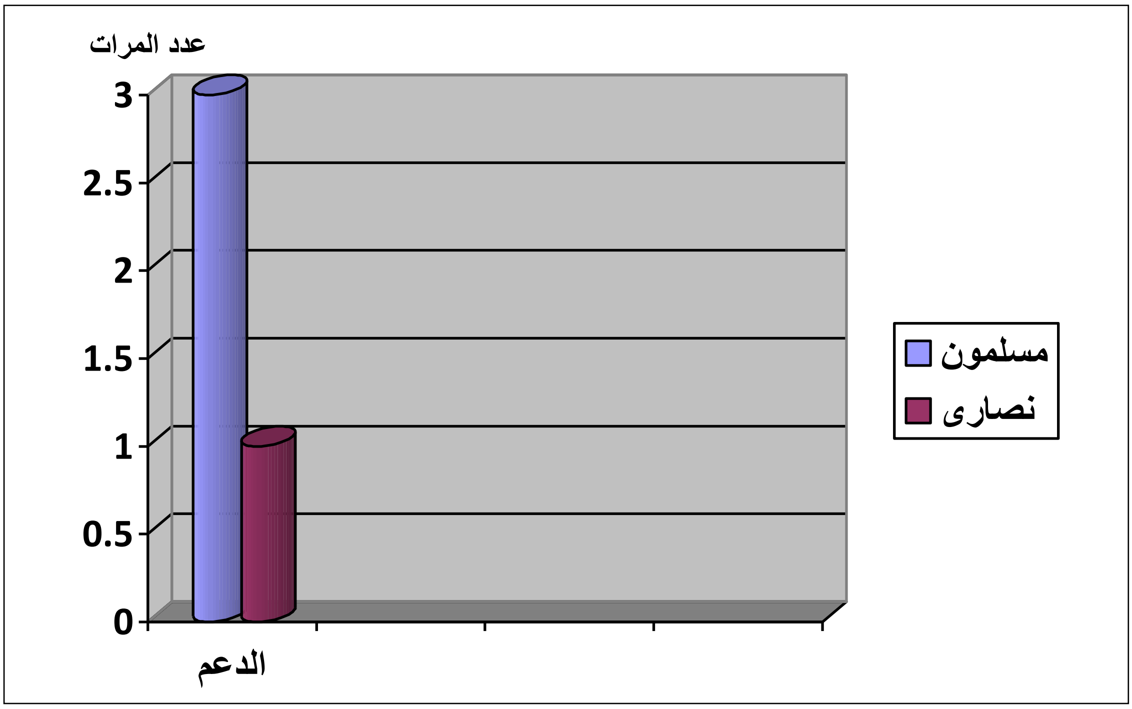
---

(1) الحميري، المصدر السابق، ص 147، فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 319، Ηενρι Τερρασσε, Oπ.Χιτ, Π 235.

(2) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 147.

إطالة المعركة وجعل النصارى ينشغلون بها وتأخذ جل وقتهم وكذا إرهاقهم وإنهاك قواهم، ونجحت في الوصول إلى قلب جيش العدو(3).

في هذه المرحلة طبق يوسف بن تاشفين إستراتيجية ذكية تدل على دقة تخطيطه وهي استعمال أسلوب الاقتصاد في القوة والجهد، وهو حشد أعظم قوة تجاه الغرض الأساسي مع تخصيص القوات الأقل للعمليات الثانوية ويقوم على عدم تبديد القوى المقاتلة في مهام ثانوية والحفاظ على القوى الضاربة وحشد كل الإمكانيات وزجها في مسرح العمليات وفق الأهداف المسطرة، ويمكن توضيح ذلك بالمدرج التكراري الآتي:

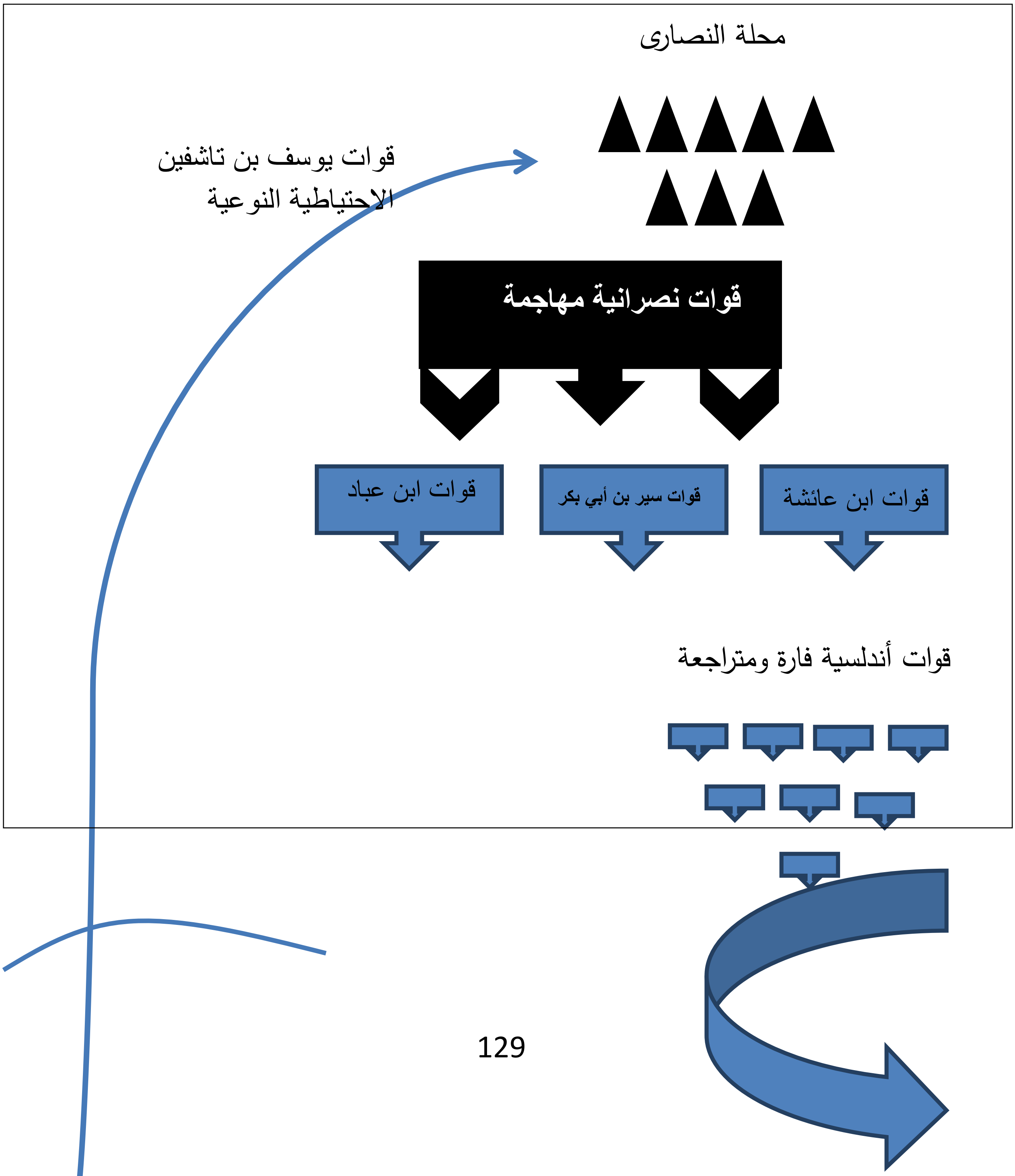


مدرج تكراري يوضح عدد مرات الدعم والإسناد خلال المعركة من كلا الجانبين

(3) المصدر نفسه، ص 148، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 44، فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 319.

من خلال الرسم البياني نلاحظ أن يوسف دعم القوات الأندلسية ثلاث مرات تمثلت في قوات داود بن عائشة ثم قوات سير بن أبي بكر ثم دعمه هو شخصيا فيما بعد أي أنه وزع قواته توزيعا علميا دقيقا لما تتطلبه ظروف المعركة عكس ألفونسو الذي وظف 80% من قواته دفعة واحدة لأنه بنى نظريته على أسس خاطئة، فكان يظن أن الجيش الإسلامي يضم الأندلسيين وقوات ابن عائشة فقط، وهو خطأ تكتيكي يقابله نجاح تكتيكي عند يوسف الذي احتفظ بقوات احتياطية وظفها في الوقت المناسب.

المرحلة الثالثة:



الربوة مكان تخفي قوات يوسف بن تاشفين

نحو بطليوس

نلاحظ أن الاشتباك العنيف في المرحلة الثانية والمفاجئ بسبب قوة الدروع[1] أدى إلى تزحزح وتراجع قوة المعتمد وعدم استرجاع الأنفاس بسبب الصدمة المفاجئة كما أدت إلى تشتت الفرق الأندلسية التي فرت نحو بطليوس، والتي هالتها القمصان الحديدية فروعت ترويعا، ولكن حالة الخوف هذه شيء طبيعي يطمح صاحبه للبقاء، أما الفرار الجزئي للأندلسيين من المعركة فيفسر بسبب عدم الثقة وتباطؤ دخول قوات يوسف للمعركة أدخل الشك في نفوسهم، يضاف إلى ذلك أن الخيال الأندلسي لعب دورا كبيرا في توليد الخوف وتطوره، حيث يقول جان بيريه: " ليست الشجاعة العسكرية كما يفكر البعض تابعة لغريزة قتالية وهي تقدم فكري بقدر ما هي تقدم أخلاقي، إنها فضيلة اجتماعية في روحها " [2].

كما واصل ألفونسو السادس ضغطه حتى صار على مقربة من خيام المرابطين بسبب نوعية الفرق العسكرية المنتمية لجيشه التي تمتاز بالمهارة والتدريب، وفي لحظة انشغال ألفونسو بالمطاردة وتيقنه بالنصر عندما لاحظ تراجع وضعف المقاومة الأندلسية، حيث تمت الملاحقة حتى ابتعدوا عن معسكر خيامهم بمسافة بعيدة، في هذه اللحظة

---

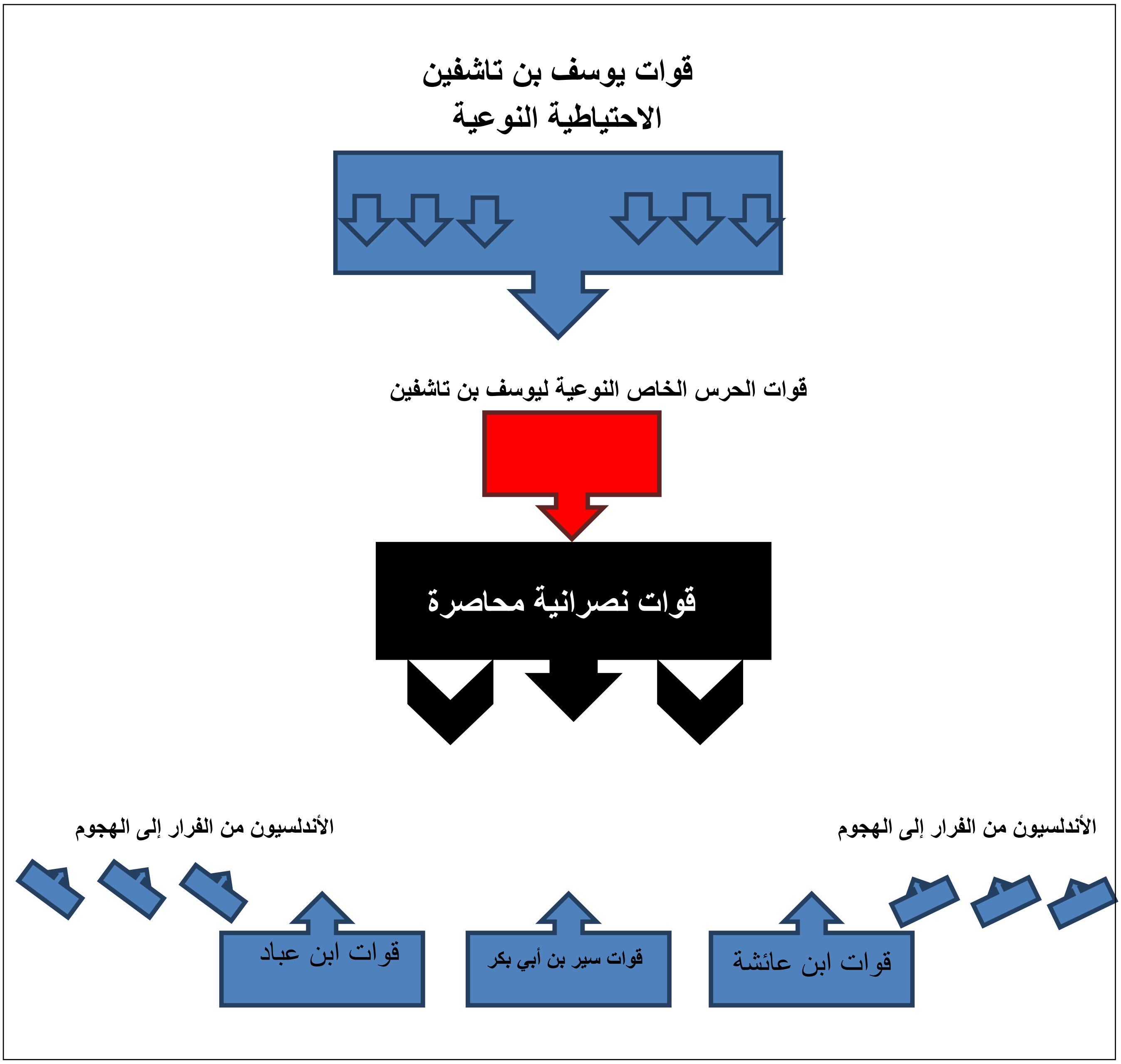
(1) أطلق مصطلح الدروع عموما على القميص الذي يكسو جسم المقاتل لحمايته من أية ضربة موجهة من العدو، وقد صنعت هذه الدروع من زرد متداخل الحلقات أو من الصفائح المعدنية أو من الجلد السميك الذي يلبس تحته لباس آخر محشو بالقطن أو الطوف لمزيد من الوقاية، والدروع أنواع عديدة منها السابغة التي تغطي الجسم كاملا، والبتراء أي الكاملة دون أكمام وتصل إلى الركبة، والذائلة أي طويلة الذيل، والزعفة أي اللينة الواسعة والمضاعفة أي المصنوعة من الزرد المتداخل، والنثرة أي سلة واسعة النثالة فضفاضة واسعة والمسرودة أي مصنوعة من حلقات حديدية، واللامة أي التامة بتوابعها، أنظر: محمد عبد الله سالم العمايرة، المعجم العسكري المملوكي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2011، ص 123.

(2) جان بيريه، الذكاء والقيم المعنوية في الحرب، ترجمة أكرم ديري، الهيثم الأيوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1986، ص 123.

خرجت قوات يوسف ين تاشفين الاحتياطية النوعية المتخفية في الربوة فسارعت بهجوم نحو خيام المعسكر النصراني، فاستولى عليها وأضرم فيها النيران وهذا الأسلوب في التكتيك العسكري نسميه أسلوب المفاجئة أو المباغتة، وهو المبادرة بالعمل في الاتجاه الصحيح بطريقة تخالف توقع وتقدير العدو، وتعتبر من أهم مبادئ الحرب، ويؤدي إحرازها غالبا إلى انهيار العدو معنويا فضلا عن ارتباكه وعدم قدرته على اتخاذ إجراءات مضادة فعالة، بل إنه غالبا ما يتخذ قرارات سريعة لا تتفق والموقف الحادث فعلا، وهذا يؤدي إلى شل عزيمته عن المقاومة، ويعتبر الكتمان وسرعة الحركة من أهم العناصر المؤدية إلى إنجاح عنصر المباغتة [1].

(1) عبد الرحمان عميرة، الاستراتيجية الحربية في إدارة المعارك في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006، ص 252، 253، بلهول نسيم، المرجع السابق، ص 16، جمال محمد الهوبي وعبد الهادي سعيد الآغا، المرجع السابق، 272.

المرحلة الرابعة:



نلاحظ أن قوات ألفونسو السادس صارت بين كفي كماشة، وتم تطبيق عليها ما يسمى بأسلوب الالتفاف أو التطويق، حيث أصبحت بين قوات يوسف والقوات الأندلسية الفارة والمتراجعة نحو ميدان القتال، فبدأ التلاحم الحقيقي بالضرب والطعن، وفي هذه

الحالة طبق يوسف تكتيكا نوعيا وهو إدخال فرقة من الحرس الخاص إلى ميدان المعركة يقدر بأربعة آلاف من العبيد السود، وتعتبر هذه الفرقة من أهم الفرق التي اعتمد عليها المرابطون وهو ما يعبّر عنه بالجهاز الأمني وخاصة الأمن العسكري الذي يشمل الأمن الوقائي والعملياتي والشخصي، وهو عبارة عن مجموعة من الإجراءات والتدابير التي تضع القيادة والقوات في مأمن من مباغتة العدو لها [1].

كانت هذه القوة من الحرس الخاص تتألف من أشجع الجند من مختلف الولايات ويشترط في قبولهم أن يكونوا ذوي بنية جسدية قوية والشجاعة الفائقة، كان يوسف بن تاشفين قد جمع بواسطة تجار الرقيق في إقليم غانا عددا كبيرا من العبيد واختار منهم أمهرهم وزودهم بالسلاح والخيل ودربهم على جميع فنون القتال وأنشأ منهم حرسه الخاص [2].

ويأتي ترتيبها بعد الفرسان أو في المؤخرة كقوة احتياطية وتحت إمرة يوسف بن تاشفين، وهي فرقة تتدخل إذا لوحظ ضعف أو تقهقر أو شبه هزيمة أكيدة للقوات الأمامية، حيث يعتبر دخولها بقوة وعنف على العدو أن تقرر مصير معركة الزلاقة [3]

(1) نهاد يوسف الثلاثيني، الأمن العسكري في السنة النبوية، دراسة موضوعية تحليلية، بحث تكميلي لمتطلبات الماجستير في الحديث الشريف وعلومه، الجامعة الإسلامية غزة، 2007، ص 09، 10.

(2) يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 479، 480، حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 298، محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، ص 107.

(3) غنجق رابح، السياسة الداخلية لدولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين 454-500هـ/1062-1106م، دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الإسلامي، جامعة قسنطينة، 1980-1981، ص 165.

وهذه القوة يحتفظ بها في جميع الحالات الطارئة التي تقع فجأة، ويسمى هذا النوع من الاحتياط الذي اتبعه يوسف بالاحتياط الاستراتيجي [4].

واستطاعت هذه القوة أن تصل إلى قلب جيش العدو ويقومون بطعن ألفونسو السادس في فخذه مما أدى إلى حدوث فوضى وشلل في المقاومة النصرانية التي تم القضاء عليها بنسبة كبيرة جدا، ويظهر ذلك من خلال بقايا الفارين مع ألفونسو السادس التي تقدرها المصادر بمائة فارس فقط [1].

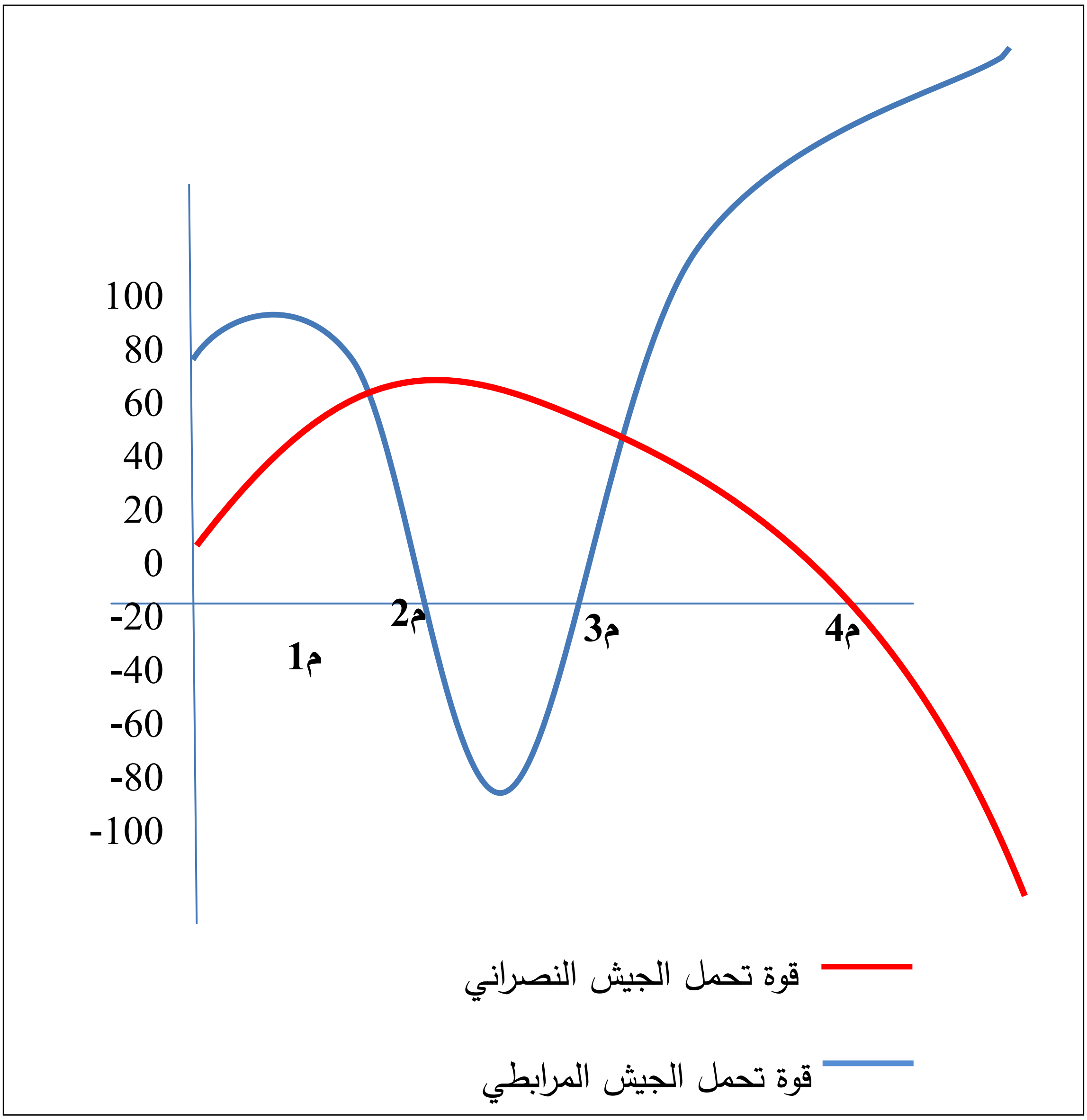
إن هذا الانتصار الإسلامي على النصرانية لم يأتِ عفويا وإنما جاء عن طريق مجموعة من الأساليب المحكمة التي طبقت في المعركة وتم السهر على تنفيذها، ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

1-قوة تحمل الجيش في المعركة ويمكن تبيانه بالمنحنى البياتي التالي:

---

[4]محمد صفا، المرجع السابق، ص 23.

(1) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 148، شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 50، 51، 54، فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 320، 321.



إذن من خلال مسار المعركة الذي قدمته المصادر يمكن تقسيم المعركة إلى أربع مراحل، وإذا افترضنا أن كل مرحلة تساوي 25 % من درجة التحمل، نجد أن القوات

الأندلسية تراجعت وانسحبت في المرحلة الثانية بسبب الكثافة العددية للجيش النصراني في الصدام الأول، والذي أدى إلى الفرار نحو مدينة بطليوس، ثم ارتفاع هذا التحمل وتحوله من السلب إلى الإيجاب في المرحلة الثالثة بسبب دخول التعزيزات العسكرية ليوسف بن تاشفين التي أرسلها إلى المعركة ادت إلى ارتفاع الجانب النفسي وإعطاء منحى جديد للتحمل؛ أي انتقال قوة التحمل في المعركة بالنسبة للجيش المرابطي من +25% إلى −90% إلى +100%.

أما الجيش النصراني فإنه تحمل بنسبة 75% حتى المرحلة الثالثة أين بدأ الخوف والتراجع بعد دخول قوات يوسف بن تاشفين النوعية للمعركة، التي وجدت جيشا نصرانيا منهك القوى، أثقلته الدروع أمام فرق مرابطية نوعية وأكثر راحة حيث اختار ألفونسو السادس الفرار بصفة نهائية؛ أي انتقال قوة التحمل من +75% إلى −100%.

2− إستراتيجية اختيار مكان المعركة: لم يكن اختيار المكان بمحض الصدفة بل كان مبنيا على حسابات دقيقة إسلامية ونصرانية على حد سواء، فكان المكان يتبع جغرافيا مملكة بطليوس وغير بعيد عنها 12 كلم، ثم أن مدينة بطليوس لم تكن بعيدة عن الجزيرة الخضراء التي تعتبر قاعدة إمداد حقيقية، فالزلاقة تتوفر على سهولة وصول الإمدادات الغذائية من بطليوس وإمكانية اللجوء إليها للاعتصام بها عند الضرورة لتكون مكانا يتربصون فيه لألفونسو السادس [1]، أي محاولة استدراج العدو وإخراجه من

(1) يوسف حوالة، المرجع السابق، ص 282، عبد القادر محمد جاد الرب، المرابطون ومعركة الزلاقة، مجلة بحوث، مركز الدراسات الإفريقية، الخرطوم، العدد 25، 26، 2001، ص 23.

حصونه ودفعه للتنقل إلى مكان المعركة المختار مما يؤدي إلى الإرهاق بسبب الفرسان والمدرعون الثقال، ثم أن اختيار الزلاقة خوفا من التوغل في أرض معروفة لدى العدو[(2)].

ويؤكد صاحب كتاب التبيان أهمية هذا الاختيار بقوله: " ونحن إزاء المدينة متربصون (بطليوس) إن كانت لها فيها ونعمت، وإن لم تكن كانت وراءنا جرزا ومعقلا نأوي إليه، وأمير المسلمين يدبر هذا الأمر بحسن رأيه عسى أن تقع الملاقاة بتلك الناحية دون أن يخرج إلى التوغل في بلادهم "[(1)].

3- إستراتيجية الأصل القبلي المشترك الواحد: نلاحظ أن الجيوش الإسلامية في الزلاقة على الرغم من وحدة عقيدتها وهدفها إلا أنها متباينة من حيث التركيبة النفسية والقيم والأساس الاجتماعي والتنوع في أساليب القتال، هذه العوامل تجعل الجمع بهذه الجيوش أمر محفوف بالمخاطر والمغامرة من الناحية الأمنية، كما أن مراقبتها وتوجيهها أثناء المعركة أمر بالغ التعقيد من الناحية العملية، ولتفادي كل هذا اختار يوسف الفصل بين الجيشين كل وقائده، لأن تقسيم المقاتلة بحسب أعراقهم سببه هو أن طرائق القتال تختلف من عرق إلى آخر، لذلك لم يرد القائد أن تفشل خططه فعل كل عرق لوحده[(2)]، لأن هذا الأسلوب يخلق بين القبائل تنافسا فريدا في الحماسة والقتال والاندفاع فيه، لأن الزحف بالصفوف يتطلب هذه الحماسة لأنها تقوم على حمية المقاتل واندفاعه [(3)].

4- سرية ودقة الخطة المطبقة في الحرب: هي تصميم وفق الإمكانيات المتوفرة أو التي يمكن توفيرها فعلا، ووجب في وضعها أن تأخذ ردود فعل العدو من

---

(2) عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين 510-546هـ/116-1156م، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988، ص 138، 139.

(1) ابن بلكين الأمير عبد الله، المصدر السابق، ص 106.

(2) عبد القادر محمد جاد الرب، المرجع السابق، ص23.

(3) ياسين سويد، المرجع السابق، ص 274، 275.

خلال تقدير احتمالات فعله وردود فعله، كما أن تماسك الخطة أمر ضروري لأنه يجعلها قادرة على مواجهة الانتكاسات الجزئية، ويضمن لها سرعة التنفيذ والسعي لحرمان خطة العدو منها، لأن كل طرف يريد إفشال خطة الآخر ولهذا لا بد من تأمين الأساليب التي تضمن حرية الحركة لتنفيذ الخطة [1]، ثم أنه من الضروري لمنع العدو من تغيير اتجاهه القيام بحركة مشاغلة أو أكثر قبل القيام بحركة التدمير الرئيسية والهدف منها تشتيت انتباه العدو وتوزيع إمكانياته إلى أهداف غير مجدية[2].

إن الخطة الجماعية في الإستراتيجية المرابطية تنبثق من روح الجماعة، لذلك حرص النظام الإسلامي على ذلك بسبب الرغبة في التقليل من الرغبة الفردية التي تكون نتيجتها الرفقة والتنازع والشقاق، حيث رسمت خطة معركة الزلاقة بالتنسيق والتشاور بين الأندلسيين والمغاربة في مجلس عسكري دقيق جدا.

فقد طرح في المجلس العسكري قبل معركة الزلاقة 09 رجب 479هـ/20 أكتوبر 1096م ضرورة التزام السرية والدقة في التخطيط وتوزيع المهام توزيعا هادفا ودقيقا والمباشرة بالقتال والحذر من كمائن ومناورات العدو [3].

5- التعبئة الاقتصادية الجيدة: لقد وفرت القيادة المرابطية في معركة الزلاقة إعدادا اقتصاديا دقيقا أدى إلى تعبئة إستراتيجية غذائية تموينية للجيش، حيث استغلت القيادة البنيات التحتية للأندلس كسند لوجستيكي (المدد)، ويقدم لنا الحميري هذه

---

(1) منير شفيق، المرجع السابق، ص 75، 76.

(2) ج، ل، ليدل هارت، الإستراتيجية وتاريخها في العالم، ترجمة الهيثم الأيوبي، دار الطليعة، بيروت، 2000، ص 280.

(3) صالح محمد فياض أبو دياك، فنون القتال عند المرابطين والموحدين والحفصيين، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد مؤرخي العرب، العدد 39، السنة الخامسة عشر، بغداد، 1988، ص 234، عبد الرحمان عميرة، المرجع السابق، ص 180.

الاستزادات والتقوية، ففي الجزيرة الخضراء تم تزويد الجيش بالأقوات والضيافات بل أقاموا سوقا لذلك، كما استزادوا في إشبيلية، حيث أصدر المعتمد أوامرا إلى ولاة البلاد بجلب الأقوات والضيافات التي كانت كبيرة جدا أدهشت يوسف بن تاشفين نفسه ورضاه على الاستعداد الاقتصادي، حتى أن صاحب الحلل يجعل مكوثهم وأكلهم مدة ثلاثة أيام كاملة، ثم استزادوا في بطليوس حيث قدم صاحبها المتوكل عمر بن محمد الأقوات والضيافات والمأكولات الرغدة [1].

6- إستراتيجية حرب المياه: الماء عنصر هام للجيش في المعركة لذلك استغل الطرفان هذه المادة الحيوية للتزود بها قبل المعركة، حيث يقول ابن أبي زرع: " وعسكر الروم نهر بطليوس حاجزا يشرب منه هؤلاء وهؤلاء " [2]، ويؤكد كذلك هذه النظرة المرادي بقوله: " واحتل للشمس أن تكون معك وقت اللقاء... وللماء والمرعى أن يكونا وقت النزول " [3].

فاختيار ابن تاشفين للزلاقة القريبة من بطليوس لتوفره على معطيات هامة وعلى رأسها الماء، خاصة وأن الزلاقة فحص يقع على أحد نهيرات وادي (أنه) إلى الشمال الشرقي من بطليوس، ويسمى جيربرو، فهذا النهر يستمد مياهه من البحر المحيط، ويقع هذا النهر من فحص فج العروس ويفيض بين ماردة وبطليوس[4].

---

(1) الحميري، المصدر السابق، ص 87، 90، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 52.

(2) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 146.

(3) المرادي، المصدر السابق، ص 63.

(4) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1983، ج1، ص 14، فلنتينا سليمان عفانة، مملكة إشبيلية 414-484هـ /1023-1069م زمن بني عباد وعلاقاتهم الداخلية والخارجية، ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ص 152، جاد الرب، المرجع السابق، ص 25.

7- استعمال الإبل كسلاح نفسي واستراتيجي: لقد استخدم يوسف بن تاشفين في معركة الزلاقة أسلوبا فريدا من نوعه وهو إدخال عنصر الجمال (1) في المعركة ذلك أن جمال المرابطين وأصوات طبولهم الهائلة قد أحدثت اضطرابا في صفوف خيالة العدو التي صارت تجمح براكبيها في المعركة (2)، فأثارت الخوف والفزع والفوضى، حيث نجد أن المرابطين في الزلاقة أقاموا صفا من الإبل كدروع لوقف القوات المهاجمة، فكانت خيل العدو تفر فزعا منها، وهذا أدى إلى التشتيت الذهني وعدم التركيز بالنسبة للفارس وانعدام توازنه على الفرس، كما كانت تستخدم أيضا لنقل الأحمال الثقيلة وهناك جندا تخصصوا في التدريب على القتال بواسطة الجمال دون الخيول، كما عبروا كذلك الفيلة فكان تكتيكا فريدا من نوعه، يقول ابن خلكان: " فعبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء ولم يكن أهل الجزيرة رأوا قط جملا ولا كانت خيلهم قد صورها ولا سمعت أصواتها " (3).

8- إستراتيجية نظام الصف في القتال: لقد اتبع يوسف ابن تاشفين في هذه المعركة نظام الصفوف أو ما يعبر عنه بالزحف وهو ترتيب المقاتلين بصفوف مستوية متعاقبة، حيث كان رجال الصف الأول هم المسلحون بالرماح الطويلة ويحثون على

---

(1) يجمع بعض الباحثين أن الجمال عرفت بالأندلس إبان المرابطين الذين أدخلوها كهدف استراتيجي في معركة الزلاقة، ولكن هناك دراسات تثبت وجود هذا النوع في الأندلس قبل المرابطين، أمثال ليفي بروفنسال، ذلك ان المنصور ابن أبي عامر ادخلها للأندلس أثناء حملاته العسكرية ضد الإفرنج، وفي حالة السلم كان يحتفظ بها في سهول مرسة، كما يؤكد الباحث محمد الحناوي أن هذه الثروة موجودة قبل ابن أبي عامر ويعتمد على إشارات قدمها ابن حيان في المقتبس أثناء أحداث 363 هـ/973م أي عهد الحكم المستنصر، وعددها مائة وثلاثون جملا بعث بها بنو خزر من العدوة، أنظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج 7، ص 116، محمد الحناوي، المرجع السابق، ص 137.

Λεϖι προϖεν| αλ, Ληιστοιρε δε λэεπαγνε, τομ3, οπ.χιτ, παγε 286

(2) صالح زهر الدين، موسوعة معارك العرب، دار الندوة الجديدة، ط1، بيروت، 2000، ص 438.

(3) ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص 116، ابن الخطيب لسان الدين، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1898، ص 51، 52، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 280،

ركوبهم ويحمون انفسهم بالتروس من نبال الأعداء، ويقومون بغرس رماحهم الطويلة في الأرض موجهين رؤوسها إلى الأعداء، ويتمركز النبالون خلف المشاة حاملي الرماح ويرمون العدو فوق رؤوسهم، كما نجد أن هناك صفا من الخيول وهم أمام الرجالة، وهذا الأخير يعني ضبط النظام بحيث لا يتقدم أحد أو يتأخر لذلك لم يكن من السهل على المقاتل أن يفكر في التراجع او الهزيمة، ولاحظنا عدم تطبيق هذا النظام في المراحل الأولى من المعركة والذي أدى إلى فرار القوات الأندلسية نحو بطليوس مما أحدث خللا في الصف والخطة [1].

بالنسبة لنوع نظام الصف الذي اتبعه يوسف في معركة الزلاقة هو الصف المستوي، وهو من أهم أنواع الصفوف التي تستعمل في البطحاء والسهول وهو مستحب، لأن الصف الهلالي الخارج الجناحين الداخل الصدر وأوثق للقلب ويشترط في هذا النوع من الصف أن تحمي الجناحين الخيل المقوية وتكون وقاية له، أما الصف المعطوف وهو الداخل الجناحين الخارج الصدر من الصفوف الضعيفة غير الآمنة وسريعة الانهزام على حد تعبير الهرثمي [2].

9- إستراتيجية ودور العيون في المعركة: لقد لعبت العيون أو ما يسمى حديثا بالجهاز المخابراتي المرابطي دورا هاما في تحقيق هذا النصر من خلال جمع المعلومات الكبيرة والصغيرة عن العدو وعن أهمية المنطقة، فحدث نوع من حرب الجواسيس بين الطرفين، وكان المعتمد بن عباد موجها وقائدا حقيقيا لهذا الجهاز أمام جهل المرابطين بالمنطقة، بل أنه قام بمراقبة دقيقة بنفسه شخصيا.

(1) الطرطوشي، المصدر السابق، ص 678، 684، فاروق عمر فوزي، التعبئة وأساليب القتال، د.ط، بغداد، 1988، ج4، ص 205، 206.

(2) الهرثمي، المصدر السابق، ص 36، 36.

فقد أكثروا العيون وبثوا الطلائع يترصدون تحركات العدو وهم على خيل سريعة، ومن الأدلة التي تثبت هذا النشاط كشف خدعة ألفونسو السادس في اختيار يوم المعركة حيث يقول الحميري: " ثم جاءت الجواسيس من داخل محلات ألفونسو السادس يقولون استرقنا السمع الساعة فسمعنا ابن فرذلاند يقول لأصحابه ابن عباد مسعر هذه الحروب وهؤلاء الصحراويين... غير عارفين بهذه البلاد وإنما قادهم ابن عباد فاقصدوه واهجموا عليه، وإن انكشف لكم هان عليكم هؤلاء الصحراويين بعده " [1].

10- إستراتيجية وتكتيك استعمال السلاح في المعركة: لقد لعب السلاح دورا مهما في تحديد مسار المعركة، فكانت القيادة المرابطية موفقة إلى حد بعيد في توزيع تكتيكي للسلاح في المعركة ونجاعته، حيث استعملوا سيوف الهند، مزاريق الزان درق اللمط والأطاس [2]، كما استعمل المرابطون السهام في معاركهم بالأندلس والتي لا تزال لحد الآن في أرض المعركة، وهذه حقيقة يذكرها محمد عبد الله عنان وهو كثرة السهام الباقية في مكان المعركة، بحيث يستطيع أي سائح إذا حفر الأرض بيده أن يحصل على سهم، وقد وقع الأستاذ عنان فعلا على بعض هذه السهام في أرض المعركة، وهذا يعني أن السهام المرابطية لعبت دورا أساسيا في فصول المعركة ونهايتها، في مرحلة ما قبل الصدام والاحتكاك لإضعاف العدو معنويا ونفسيا[1].

ما بعد المعركة:

---

(1) الحميري، المصدر السابق، ص 290، حامد محمد الخليفة، المرجع السابق، ص 146، نصر الله سعدون عباس، دولة المرابطين في المغرب والأندلس في عهد يوسف بن تاشفين، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1985، ص 88.

(2) وهو على هيئة خنجر مقوس يستعمل في القتال المتلاحم، وهو سلاح لم يعرفه الإسبان بدليل أن ألفونسو أصيب به بطعنة فظنه منجلا انظر: مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 43.

(1) حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 280، غنجق رابح، المرجع السابق، ص 161.

1- الإشهار الإعلامي للانتصار: لقد جهزت الدولة المرابطية رسائل وخطابات بينت من خلالها أهمية هذا الانتصار وغرسه في نفوس المسلمين عن طريق عبارات الاعتزاز والفخر، وتعد رسالة يوسف بن تاشفين وثيقة مهمة للمعركة تقدم وجهة نظر المسلمين وتصورهم لها، حيث تتناول وقائعها بالتفصيل من التاريخ والتنظيم والأسلحة المستعملة والأعداد المشاركة، والتي كانت موجهة إلى عماله وعامة الناس بالمغرب [2]، كما بعث المعتمد بن عباد إلى ابنه الرشيد يبشره بانتصار المسلمين على أعدائهم كتبها بعد المعركة مباشرة، ورسالة أخرى إلى عماله وعامة الناس بإشبيلية [3]، وذاع خبر هذا الانتصار في جميع البلاد وقرأ في المساجد وأقيمت صلاة الشكر [4].

2- الأخطاء التكتيكية في المعركة: ارتكب يوسف خطأ تكتيكيا حين أحجم عن مطاردة النصارى المنهزمين، ولو فعل ذلك لكان سحقا للمملكة النصرانية، فقد أتاح هذا الإحجام لألفونسو السادس أن ينهض ويعيد تنظيم صفوفه، ويرجع المؤرخين هذا الإحجام إلى متغيرات طارئة حتمت عليه عدم المجازفة، كتخاذل ملوك الطوائف وانتشار الأنانية، ونبأ وفاة ابنه الأكبر وولي عهده واضطراب الوضع في المغرب الأقصى فاضطر إلى العودة عاجلا[1].

---

(2) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 150.

(3) مؤلف مجهول، الحلل، المصدر السابق، ص 37، 64، حسن جلاب، التجليات الأدبية لمعركة الزلاقة – ندوة يوسف بن تاشفين–، منشورات مؤسسة البشير للتعليم الحر، ط1، عدد1، أفريل 2002، مراكش، مؤلف مجهول، الحلل، المصدر السابق، ص 37، 64.

(4) عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، أكاديمية المملكة المغربية، المجلد الخامس، 1987، ص 73.

(1) الحميري، المصدر السابق، ص 93، فارس بوز، الصراع على إشبيلية بين ألفونسو السادس ويوسف بن تاشفين 404-484/1013-1091، مجلة دراسات تاريخية، العددان 69، 70، تموز–كانون، 1999، ص 45.

كما ارتكب ألفونسو السادس خطأ تكتيكيا حين قام بمطاردة المسلمين دون أن يؤمن ظهره بفرقة عسكرية، الأمر الذي اتاح ليوسف أن يفاجئ حراسه ومعسكره فيقتل معظمهم [2].

بالنسبة لأعداد الجيش كانت مرتفعة حسب إحصائيات المصادر وهذا أمر معقول نظرا لنجاح التعبئة والحشد للطرفين، حيث نلاحظ أن الطرف النصراني أقنع كل من أراغون ونبيلونة وجويانا وبروفانس وأرغونية، أما الطرف الإسلامي فأقنع كل من غرناطة ومالقة وألميرية والثغر الأعلى وطليطلة وإشبيلية فبلغ عدد المسلمين حسب الروايات ما بين 130 ألف، 48 ألف، أما النصارى من 80 ألف إلى 180 ألف [3].

إن موضوع أعداد الجيش يعتبر من بين القضايا الشائكة التي يصعب الحسم فيها لأنها لها علاقة مباشرة بمصداقية المصادر وموضوعيتها، ولا شك أن المعلومات المتوفرة تذهب وتتعمد التضخيم والمغالاة، سواء في إحصاء جند الأعداء أو قتلاه، وفي المقابل تقلل من عدد الجند والقتلى في الجانب الآخر وهذا مما يصعب التأكد من المعلومات، لذلك يختلط الواقع التاريخي بالأساطير كقول صاحب الحلل في عدد القتلى " قتل ثلاثمائة ألف ... وقطع رؤوس النصارى وكدس منها أكداس كالصوامع، وبلغ عدد الرؤوس أربعة وعشرون ألف رأس " [1].

ولكن إذا نظرنا إلى الولايات المتسعة في مملكة ألفونسو السادس يحتمل خروجه بمقدار كبير يفوق مائة ألف لقتال عدو يشعر بخطره بعد التحالف الإفريقي والأندلسي

---

(2) محمد سهيل طقوس، تاريخ المسلمين في الأندلس 91-897هـ/710-1492، دار النفائس، ط1، بيروت، 2005، ص 492.

(3) مذكرات الأمير عبد الله، المصدر السابق، ص 104، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 38، محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 75، ، يسوف أشباخ، المرجع السابق، ص 84،.

(1) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 62، محمد الحناوي، المرجع السابق، ص 162،.

عليه، كما لا يعقل أن يوسف بن تاشفين يعبر الأندلس بأقل من أربعين ألف إلى خمسين ألف، وهو مقدم على الحرب في بلاد غريبة (2).

المبحث الثاني: معركة الأرك (591 هـ/1195) الإستراتيجية والتكتيك:

تعتبر معركة الأرك من أهم المعالم التاريخية الكبرى في تاريخ دولة الموحدين لأنها بينت قمة النضج العسكري عند القيادة الموحدية، لذلك اعتبرها المؤرخون والباحثون انتصارا ثان بعد الزلاقة للإسلام في الأندلس، وحصن الأرك يقع غربي مدينة ثيودادريال الحديثة وشمال غرب مدينة بوبليتي الصغيرة، وتقود إليه طرق جبلية معبدة تشقها في البداية سهلا بسيطا أخضرا يؤدي إلى مجموعة من الهضاب، والتي تقوم علي انقاض الحصن القديم وهي كنيسة القديسة مريم صاحبة الأرك وهي عبارة عن بناء قديم وسط فناء شاسع تحيط به أسوار قديمة، وتقع ربوة الأرك على أربع كيلومترات من هذه الهضاب وعلى بعد عشرين كيلومتر إلى الشمال الغربي من قلعة رباح، والأرك مد فاصل بين الأندلس وقشتالة آنذاك، واشتهر هذا الحصن بالمعركة(3).

فبالنسبة لخط سير الجيشين نجد أن الجيش الموحدي بدأ عملياته للحشد والمسير إلى أرض الأرك يوم الخميس 03 شعبان 591هـ/ 13 يوليوز 1195م، فانتقل من الجزيرة إلى إشبيلية ثم إلى قلعة رباح فحصن الأرك على بعد أمتار منه.

---

(2) بطرس البستاني، معارك العرب في الأندلس، دار مارون عبود، بيروت، 1987، ص 27.

(3) أنظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس عصر الموحدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 2002، ج5، ص 203، أمبروسيو هوثي ميرند، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكمير، منشورات الزمن، ط1، الدار البيضاء، 2004، ص 360، شوقي أبو خليل، معركة الأرك، ص 54، ليلى أحمد نجار، المرجع السابق، ص 186.

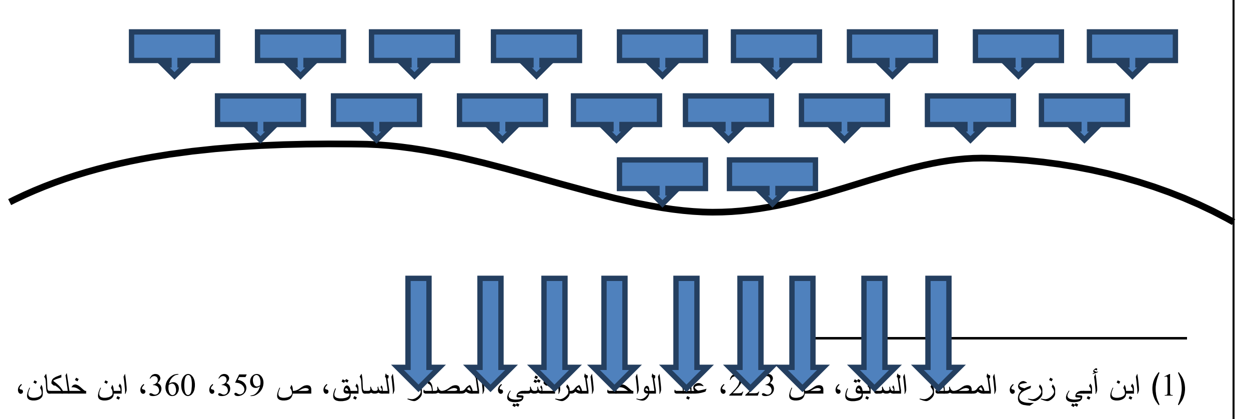
أما القوات النصرانية بقيادة ألفونسو الثامن فقد وصلت قبل القوات الإسلامية بيومين لموضع المعركة بعد استعدادات مكثفة في طليطلة مركز تجميع حشود النصارى وحلفائهم، فانطلق ألفونسو الثامن من طليطلة إلى حصن الأرك يوم 03 شعبان 591هـ/ 13 يوليوز 1195م، فكانت مدة لدراسة المواجهة مع المسلمين، أما العدد فمن خلال عبد الواحد المراكشي وابن أبي زرع وابن خلكان فيقرون بتفوق النصارى عددا [1]

ونظرا لتشابه مسار المعركة في المصادر التي أرخت لها، سوف نأخذ ابن أبي زرع كنموذج لتبيان مسار المعركة ومراحلها.

من خلال قراءتنا لمسار المعركة عند ابن أبي زرع يمكن تقسيمها إلى أربع مراحل:

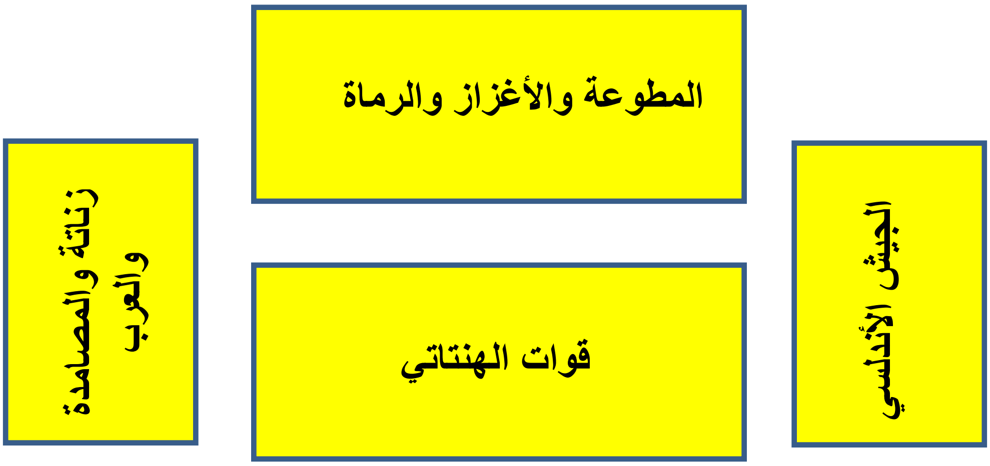
المرحلة الأولى:

ويمكن توضيحها بالشكل التخطيطي الآتي:



(1) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 223، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 359، 360، ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص 08.

قوات نصرانية بدأت بالهجوم المفاجئ



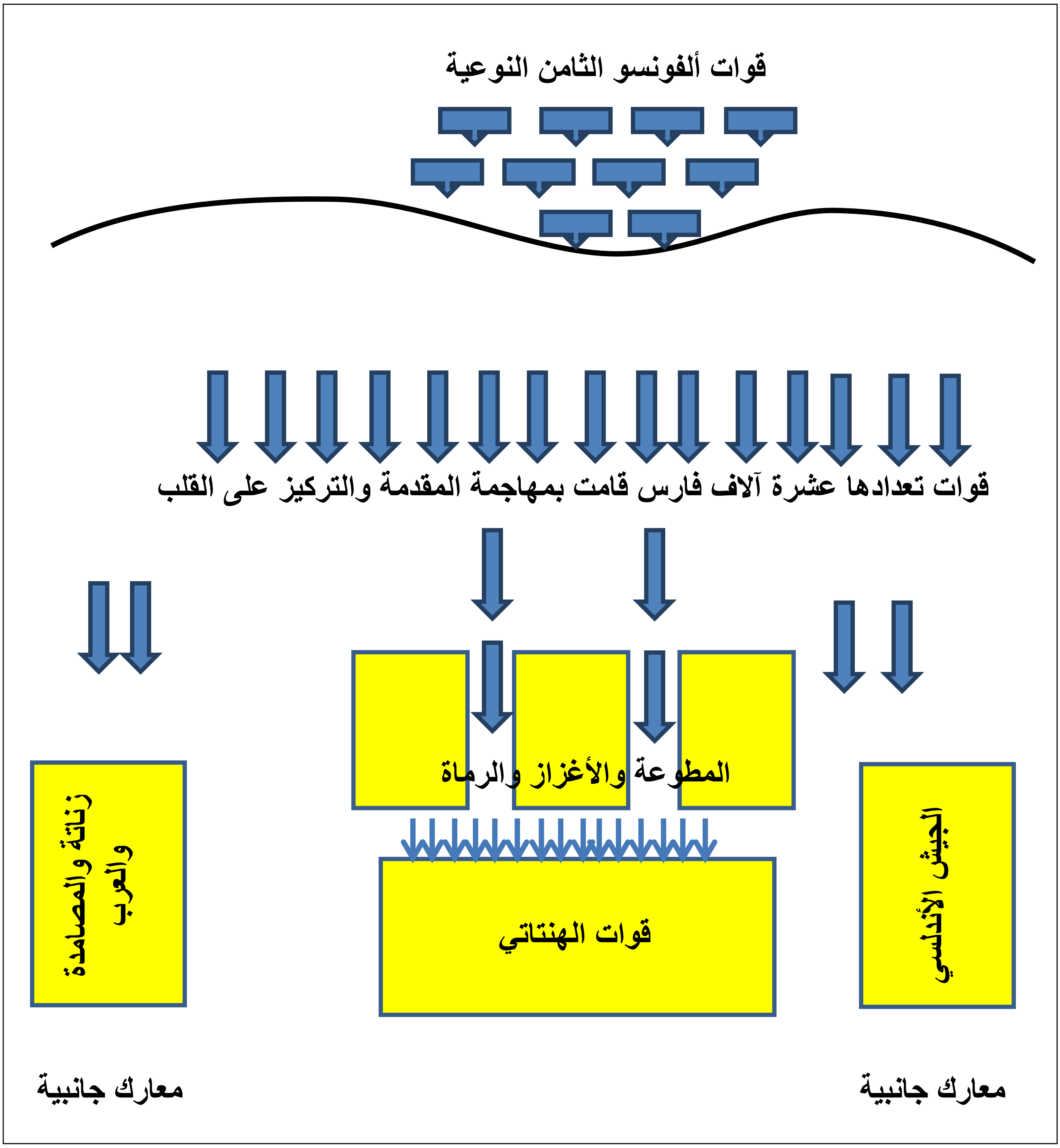
نلاحظ هجوما مفاجئا من طرف النصارى يضم ثمانية آلاف فارس، أي استخدام الفرسان كنوعية تكتيكية للضربة الأولى، حيث تميزوا بلبس الحديد والبيضات والزرد فتصدى المسلمون لهم عن طريق الرماح التي لطمت في صدور الخيل ثم كرروا العملية نفسها مرة ثانية، وربما كانت هذه العملية جسا للنبض والكشف عن عيوب وثغرات في الجيش الموحدي [1].

إن الرمي على صدور أو أرجل الخيول هو تكتيك عرفه المسلمون في مواجهة الأوروبيين، والمقصود منه هو لعقر الخيل أو نفورها لشدة الرمي، فيقع عنها الفرسان

(1) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 227، Ηενρι Τερρασσε, Οπ.Χιτ, Π 331

فيسهل الانقضاض عليهم لكثرة دروعهم، ذلك أن الفارس كان لا يركب فرسه إلا بمساعدة فاصل ولا ينزل إلا بمساعدته كذلك، ولا يستطيع دخول معركة دون مساعدة المشاة ولا الخروج منها دون تغطيتهم.

المرحلة الثانية:



لقد تجمعت القوات النصرانية في الربوة وأعادت تنظيم صفوفها في محاولة ثالثة أكثر عنفا، مستهدفة القلب بقوات عددية كبيرة، لأنها كانت تعتقد أن القلب يتمركز فيه الخليفة أبا يعقوب المنصور، لأن القضاء على القلب هو نهاية المعركة، لذلك انصبت جل قوة النصارى في تحطيم القلب بصدام عنيف أدى إلى حدوث ثغرات كبيرة في المقدمة والميسرة أدى إلى دخول النصارى بقوة إلى القلب، الذي لم يكن مهيأ لمقاومة حجم هذه القوة، مما أدى إلى تلاحم كبير كانت الغلبة فيه للطرف النصراني باعتبار أن قوة القلب ليست قوة نوعية تكتيكية بل ثانوية تمويهية، فانكسرت بانكسار المقدمة النوعية للجيش الإسلامي أمام قوة نوعية نصرانية تقدر بعشرة آلاف فارس [1] فحدث نوع من الاختناق والتشتت في قيادة القلب [2].

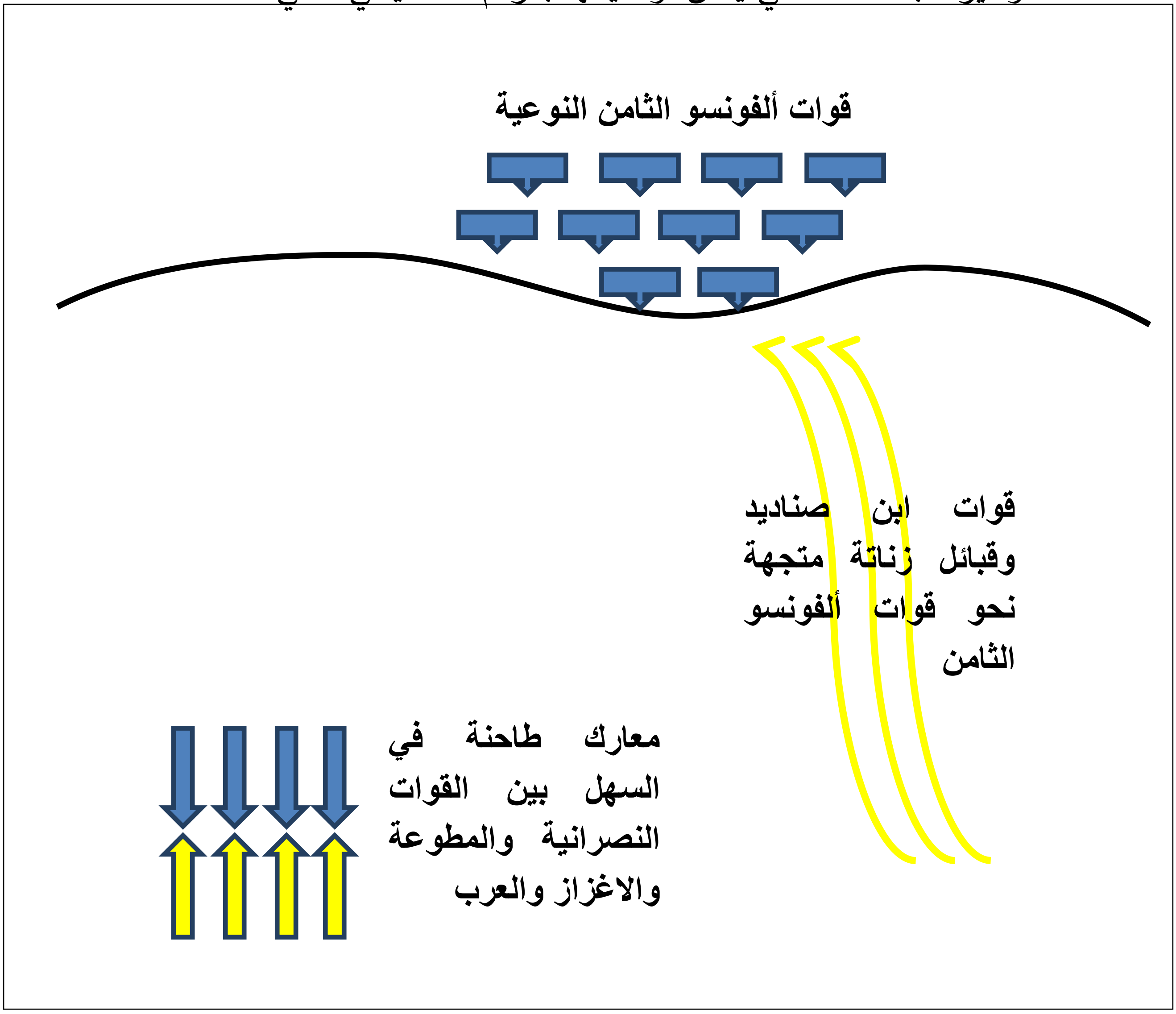
---

(1) يصف ابن عذارى الهجوم النصراني الكاسح بقوله: " فهبطوا من مركزهم كالليل الدامس والبحر الزاخر أسرابا تتلو أسرابا وامواجا تعقب أمواجا إلا الصهيل والضجيج والعديد على وقع العجيج "، أنظر: ابن عذارى المراكشي، قسم الموحدين، ص 219.

(2) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 227.

المرحة الثالثة:

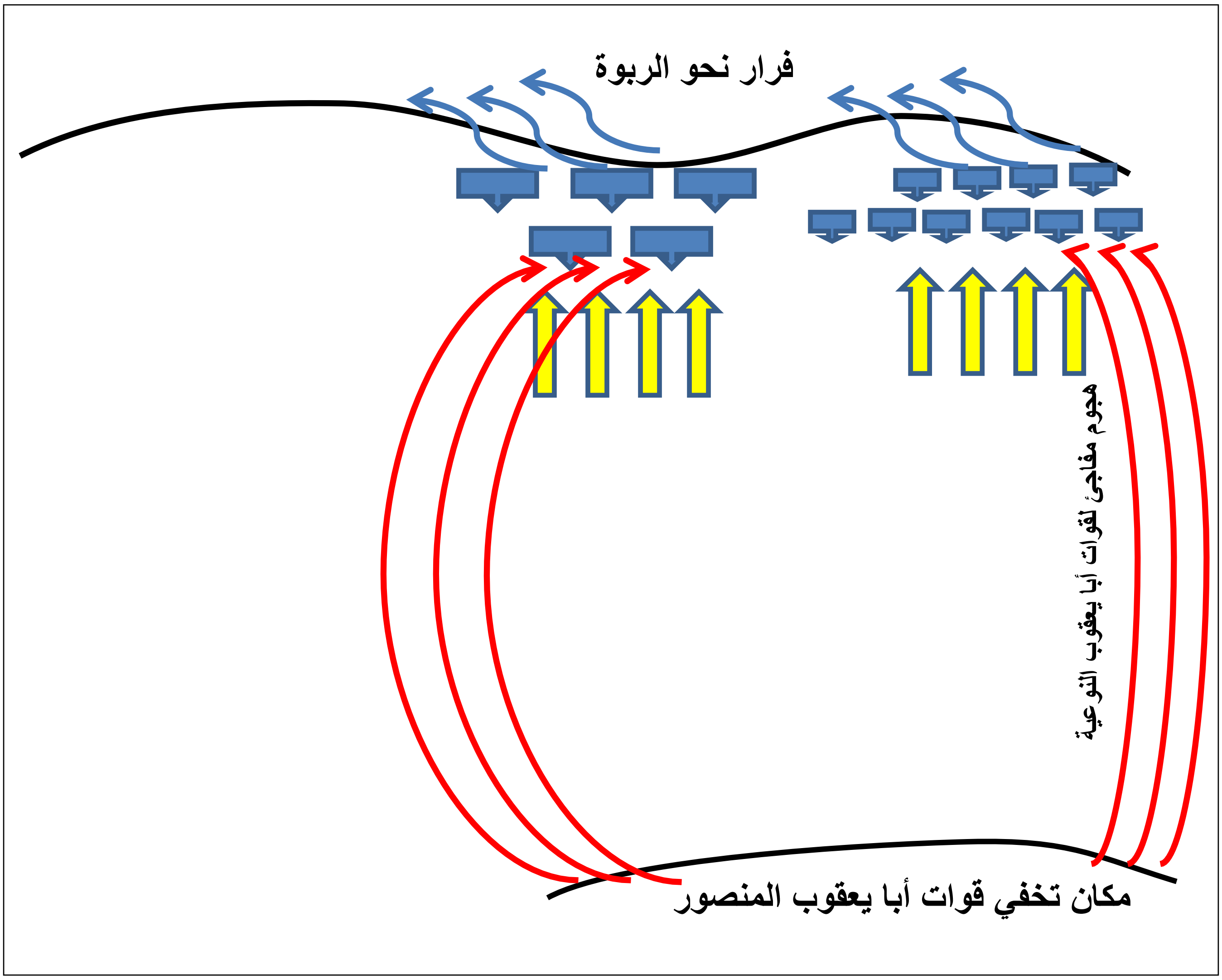
وتميزت بالأحداث التي يمكن توضيحها بالرسم التخطيطي الآتي:



مما يمكن تقريره أن تقسيما قد حدث لأرض المعركة، فنلاحظ تلاحما وصداما بين القوات الأولى للنصارى مع جيش الهنتاتي والعرب والأغزاز والمطوعة، حيث كان عنيفا نظرا لكثافة الهجوم والصدم النصراني، وفي الوقت نفسه نجد أن قوات ابن صناديد اتجهت نحو الربوة لاستدراج قوات ألفونسو الثامن، فدارت عملية قتالية كبيرة كان المنحى فيها نصرا تصاعديا للمسلمين.

أما في ناحية السهل فقد تراجعت قوة النصارى أمام قوة المطوعة والأغزاز والعرب نحو الربوة، ولكنهم اصطدموا هناك بكمائن بشرية إسلامية حالت دون وصولهم للربوة مع ألفونسو، الأمر الذي حتم عليهم النزول للبطحاء وهناك صاروا لقمة سائغة للقوات الإسلامية، حيث عبّر ابن أبي زرع عن هذا التلاحم بقوله: " فرجعت عليهم العرب والمطوعة وهنتاتة والأغزاز والرماة فطحنوهم طحنا وأفنوهم عن آخرهم " [1].

المرحلة الرابعة:



(1) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 227.

لقد أبدى جيش ألفونسو الثامن استماتة في القتال في هذه المرحلة، لاعتقاده تحقيق النصر، حيث كان يظن أن الجيش الإسلامي الذي أمامه هو الجيش كله، ولكنه كان اعتقادا خاطئا بعد ظهور عنصر المفاجأة من طرف أبا يعقوب المنصور الذي دخل المعركة بقوات أكثر راحة واستعدادا وتركيزا ونوعية، مشاة وفرسانا أحدثت ارتباكا وذعرا في الجيش النصراني، الذي أحاطت به القوات النوعية الموحدية من كل جانب، مما أدى إلى انقسامها وفرارها نحو الربوة قصد التحصن بها، إلا أن المنصور اتبع أسلوب التطويق والالتفاف حول حصن الأرك والدخول عنوة عن طريق حرق الأبواب، وتم الاستسلام ونجاة ألفونسو الثامن بأعجوبة من أحد أبواب حصن الأرك [1].

تحليل المعركة نظريا:

إن نجاح القوات الموحدية في معركة الأرك ضد قوات ألفونسو الثامن جاءت نتيجة لعدة معطيات وفرتها القيادة الموحدية، ويمكن حصرها في النقاط الآتية:

1- نجاح التعبئة المعنوية وهذا بفضل تجنيد العلماء والفقهاء والقادة الذين عملوا من خلال خطبهم على إنعاش النفوس وتنبيه الضمائر وإذكاء العزائم وإثارة الحماسة وشحن الهمم، كما بينوا أهمية الجهاد ومنزلة الشهداء، مثل خطبة أبو علي بن حجام في الجهاد قبل المعركة، وكذلك كلمة المنصور التي قرأها القائد العام للجند الهنتاتي، التي رفعت الجانب الروحي إلى ذروته، حيث جاء فيها: " إن أمير المؤمنين اغفروا له فإن هذا موضع غفران وتغافروا فيما بينكم وطيبوا نفوسكم واخلصوا لله نيتكم ... فبكى الناس

(1) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 228.

وزادت عزائمهم للجهاد " [1]، كما استغل المنصور رسالة الاستهزاء المرسلة من طرف ألفونسو إليه وإلى جيشه، أشاع هذه الرسالة بين الناس والجند، فضجوا غضبا وطالبوا بالإسراع في الجهاد والانتقام، فدوت صيحات الجهاد في جميع أنحاء المملكة من سلا إلى برقة، فأقبل إليه الناس من كل فج عميق ومكان سحيق [2].

ثم أن قضية الأحلام والرؤى المتكررة في الحروب كالزلاقة والأرك هي حسب رأينا مجرد اصطناعات تضاف لتقوية الجانب الروحي والمعنوي للجيش، وربما بالغت الروايات الإسلامية في عرضها، كما فسروا رؤية ألفونسو السادس للفيل، إذن هي نسج خيالي من المصادر وتهويل الأحداث، وكذا حلم ألفونسو الثامن، أن سبب هزيمته في الأرك ما نبأ في منامه أنه عقاب له على السبع سنوات التي قضاها في اللهو والمجون مع إحدى اليهوديات، حيث خوطب في منامه لهذا السبب انهزمت في معركة الأرك وفقدت كل رجالك [3].

2- الاستشارة والتنسيق وتبادل الأفكار في رسم خطة الحرب: إن قرار وضع الخطة لم يكن عملا ارتجاليا من طرف المنصور وابن صناديد بل ساعده مرؤوسوه وهيئة أركانه، إذ يقدمون له معطيات تسمح له بتوضيح أفكاره التي كونها عند التصميم على الواقع، ومدى إمكانات خصمه ونجاعة وسائله حيث فاوض أهل الخبرة في القتال ليستفيد من تجاربهم، وخاصة العنصر الأندلسي، لأنهم أهل دراية ببلادهم وعدوهم، ونظرا

---

(1) ابن عذارى المراكشي، قسم الموحدين، ص 194، شوقي أبو خليل، معركة الأرك، ص 58، هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 263.

(2) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 222، ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص 07، فاضل السباعي، يوم الأرك، مجلة المناهل، العدد 17، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، مارس، الرباط، 1980، ص 195.

(3) هوثي ميراند، المرجع السابق، ص 355.

لاحتكاكهم ومعرفتهم بفنون قتال الإفرنج، ولعب القائد ابن صناديد أبا عبد الله دور المهندس الحقيقي لرسم الخطة ببراعة، وناقش فيها المنصور وأقنعه بها [1].

لذلك فخطة الموحدين كانت ترمي إلى إنزال القوات النصرانية من الربوة إلى الميدان المكشوف المنبسط وإخراج العدو من تحصينه، أما خطة ألفونسو الثامن فنلاحظ أنه اختار مكانا عاليا يستطيع أن يراقب خصمه ويتحكم فيه فإن انهزم فإن جنوده يتراجعون عبر منافذ ومسالك موصلة ببلادهم مثل قلعة رباح المجاورة لهم، ولعل هذا التنظيم المحكم والعقلاني في عمليات الانتشار والتوزيع في أرض المعركة واختيار القادة ذوي الكفاءة والشجاعة والبطش من عوامل النصر في المعركة[2]، لقد تفادى المنصور خططا متضاربة التي تعني دمار الخطة وعدم التنسيق والتشاور بين الكل والجزء وبين عمل مختلف الأجزاء، كل هذا يعني فقدان السيطرة على الوضع، وهو ما تحاشاه المنصور، حيث استمع إلى أراء القادة وخرج برؤية كل جوانب الوضع المعطى في الحرب بصورة موضوعية، حيث خلصت إلى تقييم واحد متماسك وقرارات موحدة [1].

---

(1) يعرض ابن صناديد محتوى خطته على المنصور قائلا: " يا أمير المؤمنين إن الفرنج اهل خدع ومكائد في الحروب فعلينا أن نقابلهم ونقاتلهم بما هي عليه، ورأينا في مقاتلتهم ورأيك الأعلى أن نقدم لهم شيخا من أشياخ الموحدين الموصوفين بالشجاعة والدين والإخلاص وتعقد له رايتك المنصورة على جيوش الأندلس وجميع ما في عسكرك من العرب والبربر والأغزاز والمطوعة فيقاتل بهم عساكر العدو، وتقعد أنت بجند الموحدين والعبيد والحشم بالقرب من موضع القتال في مكان خفي ومستور فإذا ظفرنا بعدونا بفضل الله تعالى وبركاته، ويمن خلافتك، وإن كان غير ذلك تكون أنت بعسكر الموحدين حماية للمنهزمين فتلقى العدو بهم، وقد انكسرت شوكته وذهبت قوته وحدته.. وهذا رأيي رضي الله عنكم، أنظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 224.

(2) لقد قدم الباحث العسكري فتحي زغروت تفسيرا نراه بسيطا وثانويا في عمليات الاستدراج، حيث أغفل عن عنصر التضليل الذي كان طعما جيدا لإخراج العدو من مواقعه العالية والنزول إلى البطحاء، وهذا قد تم عن طريق حكمة وتدبر عسكري جيد، انظر: فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 331، أكرم ديرم، آراء في الحرب، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1972، ص 155، أبو حمو موسى الثاني الزياني، المصدر السابق، ص 212.

(1) أنظر: منير شفيق، المرجع السابق، ص 105.

3- الاعتماد على الكفاءة القتالية النوعية في الجيشين: إن التصادم والتلاحم عند دخول قوات ابن صناديد النوعية يضاف لها القوات الاحتياطية للمنصور الأكثر تدريبا بين كتائب قشتالية ذات كفاءة قتالية (2)، مع كفاءة نوعية إسلامية، فحدث صراعا نوعيا على مستوى عال أفرز عددا كبيرا من القتلى بسبب نضج التكتيك عند الفئتين(3).

4- القبلية في القيادة لتفادي النعرات والصدامات والخلافات وتشجيع وإنشاء اللحمة والمنافسة بين القبائل في المعركة، فتحدث تنافسا في الدفاع والقتال والشهادة (4).

5- استراتيجية حرب المياه: نلاحظ أن الكثير من الأدلة تثبت وجود أنهار في مكان المعركة، من ذلك أن المعركة أقيمت بجانب وادي عميق متدرج بالإضافة إلى أن بعض الآثار بينت وجود سرداب قديم يتخذه الفرسان منفذا إلى النهر لتشرب منه، ويطلق على الوادي الآن Villa diego أما الجيش الموحدي فكان يسيطر على أسفل الوادي، لأنهم تموقعوا في البسيط، ذلك أن مصادر المياه المختلفة تعتبر أداة إستراتيجية في

---

(2) الكفاءة القتالية هي القدرة على تحقيق المهام بنجاح من ناحيتها الفنية والاحترافية، وتكسب هذه الكفاءة من خلال التدريب النوعي في كل الظروف وجعلها أكثر جاهزية، أنظر: تركي بن عبد المحسن الفرم، الكفاءة القتالية والكفاءة العسكرية، مجلة كلية خالد العسكرية، العدد 88 السعودية، 2009.

(3) ومما يدل على التكوين البارع للكفاءة النوعية النصرانية هو نجاحها في الهجمة الثالثة ودخولها للقلب وقتلها للهنتاتي، تضم عشرة آلاف فارس مدججة بالحديد ومن أشجع وامهر الفرسان، وهو ما يسمى عندنا اليوم فرق الكوماندوس والصاعقة، حيث نجحت في مهمتها الأولى نجاحا كبيرا، أنظر: صالح الأشطر، المرجع السابق، ص 64.

(4) حيث عيّن جرمون بن رياح على قبائل العرب، منديل المغراوي على مغراوة، محيو بن أبي حمامة على قبائل مرين، وتجلدين على قبائل هكسورة والمصامدة، ومحمد بن منغفاد على قبائل غمارة، والحاج الصالي أبا خزر على المطوعة، وعباس بن عطية على بني توجين، وكل هذه الفئات تحت قيادة الوزير القائد بحي بن أبي حفص الهنتاتي، أنظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 225، السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج2، ص 168، عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 202، هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 261، ليلى أحمد نجار، المرجع السابق، ص 182.

خريطة القتال، لذلك نجد أن هناك غفلة من طرف الباحثين عن أهمية هذه الظاهرة في الحروب، وهو وسيلة للتحصين والدفاع، فهي مادة حيوية أساسية [1].

6- إستراتيجية اختيار مكان المعركة: بالنسبة للطرف النصراني استخدم قلعة الأرك كدرع حماية من جانب، وتحميه من الجانب الآخر التلال التي لا يمكن الوصول إليها إلا على بعض الطرق الضيقة الوعرة، وهذا ما جعله يحتل موقعا مرتفعا عاليا، وبذلك فقد حقق لقواته ميزة كبرى على أعدائه [2] أما الطرف الإسلامي فكان نزوله في البسيط وفق معطيات مدروسة خاصة عندما لاحظ صعوبة السيطرة على مكان الإنزال النصراني، فكانت القوة الاحتياطية المخفية بقيادة أبا يعقوب المنصور أسلوبا قويا لمواجهة هذا التفوق في المكان واستراتيجيته، فكانت عملية موفقة إلى أبعد الحدود ونتائج المعركة تدل على ذلك، كما انتهجوا سياسة القتال أثناء المسير دون استرجاع الأنفاس وهذا حتى لا يأخذ العد فرصة لتدعيم الجناحين بالمقاتلين[3].

7- يقظة العيون الموحدية: إن خطة المعركة كانت سرية وعجزت عيون العدو على كشفها، والدليل أنها لم تكتشف أمر القوات الاحتياطية للخليفة، لذلك أخذ الموحدون والنصارى قبيل المعركة يبعثون بالسرايا للتجسس على معسكر الطرف الآخر، حيث نجح الموحدون في اكتشاف سرية نصرانية تتجسس على معسكرهم، فقضي عليهم " فكانوا عندهم كأكلة جائع أو شربة ضمآن وتركوهم بتلك في تلك البطحاء ولائم للنسور والعقبان " على حد قول ابن عذارى[1].

---

(1) أنظر: محمد استيتو، الحرب والماء في تاريخ المغرب أية علاقة؟، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق، الدار البيضاء، 1999، ص 180، ليلى أحمد نجار، المرجع السابق، ص 186.

(2) صالح الأشطر، المرجع السابق، ص 51، 57، ليلى أحمد نجار، المرجع السابق، ص 185.

(3) فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 331.

(1) ابن عذارى المراكشي، قسم الموحدين، ص 196.

8- الاستثمار في الخلافات والنزاعات النصرانية: إن عدم التنسيق بين الممالك النصرانية الخمس، التي تميزت بالعداء وبرودة الخطاب بين قشتالة وليون وناغار اللذان شجعا الموحدين ضد قشتالة، حيث استغل المنصور بدوره هذه الخلافات والنزاعات القائمة بين ألفونسو الثامن وهذه الممالك، لذلك قاتل قشتالة دون أن يكون لها حلفاء أي اتبع سياسة عزل الحلفاء عن قشتالة(2).

9- إستراتيجية المفاجأة والمباغتة: يوفر هذا النوع من الأساليب الحربية احتمالات كبيرة للنجاح وتحقيق الهدف، وذلك لمجموعة من العوامل، كعدم استعداد العدو للمواجهة مما يؤدي إلى اضطرابه وعدم تركيزه وانسجامه مع الموقف الجديد وهذا ما فعله الدخول المفاجئ للقوات الاحتياطية لأبي يعقوب المنصور للمعركة، التي أحدثت شللا ذهنيا لقوات ألفونسو الثامن التي لم تكن تعتقد بوجود هذه القوة (عدم التكيف مع المفاجأة)، أضف إلى ذلك أن القوات الاحتياطية الإسلامية اختارت الوقت المناسب للهجوم، مما يجعله أكثر استعدادا وتأهيلا لتحقيق الانتصار، فكانت إستراتيجية دقيقة ساهمت بقسط كبير في انتصار الأرك(3).

10- إستراتيجية المطاردة وعدم استرجاع الأنفاس للعدو: تعتمد المطاردة من الناحية التقنية على طبقة الفرسان، ومنهجيتها هي الطعن، ذلك أن الحرب لها أربعة وعشرون قيراطا منها قيراط في الطعن، وتكون مهمة موكلة لأمهر الفرسان، لأنها طبقة نوعية في التدريب ومخصصة للمطاردة والملاصقة والمخارجة والمضايقة (1) لذلك لم

---

(2) أمين الطيبي، وقعتا حطين والأرك، مجلة البحوث التاريخية، منشورات جامعة الفاتح، العدد1، طرابلس، 1988، ص 69، شوقي أبو خليل، معركة الأرك، ص 63.

(3) صباح عويناتي، المرجع السابق، ص 244.

(1) الأمير بدر الدين محمد بن بكتوت الخزنداري، مخطوط كامل الصناعة في علم الفروسية والشجاعة، م و م م، رقم 32 ق، ضمن مجموع ثلاثة من ورقة 471 إلى ورقة 511، ص 482، 493.

يهمل المنصور هذا الأسلوب الاستراتيجي بل قام بمطاردة فلول الجيش النصراني الهارب وقضى عليه، ثم نلاحظ أن هناك مطاردة بعدية، حيث عاد إلى الهجوم بعد المعركة بفترة واستولى على طليطلة وقاتل أهلها وترك الفرنجة في أسوأ حال ولم يبرز له أحد من المقاتلة، وعاد مرة أخرى وصارع الروم حتى صارت غير قادرة على لقائه فطلبوا الصلح [(2)]، واحتل عدة حصون وقلاع مثل الأرك كاركويل مالقون، ووادي القرنة [(3)].

11- إستراتيجية الخداع والتمويه: الهدف من هذه الإستراتيجية هو تحقيق تصورا خادعا لدى العدو عن القوة والسلاح والموضع والتحرك وإخفاء النوايا والخطط الحقيقية بحيث يؤدي تنفيذها إلى مفاجأة العدو، والتمويه عنصر أساسي في تحقيق المفاجأة التي تعتمد على المحافظة على سرية الخطط وتنفيذ تدابير الإخفاء والتقليد والأعمال التظاهرية، لذلك طبق المنصور هذا الهدف الاستراتيجي، حيث وضع الهنتاتي مكانه في القلب للتمويه والتضليل ونجح في ذلك، لأن القوة النصرانية كثفت هجومها على القلب بشكل كبير لاعتقادها أنه الخليفة[(4)].

أما بالنسبة للأخطاء الإستراتيجية التي حدثت في معركة الأرك بالنسبة للطرفين نجد أن ما قام به الهنتاتي في تعويض أبا يعقوب المنصور في مركز القلب أمرا ليس سهلا، وهو حسب اعتقادنا عملية استشهادية محفوفة بالمخاطر وغير مهيأة نوعيا لمجابهة القوة النصرانية النوعية، ذلك أن الخطة النصرانية تركزت عليه لأنه هدفها الأول، ورغم إيجابيات هذا التمويه إلا أنه لا يمكن الزج بقائد كبير ومحنك له سبق عسكري وسياسي ووزن في الجيش والقبيلة في هذه المغامرة، وكان من الممكن اختيار شخص آخر للقيام

---

(2) ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص 08.

(3) فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 235، ميراند، المرجع السابق، ص 357.

(4) خالد محمد عطوة زعرب، الخداع في الحرب، رسالة ماجستير، غزة، فلسطين، 2005، ص 83، فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 331.

بعملية التمويه خاصة وأن الجيش يحتوي على مجموعة من القادة العسكريين الذين يمكن أن يناطوا بهذه المهمة.

أما في الجانب النصراني نفسر العدد الكبير للقتلى بسبب الأخطاء الإستراتيجية والاندفاع [1]، ذلك أن إصرارهم على القتال رغم أن جزءا كبيرا من جيشهم قد قضي عليه فالمعاندة والإصرار وهبوط الكفة إلا أنهم غامروا بحمية وعاطفة، إلا أنها كانت انتحارية أمام جيش قوي، فلم يختاروا الانسحاب أو التراجع وهو أهم مبدأ في هذه الحالة بالذات لتفادي المزيد من الخسائر، كما أن حرارة فصل الصيف وبدء المعركة في منتصف النهار وثقل وزن الأسلحة التي كان الجيش النصراني يحملها ساهمت في الفشل والانهزام[2]، لأن حرارة الصيف كانت منهكة للقوات النصرانية، لأنها كانت تبالغ في لبس الحديد من أعلى الرأس إلى أخمص القدمين، فكان يزيد الحر حرا، ثم عدم وجود فتحات في هذا اللباس كان يؤدي إلى عدم التعرق وكل جسم لا يتعرق يصاب بحالة كبيرة من العياء.

حسب اعتقادنا كذلك أن الجيش النصراني طبق مصطلح التعرض الاستراتيجي ولم يوفق فيه، وهو الاندفاع إلى طلب الخصم بعد انتهاء التجمع الاستراتيجي والانطلاق على محور رئيسي واحد أو أكثر بهدف تحقيق نجاحات يكون لها تأثير مباشر على مجرى

---

(1) هذا الاندفاع سببه عدم إعداد المقاتل في ما يعرف حديثا بعلم نفس المعركة، لأن التوتر العصبي والخوف والأسر والموت والتعب والإرهاق وقلة النوم والملل والضجر كل هذا يشكل ضغوطا نفسية شديدة على المقاتلين فإذا تأثر بهذه الضغوط قلت كفاءته وضعفت روحه المعنوية أو يتوقف عن القتال أو الهروب أو التعرض للاضطرابات العصبية والنفسية، وهذا ما لاحظناه في التسرع والاندفاع القشتالي وما تحليق ألفونسو الثامن لرأسه وتنكيس الصليب دليل على الحالة النفسية والعصبية بعد الأرك، وتبرز لنا خطورة الاندفاع كذلك في أن ألفونسو الثامن واجه الهلاك والسحق والخطر وعدم إنفاذ نفسه بالفرار ويتحمل عار الهزيمة، ولكن فئة قليلة من فرسانه استطاعت أن تخرجه عنوة من المعركة، فهذي عملية انتحارية، أنظر: يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 87، محمد فتحي أمين، العلم العسكري مفهومه وتطبيقاته، الأوائل للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 2005، ص 60، 61.

(2) أنظر: هوثيميراند، المرجع السابق، ص 357.

الحرب وتنفيذ الخطة الإستراتيجية العامة، لأنهم كانوا يهدفون إلى القضاء على القلب الذي يؤدي إلى تشتت المقاومة والجيش، ولأن الهدف الموجود في القلب هو هدف خاطئ مموه، وهذا يدل على التركيز التام على هدف غير حقيقي في الواقع وحقيقي في التفكير النصراني (1).

يبدو أن حصيلة المعركة وخسائرها كانت قاسية على الطرف النصراني وهذا من خلال عدد القتلى التي أوردتها لنا المصادر، فابن أبي زرع يقول أنها كانت ألوفا لا تعد ولا تحصى وأن الأسرى قد بلغوا أربعة وعشرون ألف أسيرا (2)، أما ابن الخطيب وابن عذارى فيجعلها ثلاثون ألف قتيل (3).

أما الغنائم التي جمعها المسلمون كانت كثيرة تمثلت في مائة وثلاثة وأربعون ألف خيمة وستة وأربعون ألف من الخيل ومائة ألف من البغال ومائة ألف من الحمير (4).

المبحث الثالث: معركة حصن العقاب (10 صفر 609هـ/ 16 يوليو 1212م) دراسة في الأخطاء التكتيكية:

تعتبر معركة العقاب (1) من أهم النماذج التي يمكن تقديمها في دراسة آليات وأسباب الانهزام في المؤسسة العسكرية الموحدية، فالنسبة لعمليات الحشد لهذه المعركة

(1) العقيد محمد صفا، المرجع السابق، ص 21.

(2) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 228.

(3) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 239، ابن عذارى، قسم الموحدين، ص 220.

(4) الناصري، المصدر السابق، ص 170، ابن الأثير، المصدر السابق، ج12، ص 48.

(1) العقاب بكسر العين، موضع يقع بين جيان وقلعة رباح، ويطلق عليه اسم المرشة الذي غلب عليه اسم العقبات او العقاب في المصادر العربية، واسم λασ ναϖασ δε τολοσα في الروايات الإسبانية، ويطلق على الوديان المتسعة والمقصود هنا الوديان التي تجري بين جبيل الشارات، حيث جرت هذه المعركة في أحد الوديان الغربية من بلدة تولوسا، ولهذا عرفت في المصادر الإسبانية بـ نافاس دي تولوسا أما التسمية العربية نسبة لحصن قديم مرتفع ينسب إلى الأمويين يسمى العقاب، أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 137، أحمد عزاوي، رسائل موحدية، ج2، ص

فقد عمل الطرف النصراني على إنجاحها في جميع أنحاء أوروبا، فقد بلغت عمليات المدد الأوروبية ألفين من البارونات مع حاشيتهم وعشرة آلاف من الفرسان والمقاتلة وخمسون ألف من الرجال، حتى بلغ عددهم الإجمالي سبعون ألف مقاتل من قشتالة وأراغون وناغارا وجليقة والبرتغال، بالإضافة إلى الدعم المادي الكبير لهذه المعركة وكذا التعبئة الدينية للمقاتلين من طرف الكنيسة [2].

أما الحشد في الطرف الإسلامي فقد حافظ على الجيش الذي حاصر شلبيطرة 608هـ/ 1212م، وطعّمه بجيش جديد، كانت إشبيلية مركز تجميع لهذه الجيوش حتى بلغت نصف مليون مقاتل [3].

أما عن خط سير الجيش النصراني فكان يوم 18 محرم 609هـ/ 20 يونيو 1212م من طليطلة إلى قلعة مالاجون ثم قلعة رباح ثم قلعة شلبيطرة ثم إلى جبال الشارات يوم 10 صفر 609هـ/ 16 يوليو 1212، بينما نجد خط سير الجيش الإسلامي من إشبيلية 01 صفر 608هـ/ 15 يوليوز 1211 إلى حصن شلبيطرة ثم إلى جيان ثم إلى جبل الشارات، فوصلوا إلى حصن العقاب يوم 10 صفر 609هـ/ 16 يوليو 1212 [1].

ويمكن توضيح معركة حصن العقاب ومراحلها عن طريق الشكل التخطيطي الآتي:

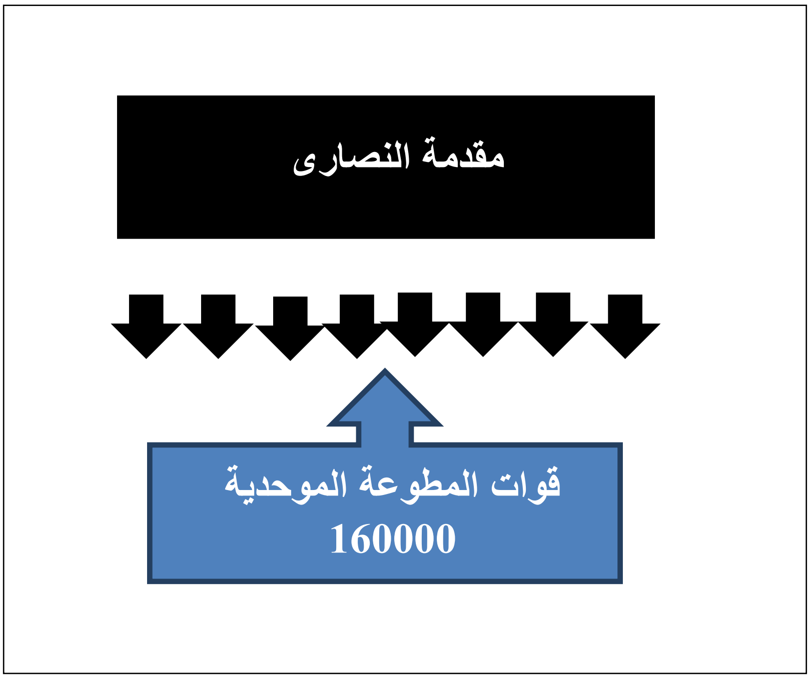
180، نجاة سليم محمود محاسيس، معجم المعارك التاريخية، زهران للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2011، ص 357، Ηενερι τερρασσε, ηιστοιρε δυ Μαροχ, Π 341.

(2) محمد عبد الله عنان، عصر الموحدين، ص 294.

(3) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 401.

(1) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 236، 237.

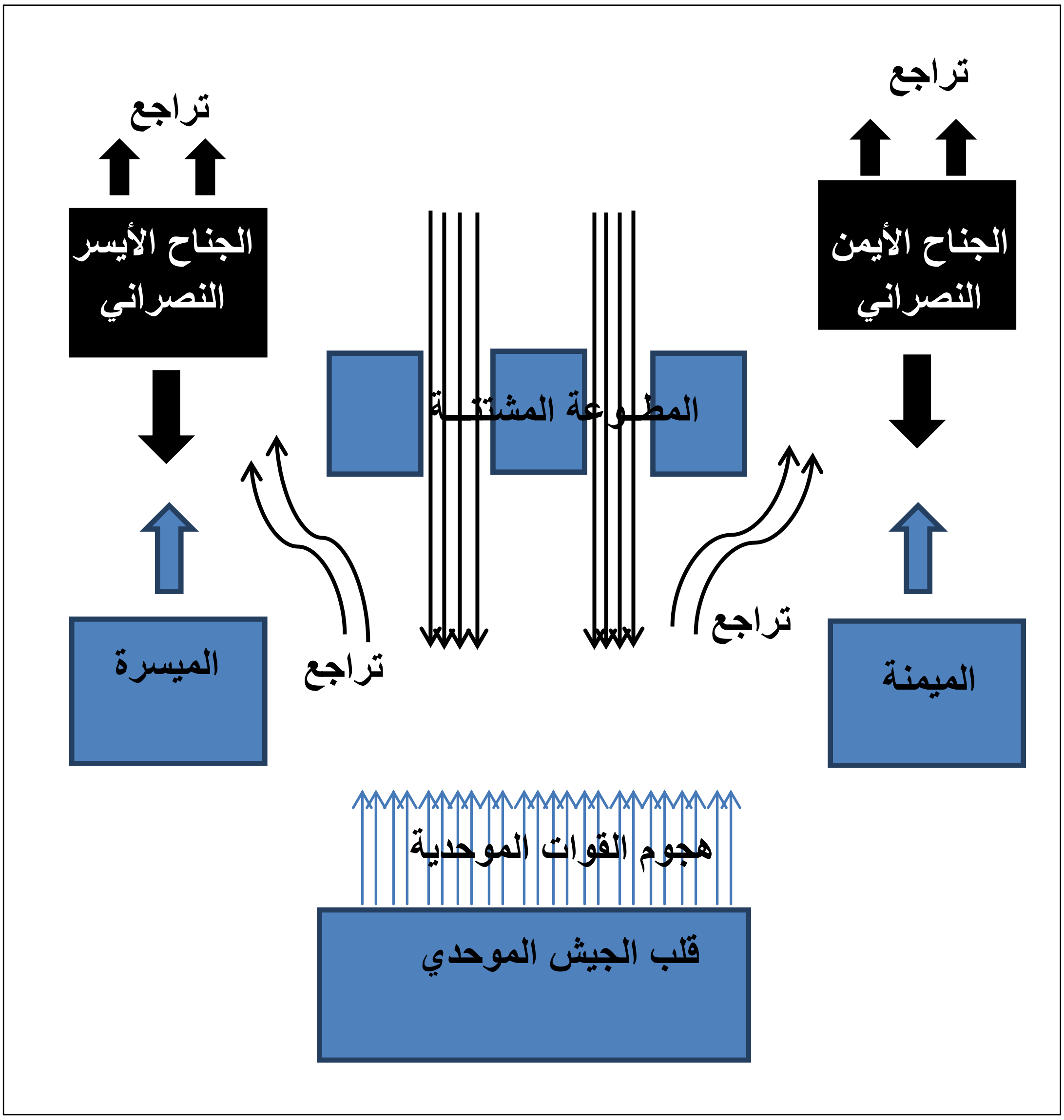
المرحلة الأولى:



كان وجود المطوعة بنسبة 100% جملة واحدة، حيث هوجمت بهجوم مفاجئ كثيف من طرف مقدمة النصارى، مما أدى إلى قتال شديد تم فيه إفناء المطوعة بنسبة 90 % وهذا بسبب عنف الهجوم وكذا قلة الخبرة والتخطيط العسكري عند المطوعة وهذا دون أن تحرك بقية الفرق الموحدية ساكنا للنجدة، ويعد ذلك خطأ تكتيكيا وقعت فيه القيادة الموحدية، التي اعتمدت على الكم ولم تعتمد على فن تحريك هذه القوة خاصة في الجانب النفسي [1]، ويمكن أن نطلق عليه اسم صراع المقدمات.

(1) محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، القسم الثاني، ص 300، 301، هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 289، الناصري، المصدر السابق، ج2، ص 199، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 158،
Ηενρι Τερρασσε, Οπ.Χιτ, Π340–341.

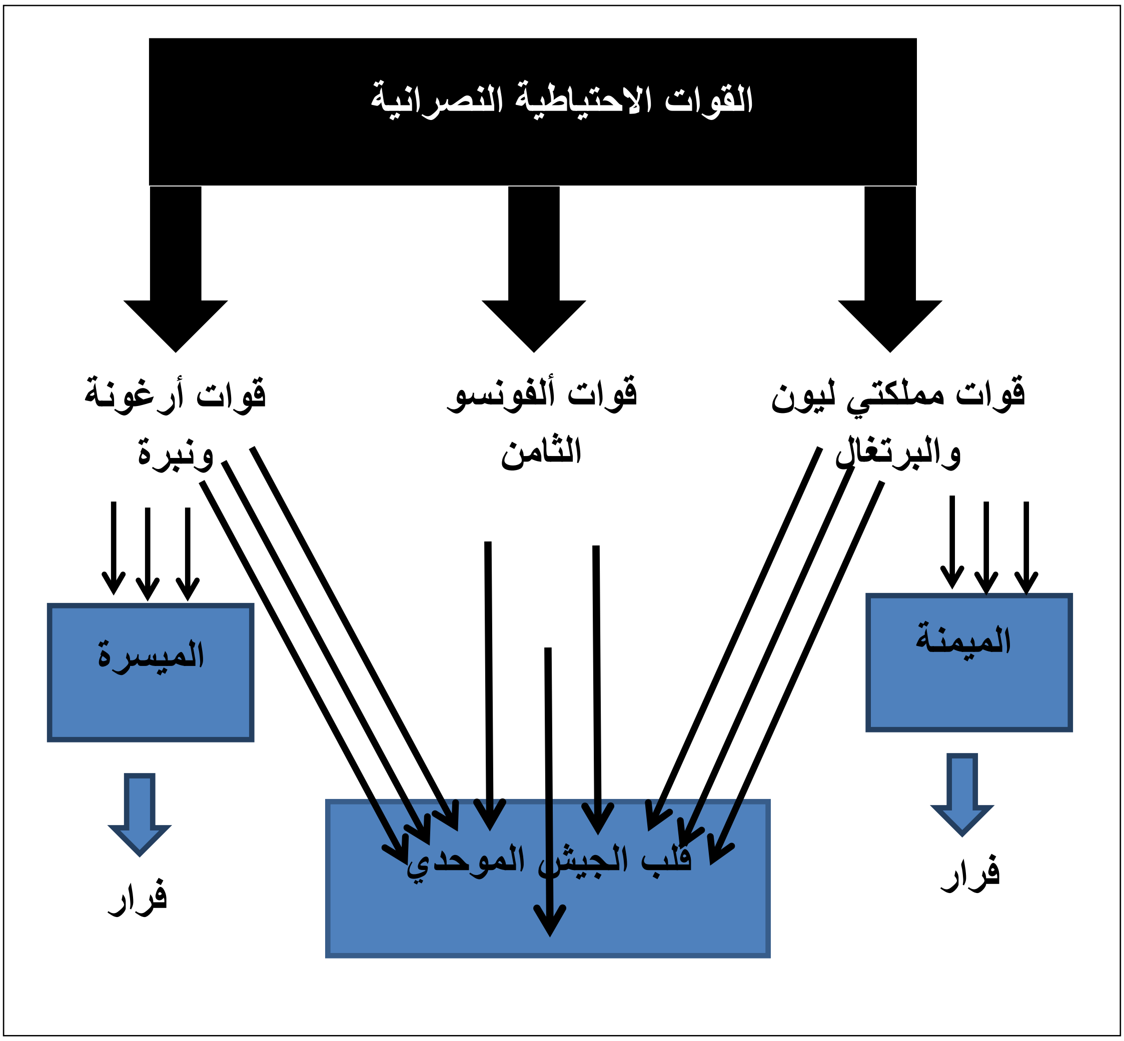
المرحلة الثانية:



بدأ تفتيت وتشتيت مقدمة الجيش الموحدي المتمثلة في المطوعة، والتي فتحت عدة ثغرات لدخول الجيش النصراني إلى قلب الجيش الموحدي، مما أدى إلى حدوث اشتباك عنيف مع القلب وكذا صراع الأجنحة بين الجيشين أدى إلى تراجع الجيش النصراني نحو الخلف أي إلى القوات الاحتياطية لألفونسو الثامن، وهذا التراجع حدث بسبب الإرهاق

والجهد المبذول في الصدام الأول مع المطوعة التي امتصت الجهد البدني، وأثناء دخولها إلى القلب واجهت قوة موحدية أكثر راحة واستعدادا، ونفس الشيء يقال عن الأجنحة [(1)].

المرحلة الثالثة:



نلاحظ دخول قوات احتياطية نصرانية نوعية أكثر راحة، متمثلة في قوات ألفونسو الثامن وقوات مملكتي ليون والبرتغال وكذا قوات أرغونة ونبرة، حيث أدى إلى تراجع وفرار

(1) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 239، هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 291.

الجند الأندلسي الذي كان مسؤولا على الميمنة وكذا فرار القبائل البربرية المسؤولة على الميسرة.

لقد كان القتال وجها لوجه، فتوجب على كل مقاتل أن يواجه عدوه مواجهة شخصية، فكانت السيوف والرماح والدبابيس أهم وسائل المواجهة، وهذا يعني أن المعركة لم تحسم بسهولة، ومن ثمة لم يكن بإمكان أي طرف أن يكبد الطرف الآخر أعدادا كبيرة من القتلى دون أن يتعرض هو لنفس الشيء [1].

إن هذا الفرار جعل القوات النصرانية المتعاونة تركز ضرباتها على القلب فنجحوا في اختراقه وأفنوا الحرس الخلفي للخليفة، ونجا الناصر بأعجوبة، ومما اخذ النصارى في هذه المعركة الراية الموحدية التي صاروا يحتفلون بها في كل مناسبة بهذا الانتصار [2]، (أنظر الملحق رقم 10).

فن استخدام السلاح في المعارك الثلاث:

إن الباحثين والمختصين في التاريخ العسكري ركزوا في بحوثهم العسكرية على ذكر الأسلحة والمواد وطرق صنعها، ولم يتعرضوا لدور وأهمية هذه الأسلحة في تكتيك وإستراتيجية المعركة ميدانيا، أي مدى استغلال تقنيات الأسلحة في المعركة ولذلك سوف لن نعيد ولن نكرر ما قاله الباحثون حول نشأة الأسلحة وتطورها، وإنما سنركز الدراسة على دور هذه الأسلحة في المعركة ميدانيا.

---

(1) هوثي ميراندا، المرجع السابق، ص 420.

(2) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 401، 402، السلاوي الناصري، المصدر السابق، ص 168، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 239، يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 368، 369، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 311، 312.

فما هي الصور الوظيفية لهذه الأسلحة في المعركة ؟

إن البحث في أسلحة أي نظام عسكري مهم جدا لأنه يعكس الوضع ميدانيا لهذا النظام ومدى قوته وتقدمه، ذلك أن الدولتين المرابطية والموحدية من خلال معاركهما نستنتج أنهم أعطوا للأسلحة حقها ومكانها في المعركة، برز التخصص في استعمالها من ذلك تخصص النشابون أي رماة السهام، وهم المدربون على استعمال الرماح وهذا ما يدل على التخصص في استعمال هذه الفئات ولهذا النوع من السلاح، فالناشبة يستعملونه عند تحرك العدو للهجوم عليهم بمسافة معينة لإعاقة وإحداث فوضى في تقدم العدو.

أما عند الاقتراب فيستعمل الرمح على مسافة قريبة ويكون فعالا كلما اقترب العدو أكثر والعكس صحيح، ويمكن توضيح وظيفة هذه الأسلحة فيزيائيا كما يلي:

بالنسبة للسهم نلاحظ في حال اتجاهه للأعلى تتناقص سرعته حتى تنعدم بسبب الجاذبية ثم تزداد عند الهبوط، وللحصول على أكبر مدى لضرب الهدف وجب أن تكون زاوية القذف تساوي حوالي 45°، ومنه نستنتج أن قوة السهم تكون أكبر عند رميه من الأعلى، وقد طبقه المسلمون في معركة الزلاقة إذ أن سلاح السهام كان السلاح الأكثر استعمالا وفاعلية في المعركة، أما في معركة الأرك استعمل من طرف الموحدين لاستدراج قوات النصارى المتمركزة في الأعلى، كما أن هذه النظرية لم تطبق في الإستراتيجية النصرانية وهو أكبر خطأ استراتيجي، ذلك لو استعمل ألفونسو الثامن هذا السلاح باعتباره يحتل المكان الأعلى بشكل مكثف لأعطى للمعركة مسارا آخرا، باعتباره يحتل مكان تكون زاوية الرؤية فيه تشرف على جميع مواقع الجيش الموحدي، وباستطاعته أمام كثافة رمي السهام أن يحدث ثغرات كثيرة في الجيش الموحدي.

أما الرمح فيأتي في المرتبة الثانية بعد السهم من حيث الوظيفة في المعركة عند الاقتراب بمسافة معينة حسب الهدف، ويكون مدى القذف كبيرا عندما يكون الرمح طويلا وتكون قوة انغراسه كبيرة في الهدف كلما كان ثقيلا، ومنه نستنتج أن الرماح والسهام المجدية والناجعة والتي تؤدي وظيفتها على الوجه الأكمل هي الطويلة والمصنوعة من الخشب الثقيل، لإعاقة هجوم الفرسان السريع.

أما الرماح القصيرة فتستعمل عند مطاردة الهاربين ويتم رميها عن بعد خاصة عندما يكون العدو يملك قوة جسدية كبيرة، وعدم القدرة على المواجهة فالطعن أحسن وسيلة (1)، أما السهام فتفتتح بها المعركة ويجب أن تكون صحيحة الاعتدال والاستدارة والفتل والثقل والخفة والطول والقصر على حسب مقادير الرامي (2).

كما أثبتت المصادر أن الكم الهائل من السهام التي غنمت في معركة العقاب من طرف النصارى تؤكد أهمية هذا السلاح، وأن عدم استعماله كان سببا رئيسيا في الانهزام التكتيكي في معركة العقاب.

---

(1) الرماح أنواع كثيرة منها: النيزك، المربوع، المخموس، التام، الخطل، والرمح يحمل بين الركبة والساق، وهو سلاح خاص بالفرسان وقد تدرب عليه المرابطون والموحدون وأسندت لهذه المهمة فرقة متخصصة، وعند القتال يأخذ عند الإبط ويجعله بين أذني الفرس وتكتيكه أثناء الطعن والمواجهة وجب ان يكون الرمح تارة على اليمين وتارة على اليسار بسرعة معلومة حتى يربك عدوه الذي ينقص تركيزه ويجهل مكان الطعن في جسده، فإن وصل إليه طعنه في الجهة الخالية من الرمح، أنظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ص 19، 20، ابن سلام، كتاب السلاح، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط2، دمشق، 1985، ص 19، 20، عبد الرؤوف عون، فن الحرب في صدر الإسلام، ص 145، العباسي الحسن بن عبد الله، المصدر السابق، ص 186، محمد صفا، المرجع السابق، ص 52.

(2) أنظر: ناهد جعفر، المرجع السابق، ص 23.

وهناك فرقة أخرى لها أهمية في تحديد مسار المعركة وهي فرقة السيافة وهم المدربون على استعمال السيوف راكبا أو راجلا، والماهرون منهم في استعمال السيف هم من يخرجون للمبارزة، وهو آخر الأسلحة استعمالا في المعركة (1).

وقد اشتهر المرابطون بقوة ضربات سيوفهم عند الالتحام، التي تفقد الفارس توازنه، فكان لهم بذلك ناموس ورعب (2)، ويعد السيف الهندي من أهم الأنواع التي استعملها المرابطون في معركة الزلاقة (3).

وما نستنتجه أن السيف سلاحا محوريا هاما يوظف أثناء الالتحام ويقف على مدى براعة التدريب وخفة الحركة، وهذا ما نجده في معركة الأرك والزلاقة على وجه الخصوص، فعدد القتلى الضخم في المعركتين وكثرة الرؤوس تدل على الاستعمال المكثف لهذا السلاح.

وهناك فرقة أخرى لها أهميتها وهي فرقة الطبالة، وهو نوع من السلاح البسيكولوجي الحماسي، والهدف من قرع الطبول إرهاب العدو وإلهاب حماسة جند المسلمين وصك أسماع العدو، وتستخدم لأغراض حربية متعددة كالحشد والإعلام بخروج كمين، فهذه الفرقة كانت تنبئ الجيش المرابطي والموحدي بالمستجدات والحالات الطارئة في الحرب، إذن فهي فرقة مختصة ولها وظيفة معينة، وكانت علامات بارزة في خروج

---

(1) محمود شيت خطاب، عقبة ابن نافع الفهري، ص 67، أحمد علي علي، التعبئة العسكرية عند الأمويين، رسالة ماجستير، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1978–1979، ص 102.

(2) ابن خلكان، المصدر السابق، المجلد السابع، ص 402.

(3) وهذا لشهرة السيف الهندي وجودته، والذي بدأ عصره الذهبي في الهند في القرن 5 هـ –11 م، حيث أجاد الهنود الأساليب الفنية في التحويل والتشكيل وظلت الهند موردا هاما، وهذا الحذق والبراعة أكدها الإدريسي الجغرافي ويرجع كل هذا إلى جودة الحديد الهندي. أنظر: عبد الرحمان زكي، صناعة السيوف الإسلامية في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، 1956، المجلد 5، ص 80، 81.

الجيش الاحتياطي وتطبيق المفاجأة في معركة الزلاقة، حيث كانت الطبول إنذارا بالخروج وتطبيق الخطة [1].

ويستخدم ككلمة سر في الحرب، وقد اشتهر المرابطون والموحدون بهذا، من ذلك ما حدث في عهد عبد المؤمن بن علي عند انقضاضه على جزولة الصنهاجية حيث قام بإصدار أمر دق الطبل، فاندفعت نحو القبيلة [2].

بالإضافة إلى استعمال أسلحة أخرى أوكلت مهمتها إلى فئات متعددة منها فئات مرتدية الدروع وهي من أهم وسائل الوقاية الشخصية ولها ملحقات كالمغفر والبيضة (الخوذة)، التي توضع فوق الرأس وتكون مصنوعة من الجلد أو القماش أو الحديد أو البرونز، وتختص به فئة المشاة على وجه الخصوص لأنها معرضة للاصطدام مع العدو[1]، وهو سلاح لحماية الجسم كله أو جزء منه تقيه من ضربات العدو، لذا فهي أكثر استعمالا خاصة المصنوعة من الجلود نظرا لخفتها وقدرة الجندي على الحركة السريعة بها [2].

---

(1) إن استعمال هذه الطبول وقرعها جاء من خلال التأثر بتقاليد الأفارقة، وما زالت هذه الطبول تستعمل في اللهجة المغربية بعبارة طبل الجومي أو حناوة المنسوب إلى غينيا التي تكلم عنها ابن فضل الله العمري بقوله: " وكانت تحد إفريقية جنويا الصحراء بينها وبين جناوة المسكونة بأمم من السودان "، انظر: العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، جزء إفريقية والأندلس، ص 02، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 243، إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 178، هوبكتر، النظم الإسلامية في القرون الوسطى، ص 170، 171.

(2) البيدق، أخبار المهدي، ص 103، الحلل الموشية، ص 113، ابن القطان، المصدر السابق، ص 242.

(1) أنظر: عزيز حداد، نظام الجند في الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية 132 هـ/749م، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2004، ص 137.

(2) أنظر: ابن هذيل، حلية الفرسان، ص 143، 144، موسى هصام، المرجع السابق، ص 48.

ويقترن الدرع بالترس وهو آلة دفاعية للوقاية من رمي الأعداء سيفا أو رمحا أو نشابا كان، ويستعمل مع السيف لحماية المقاتل أثناء دخوله المعركة وتجنب الضربات.

والترس أنواع، منها المسطح لاتقاء الرماح والمستطيل لاتقاء النشاب والمستدير المحدب لاتقاء السيوف (3).

وما نستنتجه هو أن الأسلحة لها دور ووظيفة تكتيكية في المعركة، إذ يبدأ القتال البعيد برمي السهام، حتى إذا ما تقاربت صفوف الخصمين ولم يعد مكان للمعركة لرمي السهام استعملت الرماح، وإذا ما التحمت الصفوف سلت السيوف ثم الخناجر وهذا ما لاحظناه في معارك المرابطين والموحدين الذين وظفوا هذه الأسلحة أحسن توظيف في ميدان المعركة، وهذا يرجع إلى حسن التدريب (4).

إن هذه الفئات كانت أكثر جاهزية من الناحية التكتيكية والتي تملك القدرة على دخول المعركة بشكل منظم وتنفذ المهمة القتالية بنجاح في مختلف شروط المعركة إذن هناك تنسيق وترابط وتعاون بين هذه التخصصات، وهذا ما لاحظناه في معركتي الأرك والزلاقة، بينما في معركة العقاب لاحظنا فوضوية في هذه التخصصات (1).

تحليل المعركة من الناحية التكتيكية:

من خلال دراستنا لمراحل معركة العقاب استنتجنا الأخطاء التكتيكية التي وقعت فيها القيادة الموحدية، ويمكن إجمالها في العناصر الآتية:

---

(3) أنظر: ابن هذيل، حلية الفرسان، ص 147، الطرسوسي، المصدر السابق، ص 12، عبد الرؤوف عون، فن الحرب في صدر الإسلام، ص 189.

(4) عبد الرحمان بن عميرة، المرجع السابق، ص 98.

(1) أحمد علي علي، المرجع السابق، ص 81.

1- عدم وجود إستراتيجية للتموين والتي كشف حصار شلبيطرة عن عيوبها والتي دامت ثمانية أشهر، حيث قلت العلوفات وفرغت أزواد الناس ونفدت نفقاتهم " وكلت عزائمهم وفسدت نياتهم التي قصدوا بها للجهاد وقنط الناس من المقام " [2] وعدم الاهتمام بعملية التموين يدل على عدم مبالاة الإدارة رغم علم الناصر المتأخر بهذا العنصر، فقام بإعدام المسؤولين المتسببين في ذلك [3].

2- هشاشة القيادة والجهاز العسكري الموحدي، حيث كان الخليفة غافلا عن وزيره ابن جامع، الذي أخفى ومزق جميع رسائل النجدة التي بعث بها ابن قادس لفك حصار قلعة رباح[4].

3- عدم استشارة الخبراء العسكريين والانفراد بالرأي الشخصي في الحرب وعدم وجود خطة واضحة وغموض في تحديد الأفضليات على مسرح المعركة وغياب الاهتمام بالروح المعنوية للمقاتلين وعدم تعزيز إرادة النصر لديهم، إذ لا يمكن خلال الحروب والقتال تحقيق أي شيء إلا عن طريق الحساب والتخطيط، ذلك أن العمل لا بد أن يكون متدرجا ومتابعا وأكثر انضباطا [1].

4- الحروب الماراطونية للجيش الموحدي داخليا وخارجيا أدى إلى الإرهاق البدني والمادي، خاصة إذا علمنا أن حصار شلبيطرة استنفذ جل طاقات الجيش الموحدي الذي تعرض إلى أقسى أنواع عوامل الطبيعة وإضاعة الوقت في هذا الحصار، فأصاب

---

(2) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 237.

(3) روجي لي تورنو، حركة الموحدين في المغرب في القرنين 12 و13، ترجمة أمين الطيبي، ليبيا–تونس، الدار العربية للكتاب، 1982، ص 95.

(4) ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص 237.

(1) بسام العسلي، فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء والراشدين والأمويين، دار الفكر للطباعة والنشر، المجلد الثاني، ص 202، 203.

الضرر الآلاف من المسلمين من صقيع جبال الأندلس، ودخل الناصر بلاد الأندلس في شهر مايو وكان مناسبا للقتال، إلا أنه حاصر شلبيطرة حتى قدم الشتاء القارس، وبدأ الجيش يهلك من شدة الإنهاك في هذا الحصار[2]، واستنزاف الناصر لجميع قدراته العسكرية في القضاء على الثورات الداخلية دون حساب للأخطار الخارجية.

5- إهمال الناصر الاعتماد على القوات الأندلسية الفاعلة والأكثر خبرة ودراية بقتال الإفرنج ومعرفتهم بالجغرافية الأندلسية عكس ما شاهدناه في الأرك يضاف إلى ذلك المعاملة السيئة التي عومل بها الأندلسيون، حيث نكّل بهم وقتلهم [3].

6- انهيار نفسيات جيش الموحدين بسبب عدم تسديد الأرزاق، حيث يقول الحميري: " وخرج إليه الناصر من إشبيلية في العشرين من محرم سنة 609 هجرية بحشود لا غرض لهم في الغزو، وقد أمسكت أرزاقهم وقتر عليهم مع ما كان من قتله لابن قادس صاحب قلعة رباح " [1].

7- يبدو أن الناصر متسرعا ودخل الحرب ولا يعرف علومها، فهو خليفة بعيد عن العسكرية، من ذلك أنه كان يمتطي فرسا بدينة متثاقل الحركة وكاد أن يمسك به أثناء الهزيمة والمطاردة لولا نصح العربي له باستبدال الفرس [2].

---

(2) شوقي أبو خليل، العقاب بقيادة أبا عبد الله محمد الناصر، دار الفكر، 1979، دمشق، ص 51، روجي لي تورنو، المرجع السابق، ص 97.

(3) بسام العسلي، وقعة العقاب، مجلة البحث العلمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، العدد 35، الرباط، 1985، ص 108، 109.

(1) الحميري، المصدر السابق، ص 137، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 318، أحمد عزاوي، رسائل موحدية، ج2، ص 180، 181.

(2) الحميري، المصدر السابق، ص 138.

أما انتصار ألفونسو الثامن يمكن إرجاعه إلى تطبيق تكتيك ناجع يمكن إجماله في النقاط الآتية:

8- نجاح التعبئة الاقتصادية، حيث وفر ملك قشتالة للجيوش المتحالفة معه مؤنا كافية، يضاف إلى ذلك المساعدات الغذائية والمالية من طرف حلفائه، وكذا استفادته الاقتصادية من المؤن التي وجدها أثناء دخوله قلعة رباح المتمثلة في الخيام والاطعمة والخيل، كما قام بالتحفيز المالي للجيش حيث منح ملك قشتالة للمتطوعين رواتب مالية عشرون شلنا للفارس الواحد وخمس شلنات للراجل [3].

9- التعبئة الدينية الناجحة، والتي تبناها البابا أنوست الثالث الذي دعا إلى الصوم ثلاثة أيام من أجل الانتصار على المسلمين وإقامة الصلوات العامة، حيث ارتدى رجال الدين والرهبان السواد وساروا حفاة، وما الحشود الكثيرة التي نزلت بطليطلة من ليون ونافارا وجليقة، البرتغال، دليل على نجاح هذه التعبئة الدينية، حيث يقول ابن أبي زرع: " فجاءته ملوك الروم في جيوشهم مستعدين غاية الاستعداد قد شمروا للطعان والجلاد، حيث بلغ في شهر ذو الحجة 609هـ ماي 1212 عددهم زهاء ألفين من البارونات وعشرة آلاف من الفرسان المقاتلة وخمسين ألف من الرجالة " [1].

10- اتباع ألفونسو الثامن لإستراتيجية المطاردة، حيث طارد فلول الموحدين الفارين واقتحم مدينة بياسة[2]، وكان أهلها قد هجروها ولم يبقَ منهم إلا الضعفاء والمرضى، فاجتمعوا بالمسجد الجامع للاحتماء ولكن النصارى قتلوهم جميعا وخربوا

---

(3) شوقي أبو خليل، العقاب، ص 31، سيمون الحايك، المرجع السابق، ص 278.

(1) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 237، عبد الرحمان الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، ط5، دمشق، 1997، ص 492، عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 294.

(2) تقع على كدية مطلة على النهر المنحدر من قرطبة، وهي مدينة ذات أسوار وتشتهر بالزعفران، أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 57.

المسجد [3]، واقتحموا مدينة أبدة [4]، وقتل فيها الكثير وحاصرها ثلاثة عشر يوما يقتل ويسبي حتى ملؤوا بها بلاد الروم [5] ثم استولى على مدينة بيغو[6]، وزحف على مدينة بسطة واحتلها [7].

11- اعتماد ألفونسو على أسلوب الاقتصاد في الجهد، ووزع قواته في المعركة توزيعا دقيقا حسب متطلبات مسار المعركة، فقدم جيوش المقدمة ثم الجناحين ودخل بصفة نهائية بقوات احتياطية نوعية، وهذا هو السر الذي كان من أعظم العناصر المساهمة في هذا الانتصار أمام فوضوية الجيش الموحدي وقتاله بالجملة وافتقاره للتنسيق وبعد النظر.

وما يمكن ملاحظته أن هذا الانهزام الموحدي أثار انتكاسة في نفسيات المجتمع والتي ترجمها الشعر، هذه المادة الشعرية التي قيلت في المعركة يمكن أن نأخذ نموذجا منها في قول الشاعر أبا إسحاق إبراهيم ابن الدباغ الإشبيلي قائلا:

وقائلة أراك تطيل فكر ... كأنك قد وقفت لدى الحساب

فقلت لها أفكر في عقاب ... غدا سببا في معركة العقاب

فما في أرض أندلس مقام ... وقد دخل البلاء من كل باب [1]

---

(3) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 402.

(4) مدينة صغيرة على مقربة من نهر قرطبة، تبعد عن بياسة بسبعة أميال، أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 11.

(5) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 420.

(6) بيغو من أعمال غرناطة، أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 60.

(7) بسطة تقع بالقرب من وادي آش من أعمل جيان، تشتهر بالمياه والبساتين، أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 44.

(1) المقري، المصدر السابق، ج4، ص 464، محمد عويد الطربلي، المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2005، ص 145.

الحــرب البحريــة عنـد المرابطـين والموحديـن من حيث العدة والنشاط

المبحث الأول: إستراتيجية المرابطين والموحدين في تطوير القوة البحرية

إن الدراسات الأوروبية للملاحة في العصر الوسيط قد قطعت أشواطا هامة وهذا بفضل المنهج المتبع حيث اعتمدت على كم هائل من الوثائق الدقيقة والمتخصصة واستعمال أحدث التقنيات البحثية والتنقيب عن بقايا السفن الغارقة في البحار أو ما يعرف بأركيولوجية تحت الماء والتعامل الحاسوبي مع المعطيات.

أما الدراسات العربية فتبقى موضوع البحر مغيبا فيها، لأنها اعتمدت على مصادر وصفية غير دقيقة في عمليات المعالجة، ومن خلالها تبني أحكاما ونتائجا يصعب التأكد من صدقها أو صلاحيتها كحمولة السفن وسياسة بنائها وأشكال القطع البحرية التي لا تزال بحاجة إلى دراسات دقيقة، وكتاب كريستوف بيكار " البحر ومسلمو الغرب الإسلامي " تعتبر أهم دراسة للبحرية المغربية الأندلسية وتقنياتها ودور البحر في الحياة العسكرية (1).

من هذا المنطلق ومن خلال ما وصلت إليه أيدينا من دراسات حول البحرية المرابطية والموحدية نجد أن الأسطول البحري شكل أحد المكونات للمؤسسة العسكرية في الدولتين، وذلك راجع إلى عدة عوامل كشساعة المساحة والجوار اللذان حتما عليهما الاعتناء بالقوة البحرية التي تستلزم مجموعة من الإجراءات البنائية الضرورية، فدولة المرابطين صحراوية النشأة لم تكن لها تقاليدا بحرية، وكذا الموحدين الذين انطلقوا من أعماق جبال الأطلس لم يفقهوا كثيرا من ثقافة البحر بحكم المجال الجبلي الذي انطلقوا منه، فعند وصول المرابطين

(1) محمد الشريف، تطور البحرية الإسلامية وتقنياتها بالغرب الإسلامي، مجلة التاريخ العربي، العدد 9، 1999، ص 24.

والموحدين إلى السواحل المتوسطية أصبح التكيف مع البحر ضرورة حتمية لبناء أسطول قوي لتأمين الحدود ومواجهة التحرشات [1].

فما هي إستراتيجية المرابطين والموحدين في تطوير القوة البحرية ؟ وما هي الأنشطة الحربية البحرية للدولتين ؟

يمكن إجمال الاستراتيجيات البحرية في المجال الحربي للدولتين في النقاط الآتية:

1- توفير المواد الأولية:

وهي من الأولويات التي اهتمت بها الدولتين، باعتبارها المحرك الأساسي في الصناعة البحرية، ومرهونة بمدى توفر المواد الأولية في صناعة السفن وحسن استغلالها، فما هي إمكانات الدولتين في هذا المجال ؟

لو نظرنا إلى المناطق الجغرافية التابعة للدولتين تجعلنا نؤكد توفر المواد الأولية خاصة في المناطق الساحلية، سواء في العدوة المغربية أو الأندلسية، فمنذ العصور القديمة نجد أن القوة البحرية للشعوب المتوسطية تعتمد أساسا على الغابات القريبة [2].

فبلاد المغرب والأندلس تتوفر على إمكانات هائلة من هذه المواد مثل الأخشاب وخاصة الصنوبري الذي يدخل في صناعة ألواح السفن والصواري والمجاديف بالإضافة إلى خشب الطخشن الذي يستعمل في صناعة القسي والسلالم والتروس والدبابيس [3].

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص 313، 3016، السلاوي الناصري، المصدر السابق، ص 03، 04، سالم غومة، المرجع السابق، ص 32.

(2) عياد المبروك عمار، المرجع السابق، ص 26.

(3) فوزية محمد عبد الحميد نوح، البحرية الإسلامية في عهد المرابطين والموحدين 447-667 هـ/1055-1268 م، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ص 44.

والجدول يوضح بعض المناطق في العدوتين لإنتاج الخشب:

مكان الإنتاج	المصدر
فاس: إن لهذا الخشب ميزة إذا وضع العود منه في مكان لا يصل له الماء فهو يعمر ألف عام ... دون أن يتغير	الجزنائي، زهرة الآس، ص 18.
شلب: والعود بجبال شلب كان يحمل منها إلى سائر مملكة إشبيلية لصناعة السفن.	الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 106.
بجاية: لأن الخشب في أوديتها وجبالها كثير	الإدريسي، المصدر السابق، ص 28.
طرطوشة: وبجبالها خشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظير في الطول والغلظ وهو خشب أحمر.	الحميري، ص 124.
جلفور: وفيها عنصر العود الذي تنشأ منه المراكب	ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 148.
شقورة: وفي جبل شقورة شجر الطخشن الذي يتخذ منه القسي	الحميري، ص 105.

بالإضافة إلى هذا نجد أن المراسي والسفن تحتاج إلى الحبال والشراع وهي القوة المحركة لها، لذلك فإن الحلفاء في الأندلس كثيرة جدا [1].

أما المعادن فنجد أن الحديد والنحاس والرصاص يتوفر بنسب مدهشة في الأندلس خاصة طليطلة وغرناطة والبيرة المشهورين بصناعة السلاسل [2].

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 323.

(2) المقري، نفح الطيب، ج1، ص 143، ابن الخطيب لسنان الدين، الإحاطة، ج1، ص 104، الحميري، المصدر السابق، ص 133.

كما ينتشر الحديد في مدينة بونة ومجانة وبجاية وكذا في تمسامان على الطريق بين سبتة ووهران على ساحل البحر بين سلا ومراكش، وكذا في بكارش في إشبيلية وأدرنة قرب دانية والبيرة، بالإضافة إلى سجلماسة وبلاد كتامة [1].

بالإضافة إلى الشحوم والقطران هناك مواد تستوردها كالمواد الحديدية مثل الخطاطيف وأدوات التصنيع والأسلحة والمسامير وغيرها [2]، ومن ميزة سفن البحر الأبيض المتوسط أنها توصل ألواحها بمسامير معدنية عكس سفن البحر الأحمر الملفقة الإنشاء ولا يستعمل فيها مسمار وهي مخيطة بأحراس من القنبار وهو قشر جوز النرجيل[3].

ولذلك لم يجد عبد المؤمن صعوبة في الحصول على خامات الحديد والخشب وكل ما هو ضروري لبناء السفن في العدوتين [4].

لقد عملت الدولتان على توفير المواد الأولية الداخلة في صناعة السفن بشكل كبير واستغلالها في بناء وتطوير الأسطول البحري، حيث قامت بربط مناطق الاستخراج بمناطق التصنيع عن طريق النقل البحري أو النهري.

---

(1) المبروك عياد عمار، البحرية في عهد الموحدين، ص 26، فوزية محمد عبد الحميد، المرجع السابق، ص 47، المبروك غنية الأسطي، البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط الغربي من ق 6ه إلى ق 8 ه /12-14 م، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 1999، 2000، ج1، ص 90، 91.

(2) محمد الطويل، النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط، دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1996/1997، ص 332.

(3) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص 47، عياد المبروك الأسطي، المرجع السابق، ص 28.

(4) السيد عبد العزيز سالم ومختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1969، ص 254.

2-الاستثمار في الخبرة الأندلسية:

لقد اشتهرت الأندلس بمهارة صناعها وفي طليعتهم نشارو الخشب الذين شكلوا أبرز مادة أولية في صناعة السفن وامتهانهم إنتاج معدات النقل والمعدات الحديدية، وهذه الخبرة جاءت من خلال احتكاكهم واقتباسهم من الأمم المتاخمة لهم [1]، لذلك اعتمد المرابطون والموحدون في تسيير أساطيلهم على عناصر غير مرابطية وموحدية بسبب ضعف تكوينهم البحري، ولم تكن لهم خبرة في قيادة الأساطيل [2].

لقد استفاد المرابطون والموحدون من الخبرات الأندلسية في ميدان تعبئة الأساطيل وقيادتها، وكان منهم الكثير من أمراء البحر لأنهم كانوا عارفين بمسالك ومذاهب البحر خاصة الجانب التقني كحركة الرياح وتغيرات الأنواء ملمين بالحركات البحرية، بل كانوا خبراء في اختيار أنواع السفن [3].

إن الخبرة الأندلسية كانت متميزة إذن في ميدان الحروب، ويدل على ذلك تاريخهم العريق في خوض المعارك الكثيرة بسبب موقعهم الجغرافي وطبيعة وخصومهم، خاصة في صد هجومات النورمانيين[4]، فكانوا أكثر تهيؤ وحيطة من النورمانيين، حيث جعلوا البحر أكثر حراسة وتوزيع السفن في البحر لمراقبة التحركات، وهذا التكتيك كان عند الأندلسيين

(1) عبد السلام الجعماطي، النقل والمواصلات بالأندلس خلال عصري الخلافة والطوائف، دار الأمان، 2010، الرباط، ص 481، 482.

(2) المبروك غنية الأسطي، المرجع السابق، ص 48.

(3) المرجع نفسه، ص 134.

(4) أصلهم جرماني، ينقسمون إلى عدة طوائف منهم السويديون والنرويجيون والدنماركيون، اشتهروا بنشاطهم التجاري والبحري والحربي، أنظر: رياض أحمد عبد الغاني، هجومات النورمانيين على الأندلس، مجلة سر من رأى، المجلد السابع، العدد 27، السنة السابعة، تشرين الأول، كلية التربية، بغداد 2011، ص 136.

خاصة في عهد الدولة الأموية، وكذا إتقانهم للتنسيق البري والبحري، وهذا ما نلاحظه في معركة إشبيلية 360هـ/ 970م[1].

بل أن الموحدين ذهب بهم الحد إلى دفع الفدية للأسرى ذوي الخبرة البحرية، لأنهم في أمس الحاجة لخبراتهم، من ذلك أنه عندما أسر غانم بن مردنيش من طرف النصارى مع أخيه أبا العلاء، ففدتهم السلطة وأطلق سراحهم [2]، كما اعتمدوا على خبرة العناصر البرغواطية والتقاليد البحرية التي اكتسبها هؤلاء من خلال تاريخ الإمارة الطويل، فتمكن المرابطون والموحدون من استغلالها [3].

ولعل ما يبرز لنا الخبرة الأندلسية ومدى مساهمتها في تطور البحرية المرابطية والموحدية هو دور أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج من أهل إشبيلية الذي كان من العارفين بالحيل الهندسية وأمهرهم في نقل الأجرام ورفع الأثقال وكان بصيرا باتخاذ الآلات الحربية، ويرجع له الفضل في تصميم ميناء سلا [4].

كما استفاد المرابطون والموحدون من خبرة أهل بجانة[5]، خاصة في التنظيم البحري، ذلك أن المدينة اشتهرت في العهد الأموي بتأسيس نوع من الاتحاد البحري يطلق عليه بشيء من التجاوز اسم جمهورية بحرية، فأسسوا مدينة تنس سنة 262 هـ/875م حيث كانوا يعقدون معاهدات صداقة مع البربر، وبعد إنشاء مدينة ألميرية على نفس التنظيم البجاني سرقت

---

(1) رياض أحمد عبد الغاني، المرجع السابق، ص 143، 147.

(2) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 143.

(3) محمد الطويل، المرجع السابق، ص 332.

(4) محمد أحمد المغربي، الموحدون سادة البحار، مجلة دعوة الحق، عدد 10، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، المغرب، السنة 14، جانفي 1972، ص 127، أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص 72.

(5) مدينة بالأندلس قديمة النشأة تشتهر بالمعادن وطيب الهواء والماء والحمامات للاستشفاء، أنظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 37، 38.

منها هذه الشهرة فغادر بجانة الكثير من البحريين الذين اشتهروا بالخبرة للعمل في ألميرية، والمؤكد أن هذه الخبرة استغلها المرابطون والموحدون في تطوير التنظيم البحري الحربي (1).

ولعل من بين الأسر التي استثمر فيها المرابطون والموحدون استثمارا بحريا حقيقيا هي أسرة بني ميمون، التي يرجع لها الفضل الكبير في تطور البحرية، حيث عملوا على كسر شوكة الأعداء والسيطرة على حوض المتوسط، وقد أشاد ابن خلدون بدور هذه الأسرة، بقول: " وكان الجانب الغربي من هذا البحر موفور الأساطيل ثابت القوة لم يتحيفه عدو ولا كانت لهم كرة فكان الأسطول به لعهد لمتونة بني ميمون رؤساء جزيرة قادس " (2).

وقد برزت من هذه الأسرة نخبة بحرية تقنية كونت وساهمت في الانتصارات المرابطية والموحدية منهم أبو عبد الله محمد بن ميمون، الذي كان قائد غراب وكان له الفضل الكبير في فك الحصار الصليبي على ميورقة بالاستنجاد بعلي بن يوسف المرابطي وكذا علي بن ميمون الذي غزا جنوب إيطاليا وشواطئ بروفانس خدم المرابطين والموحدين، بالإضافة إلى عيسى بن ميمون قائد أسطول إشبيلية ولب بن ميمون الذي أدار البحر وخدم الملثمين ثم الموحدين (3).

كما وجدت عناصر أخرى غير هذه الأسرة ساهمت في تطور البحرية المرابطية والموحدية من ذلك أبو العباس أحمد الصقلي ذو الأصل النصراني من جربة من القيادات الكفؤة في عهد عبد المؤمن، بالإضافة إلى علي بن الربرتير قائد قطلاني الأصل اعتنق

---

(1) إحسان عباس، اتحاد البحريين في بجانة بالأندلس، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية، السنة 23، الأجزاء 1-4، كانون الأول، 1970، بيروت، ص 3، 5، 10.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص 255.

(3) المقري، المصدر السابق، ج3، ص 220، محمد الشاذلي النيفر، المرجع السابق، ص 106، علي قنبر إلياس، بنو ميمون قادة الأسطول المرابطي والموحدي 508-599هـ/1115-1202م، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، المجلد 10، العدد 2، 2010، ص 425، 429، 435.

الإسلام وساهم بدور كبير في افتتاح جزر البليار، وكذا عبد الله بن إسحاق بن جامع قائد أسطول سبتة، ومحمد بن إبراهيم بن جامع ومحمد بن عطوش وغانم بن محمد بن مردنيش[1].

كل هذه العناصر والأسر امتهنت شؤون البحرية وتملك من الخبرة والكفاءة ما يجعلها محط أنظار، لذلك كان الاستثمار في قدراتها الحربية والبحرية من بين الاستراتيجيات التي ارتكزت عليها المؤسسة العسكرية المرابطية والموحدية.

3-الرباطات والمحارس وحماية المياه الإقليمية:

الرباط نظام دفاعي إسلامي على السواحل الإسلامية استحدثه المسلمون للعمل كنظام إنذار عندما تتعرض الحدود الساحلية لاعتداءات خارجية، أما المحارس فهي معاقل ساحلية دفاعية على المدن الساحلية يكلف الحرس بالسهر على مراقبة البحر منها ومن الأبراج المقامة على سور المدينة المواجهة للبحر، والفرق بين النظامين هو أن الأول يقع على كاهل الأهالي فهو عمل تطوعي للجهاد أما الثاني فهو مؤسسة حكومية يعمل فيه جند نظاميون [2].

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص 452، فوزية محمد عبد الحميد، المرجع السابق، ص 81-184، محمد الشاذلي النيفر، المرجع السابق، ص 107-109.

(2) عبد الرحمان بشير، القرصنة غربي المتوسط في القرن 2 هـ-5 هـ/8-11م، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، الحولية 32، جامعة الكويت، 2012، ص 51، 52.

ونظرا للأخطار المهددة للسواحل نشأ مجتمعا بحريا إسلاميا في الأربطة والمحارس على طول ساحل صفاقص، سوسة، المنستير، حتى أصبحت دور صناعة السفن البحرية قواعد انطلق منها المرابطون والموحدون للجهاد البحري [1].

ويتم اختيار مكان الرباط على أساس مسافات مدروسة من حيث قربه من الموانئ وكان نظام العمل في الرباط والمحارس يخضع لتقنيات، فنجد هناك إشارات تنبئ المرابطين عن قرب هجوم معين من خلال تحركات مراكبهم في البحر وهذا يزيد من عمليات الاستعداد والمواجهة، فإذا اكتشفوا عدوانا أشعلوا النيران في المنارات التي أعدت لهذا الغرض ليلا، أما نهارا فيتم إثارة الدخان وهي علامات متعارفة لديهم [2].

ويبدو أن المرابطين في هذه المحارس لم يكن دورهم دينيا أو مذهبيا فقط بل مارسوا دورا عسكريا يتمثل في حراسة السواحل ليلا وهي مهمة كانوا يعهدون بها في بعض الأحيان لخدمهم وهذا ما يفسر وجود منارات في الأربطة [3].

كما اهتم عبد المؤمن بن علي بوسائل الدفاع الساحلية، حيث أنشأ الرباطات ذات المناور التي تشعل النار في قممها ليلا وينبعث منها الدخان نهارا لإنذار الأهالي في حالة وقوع غارة بحرية مثل رباط تيط وقصبة المهدية ومدينة الفتح [4].

---

(1) طه خضير عبيد، طرائق فكاك الأسرى المسلمين من الصليبيين 490 هـ-290هـ/1097-1291م، مجلة أفاق الثقافة والتراث، السنة 9، قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية، العدد 76، ديسمبر، الإمارات العربية المتحدة، 2011، ص 144.

(2) عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص 53، 54.

(3) ناجي جلول، الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1999، ص 199.

(4) موسى هصام، المرجع السابق، ص 132، عياد المبروك، المرجع السابق، ص 53، وفيق بركات، فن الحرب البحرية، ص 120.

ومما يعزز حرص الخلفاء الموحدين على تأمين السواحل وحراستها ما نجده في رسالة موجهة إلى أحد المشرفين على قيادة الأسطول وأشغال البحر " وإلى هذا فإن البحر هناكم ... خصصناكم على الأسطول هنا لكم وجميع أشغال البحر ... فخيرناه إلا لينظم هذه الأشغال مقصود الذود عن أرجائكم ومراد الحماية لدهمائكم حتى يأمن البحر بمعونة الله وتعم الحراسة " (1).

وما يمكن قوله أن هذه الرباطات والمحارس تعبّر عن نضج الدولتين في المجال البحري وحماية المياه الإقليمية التابعة لهما، كما تنبئ عن إستراتيجية بحرية منظمة لاستتباب الأمن ومحاربة القرصنة والإغارة، وتوضح انتشار عملياتي رقابي منسق بين قوات بحرية مشتركة.

4-محاربة القرصنة:

عملت الدولتان على وضع إستراتيجية لمكافحة القرصنة (2)، التي تهدد المصالح التجارية والأمنية للدولتين، خاصة أمام نمو وتطور هذه الحركة في البحر، ولعل حادثة المسطحات تبين لنا مدى خطورة هذه الحركة، حيث قام القراصنة بمرسى تونس بالهجوم على مراكب الحج، حيث نهبوها وأخذوا السفينة والكثير من الأسرى المسلمين، فلحق بهم

---

(1) أحمد عزاوي، رسائل موحدية، ج1، ص 413، 414.

(2) يقصد هنا القرصنة الخاصة أو الحرة أو ما يعبر عنها بـ Πιρατε وهي كلمة مشتقة من الاسم اللاتيني Πιρατα وتعني قرصانا وتعني كذلك الهجوم والاعتداء على السفن في اللغة اليونانية، أما المصادر العربية فتصف هذه الحرفة بلصوص البحر، وهناك من المؤرخين من يرجع لفظ القرصان إلى أصل إيطالي (Χορασαλε)، أنظر: عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص 19، عبد الهادي التازي، موقف المغرب من القرصنة الدولية في العصر الوسيط، سلسلة الدورات: القرصنة والقانون الأممي، الدورة التاسعة، أفريل، الرباط، 1986، ص 51.

الأسطول الموحدي الذي لم يستعمل معهم العنف رغم قدرته على ذلك، فدخل في مفاوضات مع القراصنة لإطلاق سراح الأسرى ونجح في ذلك [1].

وكان لعبد المؤمن رجال بحر متخصصون في قمع القراصنة، حيث كان يستجيب لقوانين التجارة الدولية وضمان السلام والأمن [2].

ووضعية القرصنة كانت تشكل رعبا حقيقيا لسكان السواحل الريفية بسبب التردد المستمر لسفن النصارى الأوروبيين وما لحق ذلك من سلب ونهب وأسر السكان، فكان السكان يعمرون السواحل زمن الشتاء الذي تصعب فيه الملاحة بسبب العوامل الطبيعية وفي فصل الصيف يقصدون الأماكن المرتفعة طلبا للحماية من هجمات القراصنة [3].

5-الاستفادة من الإرث البحري والعمل على تطويره وتجديده:

من الحقائق المؤكدة أن أساطيل المرابطين انتقلت برمتها ومعها أحواضها وذخيرتها وبحارتها إلى الموحدين، كما استفاد المرابطون والموحدون من غنائم السفن من الصقليين والميورقيين والنصارى الأسبان والنورمان وهي موارد لتنمية الأساطيل المرابطية والموحدية [4]، فقد أخذ – مثلا – يوسف بن تاشفين ما تبقى من أسطول الحموديين واستولى المرابطون على التراث البحري للبرغواطيين من سفن ودور صناعة التي كانت تحت إمرة سقوت البرغواطي خاصة طنجة وسبتة وهي أهم مراكز بحرية [5].

---

(1) عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 62.

(2) عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص 19.

(3) عبد الحق باديسي، المقصد الشريف والمنزع الشريف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1993، ص 51، 61، 67، 75.

(4) محمد أحمد المغربي، المرجع السابق، ص 127.

(5) سالم غومة، المرجع السابق، ص 32.

كما تقوّى الأسطول المرابطي والموحدي بالغنائم البحرية الحربية، من ذلك استحواذ الموحدين مثلا بقيادة أبى العباس الصقلي على عشرين قطعة بالإضافة إلى الأسلحة وألف وثمانمائة أسير [1].

فبعد قضاء الموحدين على المرابطين ورثوا ممتلكاتهم وأساطيلهم، " فكان قائد الأسطول به لعهد لمتونة بني ميمون رؤساء جزيرة قادس ومن أيديهم أخذها عبد المؤمن ... وانتهى عدد أساطيلهم إلى المائة من بلاد العدوتين " [2].

ولم يكتفِ الموحدون بهذه الدور القديمة، بل عملوا على تجديدها وتطويرها وإنشاء أخرى جديدة، حيث أنشؤوا المعمورة بحلق الوادي، وإشبيلية وسبتة[3].

إن استغلال واستثمار هذا الإرث البحري ماديا وبشريا من أهم العوامل التي أسست قاعدة بحرية صلبة انطلق منها المرابطين والموحدين في خوض معترك الحرب البحرية، ولم تكتف الدولتان بهذا الإرث بل عملوا على تنظيمه وتجديده وجعله مسايرا لمتطلبات الدولة آنذاك.

6-إستراتيجية التكوين المستمر للأطر البحرية:

يعتبر التدريب البحري في المجال العسكري من أهم العناصر الأساسية لتكوين نخبة بحرية قادرة على حماية الحدود الساحلية من الأخطار الخارجية، ونظرا لموقع وتوسع الدولتين كان التدريب العسكري البحري من أهم الاستراتيجيات التي سخرت لها الدولتان مشروعا ضخما للمحافظة على المياه الإقليمية وإيجاد البدائل في القيادة.

---

(1) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 145.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص 316.

(3) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 214، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 201، عز الدين موسى، المرجع السابق، ص 267.

فما هي مظاهر هذا التكوين في الدولتين ؟

إن أهم مظهر يوضح لنا قمة النضج في الاستراتيجيات البحرية والتكوين في الدولتين هو إنشاء أكاديمية بحرية حربية تعمل على تخريج أطر ذات كفاءة عالية.

فبالنسبة للمرابطين تذكر المصادر وعلى رأسها ابن الخطيب، أن المرابطين كانت لهم بحيرة في مراكش للتدريب، هندسها وقام ببنائها أحمد ملجان الذي اشتغل بالبحيرة وأجرى ماءها، ونستنتج من ذلك أنهم استفادوا من الخبرة الأندلسية في هذا المجال (1).

أما الموحدون فقد اعتنوا عناية بالغة بعنصر التدريب الذي تطور بشكل مذهل في عهد عبد المؤمن بن علي الكومي، الذي أقام في مراكش مركزا للتدريب البحري والتكوين وفنون القتال البحري المختلفة (2)، حيث يقول صاحب الحلل يصف عمليات التدريب: " فيأخذهم يوما بتعلم الركوب ويوما بالرمي بالقوس ويوما بالعوم في بحيرة صنعها خارج بستانه ويوما يأخذهم بأن يجدفوا على قوارب وزوارق صنعها لهم في تلك البحيرة " (3).

إن التمارين على القتال في البحر شملت التجديف وقيادة السفن والوثب على سفن العدو وتكثيف التمارين البدينة التي تتطلبها الخدمة البحرية (4)، وكان أمراء البحر يخصص لهم تدريب خاص في شؤون التجديف واستخدام الأشرعة وقيادة السفن قبل أن يمنح لهم أحقيتهم بمهمة القيادة الفعلية ميدانيا (5).

---

(1) ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الأعلام، ص 264.

(2) توفيق مزاري، النشاط البحري، ج2، ص 387.

(3) مؤلف مجهول، الحلل، ص 114.

(4) عياد المبروك عمار، المرجع السابق، ص 25.

(5) توفيق مزاري، المرجع السابق، ج2، ص 387، مولاي بلحميسي، البحر والعرب في التاريخ والأدب، دار قانة، باتنة، الجزائر، 2008، ص 150.

وزوّد عبد المؤمن بن علي هذه البحيرة بمجموعة من سفن التدريب صغيرة وكبيرة الحجم، وكان يشرف بنفسه على عملية التدريب والمناورات الحربية، كما خصصت الدولة ميزانية معتبرة لهذا الغرض وهو عمل لم يسبق له أحد في الغرب الإسلامي (1)، وكذا ما فعله يعقوب بن عبد المؤمن الذي طور هذا التدريب حيث كان يشرف هو الآخر بنفسه على الاستعراضات البحرية في البحيرة (2).

ثم أن التدريب على ركوب البحر كان يركز على الجانب النفسي لأن الفرد يعيش بين خوفين، خوف يصيبه من العدو وآخر يناله في البحر فيؤدي ذلك إلى اضطراب نفسي وقلق وجزع، لذلك ارتكز التدريب على الشحن العقيدي للفرد الذي يمنح له الطمأنينة والاستقرار، وما مدينة المهدية إلا نموذجا يمكن تقديمه كميدان رئيسي لهذا الشحن حيث كانت ميدانا للمناورات خاصة في العهد الموحدي (3).

نلاحظ أن الموحدين كانوا أكثر من سابقيهم في عمليات التدريب البحري لأنها كانت وفق منهجية وتنظيم مذهل، بينما نجد المرابطين كانوا أكثر بطء في هذا الجانب بسبب طبيعتهم الصحراوية وصعوبة التأقلم إلا أننا نرى في دورهم الثاني المتعلق بالأندلس احتكوا بالأندلسيين وأنشؤوا بحرية قادرة على لعب أدوار دفاعية هامة.

إن هذه الأكاديمية البحرية إن جاز لنا ذلك عملت على تخريج نخبة ذات كفاءة عالية احتكت واقتبست الكثير من خبرات الأندلسيين، والواقع الميداني لهذه النخبة يبين لنا قمة

---

(1) توفيق مزاري، المرجع السابق، ج2، ص 388، محمد حجاج الطويل، المرجع السابق، ص 66.

(2) ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 155، عثمان جريو وآخرون، النظم الإسلامية في المشرق والمغرب والأندلس، منشورات مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، د.ت، ص 180.

(3) محمد مصطفى بهجت، البحر في شعر الأندلس والمغرب في عصري الطوائف والمرابطين، حوليات كلية الآداب، الحولية السابعة، الرسالة الأربعون، جامعة الكويت، 1986، ص 18، محمد أحمد المغربي، المرجع السابق، ص 128.

النجاح وحسن التعلم والتعليم والتنظيم الدقيق، حيث وجدنا جهازا بحريا مرابطيا وموحديا يندهش له إنسان هذا العصر، والذي كان مشكلا على النحو الآتي:

1-الطلبة:

زودتنا الرسائل الموحدية بإشارات عديدة حول مهام هذه الفئة كإعداد الأسطول والسهر على شؤونه، حيث نجد لفظة طلبة الأسطول أكثر تداولا في الرسائل (1).

2-الغزاة:

وهم الجند البحارة ويطلق عليهم النواتية، ومن شروط الاختيار لهذه الفئة نجد البنية الجسدية والعزوبية، لأن مدة الإبحار تطول، نظرا لخطورته والأخطار التي يمكن مصادفتها بشرية أو طبيعية كانت، ويمكن للمتزوج أن يجند في حالة وجود كافل لأبنائه وزوجته، كما كان اختيار الجند النواتية غالبا ما يكون من سكان المدن الساحلية لمعرفتهم بالبحر ومقتضياته، وتنحصر مهمتهم في حماية الأسطول والدفاع عن السواحل (2).

كما توجد تنظيمات مهمة تابعة للجهاز الإداري البحري الخاص بالأسطول كرئيس السفينة، الذي يحتل المرتبة الأولى في هرم التنظيم البحري، ويرجع إليه أمور الإبحار والإرساء والتعبئة والتفريغ، وهو بمثابة مدبر السفينة، ثم نجد وكيل المركب، فهو المسؤول على المركب طيلة مدة السير ويتكفل بإصلاح الأعطاب التي تصيب السفينة، ونحن نعتقد

(1) جاء في الرسالة 29 " وكان طلبة الأسطول المظفر أعزهم الله ... فلما قرب الأسطول المبارك منها تقدم من طلبته – وفقهم الله– " وجاء في الرسالة 14 " ثم تذاكر الطلبة العاملون على سبتة وأعمالها وفقهم الله مع إخوانهم في معنى البحر ومجازه " أنظر: مجموع رسائل موحدية، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، 1941، ص 64، 173، 176، 177.

(2) التادلي ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، الرباط، 1997، ص 279، صباح عويناتي، المرجع السابق، ص 269.

من خلال هذه الوظيفة الاقتصادية المدنية قد استثمرت في القطاع الحربي البحري للاستفادة من خدمات وتجارب وكلاء المراكب.

كما وجدت فئة المجدفون التي تعتمد على الجهد العضلي، حيث كانت في سفينة احتياط من هذه الفئة يعملون بالتناوب خاصة أثناء المسافات الطويلة [1]، بالإضافة إلى وجود وظيفة أمير البحر الذي يقوم برئاسة السفن الحربية كلها ويقوم بالاستطلاع البحري ويرقب حركات العدو ويحدد مكانه.

وكانت كل وحدة من وحدات الأسطول البحري معدة إعدادا تاما من حيث رجالها ومعداتها وذلك وفق نظام دقيق، فلكل سفينة عدد من البحارة الذين يخضعون لكبيرهم الملقب بالرئيس أو الريّس[2].

كان الجهاز التراتبي يخضع إلى ديوان الجيش الذي يختص بالجند النظامي والحرب والعبيد وإحصاء الجند ومعرفة حاجاته المتجددة، ويهتم بتنظيم المشتركين في المعارك والتنسيق بين الكتائب المختلفة [3].

كما أن هذا الجهاز البحري التراتبي جاء نتيجة حسن التعلم والتعليم في المدرسة البحرية المرابطية والموحدية، فكان أكثر تطورا وفاعلية في مهامه والوظائف المنوطة به

---

(1) عبد السلام الجعماطي، حرفيو البحر في تراث الغرب الإسلامي، مجلة التفاهم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العدد 34، السنة التاسعة، خريف 2011، عمان، ص 392، 394، 400، عناوي محمد، النشاط البحري في الأندلس عصر الإمارة الأموية، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 1986-1987، ج2، ص 448، 449.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص 212، فوزية محمد عبد الحميد نوح، المرجع السابق، ص 72، 73.

(3) يحي بن حمزة الوزنة السليماني، أثر الأندلس الحضاري في الإدارة على المغرب في عصري المرابطين والموحدين، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد 27، 2004، ص 138.

فكان بحق جهازا نخبويا بحريا تتوفر فيه جميع مواصفات البحرية المتطورة التي فاقت نظيراتها في البحر الأبيض المتوسط.

إستراتيجية التصنيع في المجال البحري:

لقد قدمت لنا المصادر المكان الذي تركب وتنجز فيه السفن بأسماء عديدة منها من نعتها بدار الصنعة وهذا ما نجده عند أبا عبيد البكري، أما صاحب الحلل الموشية فيطلق عليها دار الصناعة، وأما ابن سعيد في فسماها بدار الإنشاء [1].

إن هذه المصطلحات وخاصة دار الصناعة فإنها تشير إلى نوع من الصناعات المنتشرة في مدن العالم خلال العصور الوسطى، إلا أن الأكثر شيوعا هو دلالتها على المكان الذي تصنع وتنشأ فيه السفن، وتعرف بدار صناعة البحر [2].

ونتيجة للتبادل الثقافي والاحتكاك التجاري الذي شهده العالم المتوسطي في العصور الوسطى تكون عبارة دار الصناعة قد انتقلت إلى أوروبا حيث ظهرت في اللغة الإسبانية باسم DARCINAH وفي الإيطالية DARSENA ثم حرفت الكلمة إلى ARSENAL التي تعني في اللغات الأوروبية مكان إنشاء السفن [3].

ويلح بعض المؤرخين على أن دور الصناعة لا يجب ربطه ببناية خاصة قائمة بذاتها، فقد كان يتم إنشاء السفن دون أن تكون هناك بنايات، أما مصطلح دار الصناعة

---

(1) أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص 82، 83، مجهول المؤلف، الحلل الموشية، ص 154، 155، ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط1، بيروت، 1979، ص 149.

(2) الطاهر قدوري، منطقة الغرب ودورها في تنشيط الملاحة البحرية في العصر الموحدي، مجلة البحث التاريخي، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، العددان 5 و6، الرباط، 2007–2008، ص 125.

(3) المرجع نفسه، ص 125.

فيقول أنه لا يغطي المفهوم المؤسساتي والتقني للتصنيع [1]، ونحن لا نشاطره الرأي لأنه حسب دراستنا للمصادر المرابطية والموحدية وجدنا بأن هناك مؤسسات قائمة بذاتها تقوم بعملية التصنيع والتركيب والإنشاء، فبمجيئ يوسف بن تاشفين إلى منطقة الزقاق بدأت معالم البحرية المرابطية تظهر حيث أنشأ دار صناعة بالقصر الصغير (قصر كتامة) ليستغني عن الاعتماد على بحرية الإشبيليين.

وقد اهتم المرابطون بدور الصناعة ذات الشهرة في صناعة السفن وأهمها ألميرية حيث بلغ عدد الأساطيل في عهد تاشفين بن علي 539 هـ/1144 م عشرة أساطيل[2] وفي حالة الحرب البحرية والاستنفار يأمر الخليفة وصاحب ديوان الجيش بناء الأساطيل والأجفان عندما يكون العدد كبيرا والحرب طويلة، من ذلك أن حركة المنصور إلى الأندلس كانت في ثلاث عشرة قطعة مرفقة بقطعتين محملة بالأثقال إلى رباط الفتح 553هـ/ 1158م[3].

كما أصدر الأمير يوسف المرابطي أوامرا بتجهيز الأسطول وصيانة السفن أثناء حصار بلنسية 495 هـ/1102 م فصنعت له عشرون مركبا، كما أنشأ عبد المؤمن دورا جديدة مثل دار قصر مصمودة التي اختصت بإنشاء المراكب والحراريق ودار صناعة في المعمورة قرب سلا التي صارت مركزا هاما في صناعة السفن، ودار صناعة بموضع الحبالات[4].

---

(1) محمد الشريف، تطور البحرية الإسلامية وتقنياتها، ص 21

(2) محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين، ص 420، أحمد محمود، المرجع السابق، ص 392.

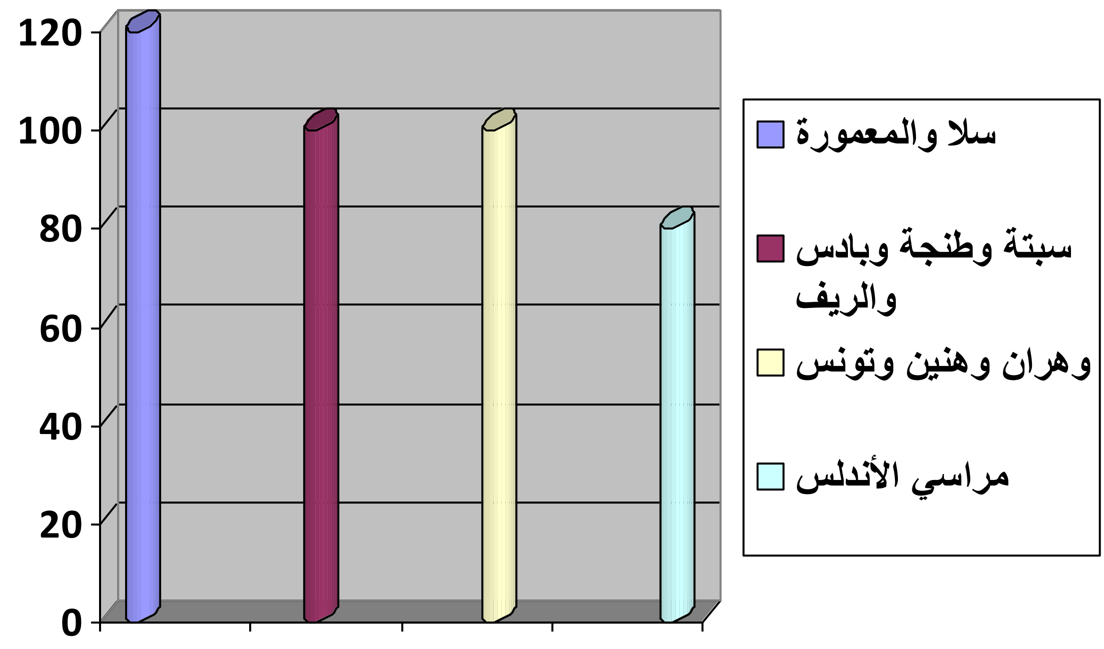
(3) ابن عذارى المراكشي، قسم الموحدين، ص 61، 171، عز الدين موسى، المرجع السابق، ص 268.

(4) محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 72، 73، عياد المبروك عمار، المرجع السابق، ص 26، الحسين بولقطيب، حفريات في تاريخ المغرب الوسيط، ط1، 2004، الرباط، ص 123، محمد زنيبر، المغرب في العصر الوسيط، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط1، 1999، ص 311.

وعند دخول عبد المؤمن المهدية 555 هـ/1160 م وجه عنايته نحو إنشاء وتعمير المراسي ودور الصناعة المنتشرة على طول السواحل المغربية (1).

ويذكر صاحب الاستقصاء أن الأسطول الموحدي بلغ أربعمائة سفينة منها مائة وعشرون سفينة بالمهدية ومائة بسبتة وطنجة والريف ومائة بسواحل إفريقية وثمانون بعدوة الأندلس (2).

ويمكن توضيح أهم دور الصناعة الأكثر تصنيعا للقطع البحرية في عصر المرابطين والموحدين بالأعمدة البيانية الآتية:



أعمدة بيانية توضح دور الصناعة الأكثر إنتاجا للقطع البحرية

ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص 214، زين العابدين الحسيني، الأسطول المغربي في عهد الموحدين، ص 198

---

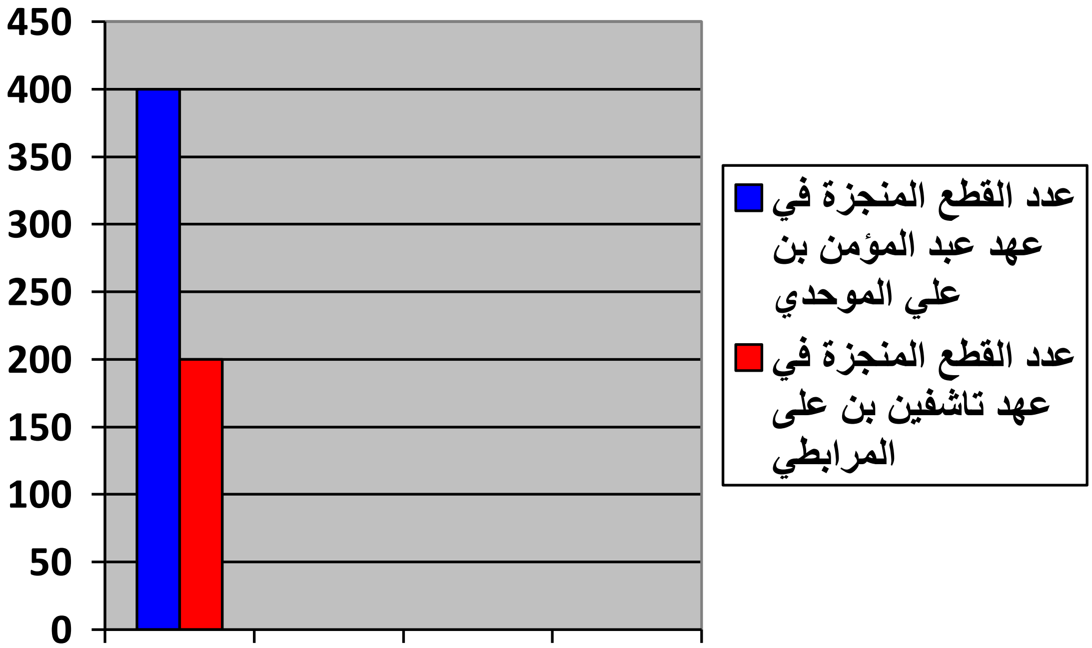
(1) السيد عبد العزيز سالم ومختار العبادي، المرجع السابق، ص 254.

(2) السلاوي، الاستقصاء، ج2، ص 128.

عند استقرائنا للأعمدة البيانية نجد أن معظم القطع البحرية كانت تصنع في سلا والمعمورة وشمال المغرب في حين تأتي مراسي الأندلس في المرتبة الثانية.

إن هذا العدد الضخم للقطع البحرية في العصر المرابطي وخاصة الموحدي جاء من خلال الإرث البحري وسياسة يوسف بن تاشفين وعبد المؤمن بن علي في تأسيس دور جديدة، تلك التي بزغ دورها في العهد الموحدي كسلا والمعمورة التي صارت نماذجا للصناعات البحرية.

ويمكن المقارنة بواسطة المنحنى البياني الآتي حول إنتاج القطع البحرية بين المرابطين والموحدين (في فترة عبد المؤمن الموحدي وفترة تاشفين بن علي المرابطي)



مدرج تكراري يوضح عدد القطع المنجزة في عهدي عبد المؤمن بن علي وتاشفين بن علي.

السلاوي، الاستقصاء، ج2، ص 128، إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، د.ط، الدار البيضاء، 2009، ص 330، زين العابدين الحسني، المرجع السابق، ص 199.

نلاحظ أن الميكانيزمات الجديدة والإستراتيجية المتبعة من طرف عبد المؤمن بن علي أدت إلى انتعاش دور الصناعة، وهذا ما أعطى للأسطول الموحدي مكانة مرموقة من حيث عدد القطع في حوض المتوسط، وهذا يرجع إلى توسع رقعة الدولة وتعدد الأدوار المحلية والخارجية، وكذا ضخامة الجيش الذي يتطلب وسائل أكبر لنقله بحرا وهذا ما يؤكده ابن زرع في أن عيد المؤمن بن علي بعث إلى الأندلس جيشا من عشرة آلاف فارس من أجناد الموحدين نزلوا بالمركز الاستراتيجي بالجزيرة الخضراء، بينما تميزت الفترة المرابطية بعدد من القطع المقبولة والتي بلغت مئتا قطعة وهو رقم جيد بالنظر إلى التكوينات والأصول المرابطية الصحراوية [1]

كما عملت الدولتان في ميدان إستراتيجية التصنيع على توفير وجلب اليد العاملة الماهرة، التي تضم فئات كثيرة كالنشارين والنجارين والحدادين وصانعي العدد البحرية حيث تميزت بالتخصص والمهارة، وكانوا تحت مراقبة دورية من قبل أصحاب السوق وكان يصنعون لوازم السفن كصناعة الحبال والأشرعة والمسامير، وهناك فئة أخرى ساهمت في عمليات التفريغ والشحن للآلات والمعدات في الأسطول وتسمى بحمالي المراسي[2].

واليد العاملة تقوم بصناعة السفن بمراحل متنظمة، فهناك فريق يعمل في بناء الهيكل ثم يقدم خشبا عاريا فيقوم الفريق الثاني بتركيب الأجزاء المتحركة كالدقل والفرمن والدستور والدقة والمرساة، ثم تجهز هذه الأجزاء بعدتها كالأشرعة والحبال والمجاديف [1].

---

(1) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 188، زين العابدين الحسني، المرجع السابق، ص 203.

(2) عبد السلام الجعماطي، دراسات في الملاحة البحرية وعلوم البحار، ص 128، 131، 132، أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1979، ص 90.

(1) إبراهيم خوري، أحمد بن ماجد منظر الملاحة العربية في بحر الهند في القرن 9 هـ/15م، الندوة العلمية لإحياء تراث ابن ماجد، من 9–12 يناير كانون الثاني، 1989، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سوريا، 1991، ج1، ص 32.

ومما يثبت مهارة اليد العاملة المرابطية والموحدية استثمارها في الجيش المملوكي حتى صارت تقليدا متبعا منذ احتدام الصراع الصليبي، فساهموا مساهمة فعالة في الدفاع عن الهوية الإسلامية المرابطية على سواحل مصر والشام، وما استنجاد صلاح الدين الأيوبي بالبحرية الموحدية عام 586هـ/ 1190م إلا دليلا على علو كعب المغاربة في الصناعة البحرية [2].

هذه بعض الاستراتيجيات التي سطرتها الدولتين في برنامجهما البحري الحربي لتطوير الملاحة والدفاع عن المياه الإقليمية، فكانت استراتيجيات تنم عن إرادة وبعد وتحمل مسؤولية دفاعية مكنتها هذه الاستراتيجيات من إيجاد أقدام لهما في حوض البحر المتوسط وصاروا مهابين الجانب فانتقلت الدولتان من مجرد راكبي إبل إلى قيادة بحرية فعالة.

المبحث الثاني: السفن والتسليح (النوع والوظيفة)

تعتبر السفن والتسليح من أهم القضايا التي اهتمت بها المؤسسة العسكرية البحرية للدولتين، وأعطتهما أهمية كبيرة وجعلتهما أكثر تكيفا مع المستجدات ومعطيات الراهن آنذاك خاصة في شطره العسكري، حيث قدمت لنا المصادر عدة أنواع من السفن وبعض الأسلحة ووظائفها في العمليات البحرية[1]، ويمكن أن نوجزها فيما يلي:

(2) أنظر: نص الرسالة التي بعث بها صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة يعقوب المنصور الموحدي كاملة عند أبو شامة شهاب الدين، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1997، ج4، ص 196، ابن خلدون، المقدمة، ص 316، السلاوي الناصري، الاستقصاء، ج2، ص 162، ابتسام مرعي خلف الله، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، 524-936هـ/1120-1529، دار المعارف، 1985، القاهرة، ص 223.

(1) أنظر: ابن خلدون، المقدمة، ص 312، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 144، 145، ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 6، 7، 10، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 294، ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص 19، 116.

1-السفن:

-**المسطحات:** وهي نوع من المراكب الحربية الضخمة تتميز بكبر الحجم وتأتي خلف المراكب الصغيرة خوفا من أن تغرق هذه المراكب حيث تسهل عمليات الإنقاذ، وتقدم المساعدة والدعم اللوجستيكي، وتسمى بالإسبانية MISTICO وبالبرتغالية MESTECH، وكان المسلمون يستولون عليها من خلال حروبهم مع النصارى خاصة برجلونة وجنوة اللتان تمتازان بإتقان صنع آلات السفن والدراية بالحيل الحربية [2].

-**الأغربة:** من أهم المراكب الحربية شديدة البأس تعتمد على المجاديف والأشرعة، وهو مركب متوسطي أكثر مما هو عربي أوروبي، فتسمايته تنتقل من لغة إلى أخرى، فنجده في اللغة اليونانية KARABOS وباللاتينية GUARAPI وبالإسبانية GARAPAS[3]، وربما يكون هذا الاسم مأخوذا من اسم الغراب لأنه مقدمته على شكله، ذلك أن دور الصناعة كانوا يبنون سفنا على أشكال الغربان والحيتان [1]، ومن خصائص هذا النوع من السفن أنه يحتوي على جسور من الأخشاب حيث يتم رميها على مركب العدو ويمر على ظهرها الجند فيقاتلون بالأساليب البرية، كما ينقل الرماة حيث تقدر طاقة استيعابه بواحد وعشرين رامٍ، وتعتبر من أهم الأنواع في نجاح عمليات الحصار البحري [2].

-**الطريدة:** سفن كبيرة تستعمل في بعض الأحيان في عمليات النقل خاصة الأخشاب، وهذا ما نلاحظه في جزيرة ميورقة التي كانت تجلب مادة الأخشاب من مدينة يابسة عن

---

(2) أبو المطرف بن عميرة المخزومي، تاريخ ميورقة، تحقيق محمد بن معمر، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، 2006، الجزائر، ص 64، عبد السلام الجعماطي، دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار في الغرب الإسلامي، ص 71، عياد المبروك الأسطي، المرجع السابق، ص 43، سالم غومة، المرجع السابق، ص 39، 101، عبد الفتاح عبادة، سفن الأسطول الإسلامي، مطبعة الهلال، مصر، د.ط، 1913، ص 12.

(3) عبد السلام الجعماطي، دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار في الغرب الإسلامي، ص 61، 62.

(1) الشاذلي النيفر، المرجع السابق، ص 203، عبد الفتاح عبادة، المرجع السابق، ص 23.

(2) ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الشيال، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1994، ص 2، موسى هصام، المرجع السابق، ص 56.

طريق هذا النوع من السفن [3]، كما يلعب هذا النوع من القطع البحرية دور الاستطلاع والكشف والبحث خاصة عندما ينعدم الاتصال بين القيادات البحرية فيتم إرسال قطع بحرية لاقتفاء الأثر وكانت تسمى جاسوس وهي سفن صغيرة خفيفة الحركة تسير في الليل تستطلع أخبار العدو [4]، وهي مركب صغير وسريع يشبه البرميل الهائل وهي مفتوحة المواخر بأبوب تفتح وتغلق وتستعمل غالبا في حمل الخيول للحرب وسعتها أربعون فارسا [5].

-الشواني: من أكبر السفن الحربية ومن أهم القطع لأنها تحمل البحارة وكانت مزودة بقلاع وأبراج للدفاع والهجوم، وكان هذا النوع يحمل كذلك المخزون الغذائي من قمح وصهاريج مياه حلوة لمقاومة الطوارئ كطول الإبحار والحصار وهيكلها يشبه الحوت وتمتاز بالتسطح وتجدف بمائة وأربعين مجدافا [1]، ويقابلها بالفرنسية GALERE وبالإيطالية GALERA ومتوسط ما يحمله الشيني الواحد مائة وخمسون رجلا [2].

-الشلنديات: أصلها لاتيني CHELANDIUM عبارة عن مركب مسقف مقسم إلى طابقين، الأول فيه المقاتلة وهو ظهرها والطابق الثاني به جدافون وتسمى في الأندلس بالأجفان، وكانت مجهزة بطريقة تسمح لعدد من المقاتلين أن يتحركوا في مساحة كافية تحسبا لأي طارئ [3].

---

(3) ابن عميرة المخزومي، المرجع السابق، ص 33.

(4) محمد الشاذلي النيفر، المرجع السابق، ص 196.

(5) عبد الفتاح عبادة، المرجع السابق، ص 6.

(1) المقري، المصدر السابق، ج5، ص 41، عياد المبروك الأسطي، المرجع السابق، ص 38، فوزية محمد عبد الحميد نوح، المرجع السابق، ص 77.

(2) محمد الشاذلي النيفر، المرجع السابق، ص 201.

(3) علي محمود فهمي، التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن 1 –4 هـ/7–10م، ترجمة قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 1997، ص 135، محمد الشاذلي النيفر، المرجع السابق، ص 201.

-الحرابي: تشبه في حجمها الزورق ومهمته رصد تحركات العدو وطلائعه، حيث يعتبر وسيلة كاشفة تتقدم الأسطول وتقدم معلومات له لتفادي ضربات العدو، وهي نوع من الشواني أصغر حجما منها وتمتاز بالخفة والسرعة [4].

-الأجفان: مفرده جفن، كبيرة الحجم تشبه القصعة، يطلق عليها أجفان غزوية في العصر المرابطي والموحدي، وكانت من محصلات المعارك البحرية مع النصارى [5].

-الحراريق: مهمتها حمل الآلات القتالية الثقيلة من المجانيق والنفاطات وترمي بالنفط المشتعل على العدو، وهي من الأسلحة الرادعة تقوم بعملية القذف قبل

الاحتكاك في المعركة [1].

2- الأسلحة:

-الكلاليب: نوع من الخطاطيف الحديدية تستخدم عند الاقتراب من سفن العدو فيتم جذبها برمي عليها ألواحا خشبية وذلك بإقامة جسر من الخشب أو استعمال سلالم من حبال ينتقل عليها الجند للقتال، ويبطل مفعول هذه الكلاليب الفأس الثقيلة التي تستعمل لبتر هذه الحبال مصنوعة من الفولاذ [2].

---

(4) موسى هصام، المرجع السابق، ص 54.

(5) السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج2، ص 89.

(1) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ص 330، أحمد عزاوي، رسائل موحدية، ج1، ص 86.

(2) بدر الدين شعباتي، الأسلحة في عهد الدولة الفاطمية من خلال النصوص – من قضايا التاريخ الفاطمي ودوره المغربي– تنسيق بوبة مجاني، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2007، ص 188، محمد العنابي، تطور علوم البحار ودورها في النمو الحضاري، ملتقى علي النوري للعلوم الصحية، منشورات الحياة الثقافية، وزارة الشؤون الثقافية، صفاقص، 18-21 نوفمبر 1976، تونس، ص 29.

-اللجام أو الفأس: كتلة طويلة من الحديد مدببة القدم تشبه سنان الروح تدخل في خشبة كالقناة بارزة في مقدمة المركب يقال لها الأسطاج فيطعنون به جانب المركب بقوة فيحدثون فيه ثقبا تسهل عملية غرقه (3).

-القسي: وهي عدة أنواع كقسي الزيار المصنوعة من خشب السنديان وهي من أحسن الأنواع رميا، وقسي لرمي قوارير النفط وتصنع من خشب الصنوبر وكذا قوس العقارة، وقد عرف بهذا الاسم لأن الرامي كان يقيسه بوضع قدمه على طرفيه، وهو من أكثر الأنواع جدية وفائدة في معارك البحر، وتنصب عادة على الأبراج (4).

-الباسليقات: هي عبارة عن سلاسل تنتهي عند رؤوسها برمانة من الحديد تستخدم للمواجهة على سطح السفن، فلا يلقي الواحد منهم هذه السلاسل إلا أهلكته(1).

-العرادات: هي آلات لقذف الأحجار الضخمة والسهام وقدور النفط والزيت المغلى على المراكب البحرية (2).

-التوابيت: هي عبارة عن صناديق مفتوحة من أعلاها يصعد إليها قبل الاحتكاك مع العدو ومزودين بحجارة صغيرة أو قوارير من النفط للاشتعال ويرمى بها على السفن لحرقها أو جرار النورة وهو مسحوق ناعم من مزيج الكلس والجير يرمون بها المراكب فتعمي الرجال بغبارها ويرمون عليها الحيات والعقارب أو قدور الصابون اللين لإحداث انزلاقات الجند داخل المركب وعدم التحكم في وضعيتهم القتالية (3).

---

(3) الحسن بن عبد الله العباسي، المصدر السابق، ص 216، محمد العنابي، المرجع السابق، ص 30.

(4) عياد المبروك الأسطي، المرجع السابق، ص 48، 50.

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 180، وفيق بركات، فن الحرب البحرية، ص 137، 138، بدر الدين شعباني، المرجع السابق، ص 188.

(2) وفيق بركات، المرجع السابق، ص 141.

(3) العباسي الحسن بن عبد الله، المصدر السابق، ص 371، 372، عياد المبروك الأسطي، المرجع السابق، ص 50.

-**النفط البحري:** نفط خاص بإحراق السفن ويتكون من قطران وكبريت ومواد أخرى مختلطة شديدة الالتهاب ولا ينطفئ حتى في الماء ويطلق من آلة نحاسية أو حديدة تعرف بالنفاطة، ولمقاومة هذا النفط البحري بواسطة الجلود المبللة بالخل والماء والنطرون وتعلق حول المركب لدفع أذى النفط (4).

بالإضافة إلى أسلحة أخرى كاللتوت والدبابيس والمستوفيات وهي عمد من الحديد لها رؤوس مستطيلة الشكل مضرسة ووظيفتها تهشيم الخوذات المعدنية وكذا السيوف والدروع والزرديات والجواشن المبطنة والتراس التي تقي المقاتل من السهام (5).

وما نخلص إليه أن الأسلحة وإن اختلفت أنواعها فإنها تستخدم بشكل مرحلي وتنظيمي في المعركة البحرية، إذ نجد لكل سلاح وظيفة معينة ووقت معين في الصراع والقتال البحري، ولم تهمل الدولتان قضية التسليح بل أعطتها بعدا كبيرا لمسايرة المتغيرات العسكرية البحرية في تلك الفترة، فإلى جانب وجود مصانع لهذه الأسلحة كان المرابطون والموحدون يتحصلون على البعض منها عن طريق المواجهات البحرية مع الأعداء، فتكون لها احتياط من الأسلحة مساير لما هو موجود عند الدول آنذاك.

المبحث الثالث: نماذج من التكتيك البحري الميداني في عصر المرابطين والموحدين.

إن موضوع القتال في البحر من الأمور المعقدة والصعبة، وهذا بسبب ضيق المجال مما يجعل السهام والأحجار لا تخطئ في أهدافها، يضاف إلى ذلك اختلاف الرياح والأنواء

(4) وفيق بركات، المرجع السابق، ص 139، 143.

(5) مرتضى الطرسوسي، المصدر السابق، ص 16، وفيق بركات المرجع السابق، ص 137.

واستحالة الهروب أو الفرار من البحر لأنه ليس مجالا لذلك فمن هرب غرق ومات [1]، ولذا وجب إتباع الاستراتيجيات والحيل الآتية:

كالاحتراس من هجوم العدو ليلا، فوجب ألا يتخذ في المراكب نارا وألا يترك فيه ديكا، ووضع ستائر للمراكب باللون الأزرق وهو لون البحر وهذه الطريقة تساعده على التستر والاختفاء، الشيء الذي يمكنه فيما بعد من تطبيق أسلوب المباغتة على العدو ووجوب تنظيم سير السفن في البحر واحترام الأولويات والوظائف والنوعية حيث تكون وضعية المسطحات خلف المراكب الصغيرة حتى تقدم لها المساعدة في حالة الغرق والطوارئ، وكذا استغلال وتوظيف الرياح في قتال البحر [2].

وعند التهيؤ لغزو محتمل تتجمع السفن في مرسى معيّن وتجهز بالعتاد والعساكر عن طريق خدام المركب وحماليه[1].

وكانت تعبئة الأساطيل عبارة عن قلب وجناحين ومقدمة وساقة تشبه الجيش البري وإما تصطف على هيئة نصف دائرة، حتى إذا حاول العدو الاقتراب منها أحاطت به وطوقته [2]، وكانت المعارك البحرية تجرى بغزو العدو في مياهه للتحرش به وحصاره بحرا فتبدأ عمليات الاشتباك حيث تواجه السفن بعضها بعضا عن طريق الأسهم والنار المنجنيقية ثم تقترب السفن وتحتك ببعضها البعض وتبدأ عمليات الطعن وقذف المخاطيف وتثبيتها ويباشر القتال البري على ظهر السفينة بالسلاح الفردي كالسيف والرمح [3]، وكذا التنسيق

---

(1) الحسن بن عبد الله العباسي، آثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق عبد الرحمان عميرة، دار الجيل، ط1، بيروت، 1989، ص 370، ابن ماجد، كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، ص 30.

(2) الحسن بن عبد الله العباسي، المصدر السابق، ص 372، 373.

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص 254، عبد السلام الجعماطي، حرفيو البحر في تراث الغرب الإسلامي، ص 377.

(2) وفيق بركات، المرجع السابق، ص 92.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص 58.

العملياتي بين مختلف القيادات، ويستعمل في هذه المهمة حمام الزاجل المدرب كما كانت الإشارات التي يبعثها قائد مركب الأسطول دليلا موجها لهم [4].

هذه بعض الصور التي تبين فنون واستراتيجيات القتال البحري التي كانت شائعة في العصور الإسلامية الوسطى، ونعتقد أن المرابطين والموحدين قد مارسوا هذه التكتيكات البحرية خاصة الموحدون الذين كانوا أسياد البحر الأبيض المتوسط وما استنجاد صلاح الدين الأيوبي بهم إلا دليلا على شهرة وقوة البحرية الموحدية، إذ لا يمكن لدولتين بهذا الحجم والترسانة العسكرية البحرية أن يكونوا بعيدين عن التكتيكات، ولكن رغم شح المصادر المرابطية والموحدية في هذا المجال إلا أنها قدمت لنا إشارات في ثناياها يمكن الاستئناس بها لتقديم بعض هذه الاستراتيجيات في الميدان البحري، والتي يمكن توضيحها في النقاط الآتية:

-تخصيص زوارق مهمتها إنقاذ الغرقى كانت تصاحب الأسطول بها أمهر السباحين [1]، وهؤلاء الغطاسون كانوا يرافقون المراكب، فلكل مركب أربعة غطاسين ليس لهم شغل إلا إذا زاد الماء في المركب حيث يتدهنون الشيرج ويسدون مناخرهم بالشمع وينزلون في البحر، ولكل واحد منهم مخطافان وبينهما حبل رقيق فيطرح المخطاف الأول في خشب المركب فوق الماء ويغطس بالثاني وينتقل به تحت الماء ويتحسس بأذنه، فبينما سمع خرير الماء سده بالشمع [2]، وكانت فئة من الغطاسين لها مهمة خاصة أثناء المعارك حيث يغوصون

---

(4) المبروك عياد الأسطي، المرجع السابق، ص 297.

(1) عبد السلام الجعماطي، النقل والمواصلات في عصر الخلافة والطوائف، ص 496، الطرطوشي، سراج الملوك، ص 143.

(2) محمد بن منكلي، الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، ص 241، 245.

في الماء ويحملون معهم آلة حديدية يخرقون بها سفن العدو دون أن يشعروا بهم، خاصة أمام انشغال المقاتلين فوق ظهر السفينة بالقتال [3].

ونحن نعتقد أن هذه الفئة قد وجدت في عصر المرابطين وخاصة الفترة الموحدية ذلك أن نشاط الغطاسين وحسن تعلمهم في البحيرة التي أنشأها عبد المؤمن بن علي قد أخرجت نخبة من الغطاسين أوكلت لها مهمات الإنقاذ.

-وجود تنسيق ملفت للإعجاب بين الرتب والقيادات عن طريق الكثير من الوسائل أهمها الرسائل التي استخدمت كأداة للتواصل بغرض إيصال الأخبار والتعرف على الأحوال وتلبية دعوات الاستنجاد أو تقديم الدعم اللازم من مؤونة أو جند أو عتاد [1]، وقد لعب ديوان الكتابة دورا هاما في هذا التنسيق وإحداث جسر من المراسلات بين أمير المسلمين كونه القائد الأعلى للجيش وبين القيادة، أضف إلى ذلك أن البحارة كانوا يصطحبون معهم حمام الزاجل مدرب يتخذ كأداة لإيصال الأخبار والتنسيق [2].

-الأعلام والرايات وألوانها مثلت قمة التنظيم والتنسيق بين الوحدات البحرية ذلك أن أعلام سفينة قائد الأسطول الأعلى يكون بلون مغاير، أما دونها فهي ذات ألوان مختلفة، حيث تقوم هذه الأعلام بنقل الإشارات والتعليمات الحربية، فالأحمر والأخضر والأزرق إشارات متعارف عليها عند القيادة وهي عبارات على شفرات من خلالها يتم التعامل مع أي

---

(3) خليل إبراهيم السامرائي، الأوضاع السياسية للعالم الإسلامي من خلال رحلة ابن بطوطة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص 75، أبو محمد عبد الله التيجاني، رحلة التيجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبا–تونس، 1981، ص 349.

(1) محمد البركة، الدولة المرابطية – مساهمة في دراسة الكتابة الديوانية–، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، 2001–2002، القسم الأول، ص 48.

(2) محمد البركة، المرجع السابق، ص 49.

طارئ، خاصة عندما تكون الحرب مصحوبة بهدير البحر وتلاطم المجاديف وتصادم السفن والصرخات أين يتعذر إيصال التعليمات عن طريق الكلمة (3).

-تقديم مساعدات عسكرية مرابطية للدولة الزيرية بسبب التهديد النورماني لإفريقية وهذا يدل على كفاية وقوة الدولة عسكريا وقدرتها على المحاربة على جبهتين حيث استنجد الأمير الزيري علي بن يحي بالأمير المرابطي علي بن يوسف وكذا التنسيق معه في الاستفادة من الخبرات قصد إنشاء أسطول جديد للهجوم على صقلية كوسيلة للدفاع عن دولته، فاستجاب الأسطول المرابطي سنة 516 هـ/1122 م بمهاجمة مدينة نقوطرة NICASTRA بمقاطعة قلورية جنوب إيطاليا وهذا نوع من إستراتيجية التحالفات (4).

-جعل الجزيرة الخضراء قاعدة عسكرية إستراتيجية لوجيستيكية، فاختيرت بحكم موقعها البحري الهام محطة إستراتيجية لنزول المحاربين المرابطين والموحدين وهمزة وصل بين الأندلس والمغرب، حيث اتخذها يوسف بن تاشفين منطلقا لحربه وحصنا يأويه عند الضرورة، فشحنها بالأطعمة والأسلحة والجيش، وعند مجيء الموحدين صارت مركزا ثانويا خاصة بعد إنشائهم واستخدامهم لمرفأ جبل طارق (1)، ولعل إنشاء مدينة ألميرية النموذج الثالث بحكم موقعها البحري الهام، حيث اتخذت كمركز دفاعي أول وغرناطة كمركز دفاعي ثانٍ لها، وسخرت لها جميع الإمكانات (2).

---

(3) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 111، 116، ياسين عبد الناصر، الأعلام البحرية، تاريخها ومهمها وتصاويرها في المخطوطات والفنون الإسلامية، القاهرة، ط1، 2008، ص 31، 42.

(4) عبد الإله بن مليح، إفريقية الزيرية علاقاتها السياسية والاقتصادية بدول جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط والأندلس 361-543 هـ/972-1148م، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1986-1987، فاس، ص 272، محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004، ص 109.

(1) محمد القاضي، الجزيرة الخضراء ثغر الأندلس الباسم، مجلة التاريخ العربي، عدد 23، 2006، الرباط، ص 33.

(2) عبد الرحمان علي حجي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، ط5، دمشق، 1997، ص 408.

-التنسيق بين القوات البرية والبحرية، ويمكن أن نقدم عدة نماذج في هذا المجال كالتنسيق في مهاجمة مدينة لشبونة 580هـ/1184م برا والحصار يكون بحرا عند مصب نهر التاجو، وكذا التنسيق في مواجهة الموحدين ضد البرتغال في مدينة شلب SILUES وفي الوقت نفسه حدث هجوما بريا بقيادة أبو عبد الله بن وانو الدين على مدينة يابرة EVORA ونجح في ذلك [3].

وأثناء مواجهة الموحدين لحركة بني غانية عمدوا إلى تطبيق سياسة التنسيق بين القوات البرية والبحرية، حيث تزحف القوات البرية نحو محاصرة مدينة ميورقة وفي الوقت نفسه يتم اقتحام ميناء بني غانية من طرف الأسطول الموحدي فيقطعون بذلك عمليات الاتصال ووصول النجدة لبني غانية [4] وكذا التنسيق بين القوات الموحدية البرية والبحرية في مهاجمة بجاية، حيث تم الاتفاق بين قادة الأسطول والجيش في تلمسان على ضرورة مهاجمة بجاية من البر والبحر لسد طريق الهرب في وجه بني غانية [1].

وهناك تنسيقا آخرا لحصار مدينة بلنسية 494هـ/1099م حيث أرسل الأمير يوسف المرابطي حملة برية ضخمة يسانده في ذلك أسطولا حربيا بقيادة الأمير مزدلي حيث حوصرت المدينة برا وبحرا ونجحوا في ذلك سنة 495 هـ/1101م[2].

وكذا وجود تنسيق بري وبحري موحدي في فتح مدينة أركش 586هـ/ 1190م[3] فشكّل الاتحاد والتعاون بين القيادة البحرية صورة رائعة في التنسيق والتنظيم والتفاهم والتحرك وتوزيع المهام[4].

---

(3) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، البحرية في المغرب والاندلس، ص 268، 269.

(4) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 214، علي صدام نصر الله، عوامل استقلال بني غانية في الجزائر الشرقية عن سلطة الموحدين في بلاد الأندلس، مجلة آداب البصرة، العدد 47، جامعة البصرة، 2008، العراق، ص 180.

(1) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 176.

(2) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 119، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 42.

(3) حصن بالأندلس يقع على واد لكه وهو قديم الإنشاء والتعمير يشتهر بالزيتون، الحميري، المصدر السابق، ص 14.

كما نلاحظ تنسيقا آخرا في عهد أبو يوسف يعقوب الذي قاد سنة 587 هـ حربا جهادية ضد مملكة البرتغال، حيث شاركت القوات البحرية بنقل المعدات وآلات الحصار ثم التعاون مع القوات البرية في الهجوم على السواحل البرتغالية وانتهت باسترجاع مدينة شليس والاستيلاء على القاعدة البحرية قصر أبي دانس وهذا بفضل العمليات المشتركة للقوات البرية والبحرية [5].

-تقديم الدعم اللوجستيكي ويظهر ذلك من خلال عملية إنقاذ سبتة من الاحتلال النورماندي سنة 538 هـ/1143م، حيث هاجم النورمان المدينة بمائة وخمسين قطعة محاولين اقتحامها، فقدم لهم الأسطول المرابطي بقيادة أمير البحر ابن ميمون دعما لوجستيكيا أدى إلى إبعاد الخطر النورماني عن المدينة [1]، كما قدم المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية دعما لوجستيكيا لقوات يوسف بن تاشفين لعبوره الأندلس في معركة الزلاقة، حيث زوده بسفينة ضخمة " وكان من الاتفاق العجيب أن أنشأ سفينة ضاهى بها مصانع الملوك القاهرين بعد العهد بمثلها شدة أسر وسعة بطن وظهر كأنما بناها على الماء صرحا ممردا وأخذا بها على الريح ميثاقا مؤكدا " [2].

كما قدمت القوات الموحدية دعما لوجستيكيا في نقل المهاجرين الأندلسيين من بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة إثر الاعتداءات والهجمات البرتغالية والإسبانية على غربي الأندلس، حيث أصدر الخليفة الرشيد الظهير الموحدي 21 شعبان 637هـ/ 18 مارس 1240م القاضي بإسكان المهاجرين في مدينة رباط الفتح، حتى أن بعضهم حملوا موتاهم لدفنهم منها

---

(4) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 205.

(5) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 177، وفيق بركات، المرجع السابق، ص 115،.

(1) جعفر بن أحمد الناصري، سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية، تحقيق أحمد بن جعفر الناصري، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 2006، ج4، ص 168.

(2) مجهول مؤلف، مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2005، ص 149، توفيق مزاري، المرجع السابق، ص 63.

مائتا تابوت [3]، كما قدمت القوات الموحدية دعما لوجستيكيا إلى جزيرة ميورقة التي حاصرها النصارى 18 شوال 626هـ/ 10 سبتمبر 1229م، فوجه إليها أسطولا بقيادة أمير البحر ابن تفرطست، فلما أحس النصارى بقدومه فروا طالبين النجدة مثقلين بالغنائم والسبي، وقد ساهمت الظروف المناخية في هلاكهم حيث تم أسر أربع سفن ذات نوعية [4].

-جعل جزر البليار في العهد الموحدي خط دفاع أساسي عن شرق الأندلس وسدا منيعا في وجه الأساطيل الصليبية، حيث أوكلت هذه المهمة إلى أميرها مبشر بن سلمان ناصر الدولة 486-509هـ /1093-1115 م الذي نسق مع السلطة المرابطية في إستراتيجية الدفاع [1].

-جعل المحيط الأطلسي قاعدة إستراتيجية حربية، فصارت هذه المنطقة من بين الاهتمامات الموحدية في مشروعها العسكري الاستراتيجي، ويوضح هذا التطور التكتيك الموحدي المتمثل في الاستعمال المنظم للأسطول لدعم الحملات الكبرى البرية أما على الساحل الأطلسي فقد أدى صعود القوتين الإسلامية والمسيحية إلى حرب قصيرة ولكنها طاحنة، حيث كثفت عمليات الحصون في المنطقة لتسهيل حراسة البحر وهذه إحدى المؤشرات التي تدل على نضج الموحدين في ميدان الملاحة العسكرية [2].

-اتباع نظام الاستطلاع والتجسس البحري، ففي سنة 663 هـ/ 1264م بعث الفقيه أبو القاسم العزفي في أسطوله إلى مدينة أصيلة فهدم أسوارها خوفا من اختلال الأسبان لها، ثم

(3) عبد الكريم كريم، رباط الفتح، مجلة التاريخ العربي، العدد 20، ص 31.

(4) جعفر بن أحمد الناصري، المصدر السابق، ص 167، المقري، المصدر السابق، ج4، ص 470.

(1) فوزية أحمد عبد الحميد نوح، المرجع السابق، ص 113، توفيق المزاري، المرجع السابق، ج1، ص 78.

(2) محمد الشريف، المحيط الأطلسي الإسلامي من الفتح العربي إلى الفترة الموحدية لكريستوف بيكار، مجلة المناهل، وزارة الثقافة المغربية، عدد 68، السنة 26، يوليوز 2003، الرباط، ص 286، 287، 290،

Μεσ λατριε: Ρελατιον ετ χομμερχε δε λэΑφριθυε σεπτεντριοναλε αυ Μαγηρεβ αϖεχ λ εσ ρελατιονσ χηιτιεννεσ αυ μοψεν αγε, Παρισ, 1986, Π 180.

احتل طنجة ومن هذا الموقع الاستراتيجي أخذ يبعث سفنه في أنحاء مضيق طارق للتجسس على تحركات الأساطيل الإسبانية المعادية [3].

-إستراتيجية المراوغة والتماطل لإنهاك قوة الخصم البحرية والتي تؤدي إلى نفاد ذخيرته من رماح وحجارة وسهام [4].

-الدعم اللوجستيكي التقني، هناك سفن مرابطية وموحدية تختار لتخزين مواد احتياطية للسفن كآلات وأخشاب ونماذج من الألواح الخشبية حتى إذا ما تلف شيء منها وهم في عرض البحر وجد ما يخلفه منها [1]، وهناك فئة تقوم بهذا العمل وهذا لتفادي الأعطاب التي تحدث في المعركة والسير وتسمى قطع غيار للسفن عندنا حاليا، ولعل هذه المهمة يشرف عليها وكيل المركب الذي يتولى الاضطلاع بأعمال الصيانة وإصلاح الأعطاب التي تلحق بالسفينة [2].

-إستراتيجية التموين الغذائي للبحارة في الأسطول، حيث كان رجال الأسطول يحملون معهم الضروريات اللازمة وأهمها الغذاء، فتتخصص سفن لنقل ذلك وهي سفن الشواني التي تحتوي على أجزاء لتخزين القمح وفيها صهاريج مخصصة لتخزين الماء العذب، وهي من بين الضروريات للمقاتل أمام المسافات الطويلة التي يقطعها الأسطول وطول المعركة، ومن أهم المواد الغذائية نجد الخبز ويؤكد على ذلك صاحب الشهب اللامعة، الذي يقول فيه:" أول

(3) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج4، ص 423.

(4) وفيق بركات، المرجع السابق، ص 50.

(1) ابن ماجد، المصدر السابق، ص 29.

(2) عبد السلام الجعماطي، النقل والمواصلات بالأندلس خلال عصري الخلافة والطوائف، ص 491.

ما تحمله معك خبزا ثم خبزا ثم خبزا " [3] بينما الروم كانوا يحملون معهم الكعك والزيت والخمر والجبن[4].

إن هذا التموين لهذه الأعداد الكبيرة من الجيش يدل على كفاءة عالية في تنظيم الإمداد والتموين البحري في مجرى العمليات البحرية، ويعبّر على نضج وفعالية الاستراتيجيات التي طبقتها المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين.

إن هذه الصور والنماذج التكتيكية البحرية التي طبقتها البحرية المرابطية والموحدية من أهم الاستراتيجيات التي تعكس لنا حقيقة مدى التنسيق والتعاون والتنظيم في المؤسسة العسكرية في شطرها البحري والبري، فقد بينت لنا هذه النماذج براعة ومهارة المرابطين والموحدين في استخدام فنون الحرب البحرية بل أنهم فاقوا الدول المجاورة لهم في هذا المجال، فأحدثوا نقلة نوعية في المجال العسكري البحري يجعل القارئ مندهشا بها.

(3) ابن رضوان، الشهب اللامعة، ص 405، وفيق بركات، المرجع السابق، ص 185، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 189.

(4) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 112.

الفصل الخامس أساليب الصراع المذهبي والعقدي

المبحث الأول: الصراع المذهبي المرابطي الموحدي :

مما لا شك فيه أن الصراع المذهبي أشد وأقوى من الحرب العسكرية، فلكل أدواته ووسائله، فالمذهبية تعتمد على أساليب علمية معرفية جدالية، وهو نوع من الصراع البارد بين مشاريع فكرية مختلفة في المضمون والرؤى والأهداف وقد أغفل الدارسون هذا النوع من الصراع وأدواته في العصر الوسيط [1] لذلك سنوضح ونركز دراستنا عليه ونبين إستراتيجية الدولتين المتناقضتين مذهبيا في ذلك، فما هي الوسائل والأدوات التكتيكية لكل طرف في المواجهة؟

من خلال استقرائنا للأحداث وحركات المواجهة والمرجعيات الدينية والبحوث حول الصراعات المذهبية تبين لنا أن الصراع المذهبي بين المرابطين والموحدين استعملت فيه الوسائل الآتية:

ا- **الدعاية:** كان المرابطون يهدفون من هذه الدعاية إلى كسب الشرعية في قيام دولتهم، حيث لجأ يوسف بن تاشفين إلى إرسال بعثات إلى الحرمين الشريفين لإشهار أمر الملثمين في موسم الحج وإلى إعلان ولائه للخلافة العباسية ذات السلطان الروحي

(1) ارتكزت الدراسات في الصراعات المذهبية على جانب الاختلافات في المضامين والطرح ومرجعيات المذهب وأعلامهم وأفكارهم ومواقف الفقهاء، ولقد عدد الأستاذ محمد ياسر الهلالي وأحصى هذه الدراسات الدينية الخاصة بالمذاهب في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، والتي تبلغ أربعون دراسة نموذجية ارتكزت كلها على تبيان المضامين والاختلافات والنصوص أما دراسة هذه المذاهب برؤية مواجهة وصراع له آلياته التكتيكية، فالقوة العسكرية جزء لتحقيق هذا المشروع ونشره، أنظر: محمد ياسر الهلالي، نواة بيبلوغرافية حول المذاهب في بلاد المغرب والاندلس خلال العصر الوسيط – الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط– تنسيق حسين حافظي علوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 157، ط1، الرباط، 2008، من صفحة 13 – 45.

على العالم الإسلامي [1]، وهذا ما أكده ابن خلدون الذي يقول في يوسف: " وكان من أهل الخير والاقتداء نوعت به همته إلى الدخول في طاعة الخليفة تكميلا لمراسيم دينه " [2].

إن هذه الجهود المرابطية تهدف إلى إقناع الآخر الذي يتساءل عن مشروعية النظام المرابطي بالأندلس، الذي اتهمه باغتصاب الحكم، كما كانت هذه البعثات تسعى للحصول على فتوى فقهية من علماء المشرق كدعم شرعي، فحصلت على ذلك عن طريق فتوى مساندة من طرف أبا حامد الغزالي ومحمد بن الوليد الطرطوشي، مكنها من تقوية سلطانها وتدعيم سياسي واعتراف شرعي [3].

كما استخدم الموحدون الدعاية بشكل يدعو إلى الإعجاب، من ذلك أن محمد بن تومرت بعث أتباعه ودعاته إلى القبائل المصمودية يمهدون لدعوته ويبشرون بقدوم المهدي الذي يملأ الأرض عدلا وأن اسمه كاسم النبي وله نسب شريف وعندما تأكد من نجاح دعوته أعلن أنه المهدي حيث استغل الظروف النفسية والفراغ الإصلاحي وتذمر الناس، فاستثمر في هذه الفراغات ووظفها في خدمة دعوته [4].

---

(1) مصطفى الزباخ، بنية الخطاب في فن الرسالة المرابطية بالأندلس، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1991، ص 117، 118.

(2) ابن خلدون، العبر ، ج2، ص 582.

(3) أنظر نص الرسالتين كاملتين: ابن العربي المعافري، مخطوط شواهد الجلة والأعيان في مشاهد الإسلام والبلدان، رقم 2/81، يضم 41 ورقة، مكتبة آل سعود، الدار البيضاء، المغرب، من ورقة 06-15، عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430-515هـ/ 1038-1121م، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988، ص 172، 173، مصطفى الزباخ، المرجع السابق، ص 117، 120.

(4) إسكان بوسكين، المرجع السابق، ص 81.

وقد وظفت الحركة الموحدية الدعاية وجعلتها أساسا في نشر مشروعها، لذلك " صعد الموحدون إلى الحكم محمولين على ظهر موجة ثورية صميمة فأمكنهم أن يدركوا من خلال تجربة حية ومباشرة أهمية السند الذي أتاهم من الطبقات العامة المتواضعة إلى أقصى حدود التواضع وأدركوا في الوقت ذاته الواقع الناشئ عن تقديم إعلام دوري منظم ومحكم " [1].

وكان ابن تومرت يتصل ويحتك بالجماهير يعبؤها ضد المرابطين ويكون منها قاعدة لحركته يساعده في ذلك إتقانه للغة العربية والبربرية معا، ومخاطبته للناس بما يفهمون، فجذب نفوسهم واستجلب قلوبهم[2].

وهكذا استطاع ابن تومرت بفضل وسائله الدعائية أن يقدم لمعاصريه من المغاربة النظام المرابطي في صورة سيئة كجهاز متسلط ومستغل وفاسد، فصادف نوعا من التجاوب في المجتمع مما أعطى مصداقية العامة في مشاطرته ومساندته في ثورة التغيير الموحدية [3].

وقد واجه المرابطون الحركة الموحدية بدعاية مضادة، حيث استندت دعاية المرابطين إلى أن الموحدين خوارج منشقين عن طاعة الإمام يهدفون إلى إحداث فتنة في البلاد، ونسبوا لابن تومرت أنه يرد المطلقة بالثلاث وأنه كفر المسلمين وخرج عن

---

(1) محمد الزنيبر، المغرب في العصر الوسيط، تنسيق محمد المغراوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، الرباط، 1999، ص 193.

(2) الحلل، المصدر السابق، ص 90، عباس الجراري، الموحدون ثورة سياسية ومذهبية، مجلة المناهل، العدد الأول، السنة الأولى، نوفمبر، الرباط، 1974، ص 90.

(3) محمد الزنيبر، المرجع السابق، ص 174.

الإجماع واستحل دماءهم وأموالهم، وكان القصد من هذه الدعاية المضادة هو ضرب المشروع التومرتي وإبعاد العامة عنه (4).

ب- الكوادر: أي ما تسمى حاليا بالنخبة والأنتيليجنسيا التي يتوقف عليها نجاح المشروع والدعاية، لأن تجنيد وتأطير كوادر قادرة على التعريف بهذا المشروع وتبسيطه وكسب التأييد من أهم ركائز الحرب المذهبية الناجحة (1).

لقد كان المرابطون والموحدون من أهم النماذج التي أنتجت نخبة مشبعة دينيا وتكتيكيا في المواجهة، فما هي نواة ومرجعيات هذه الكوادر ؟ وما مدى مساهمتها في جغرفة المشروع وإقناع الآخر به ؟

لقد كانت الرباطات النواة الأساسية لإخراج وتأطير هذه الكوادر التي تعد مدرسة حقيقية تقوم بإملاء أفكار مذهبية وتهذيب السلوك وجعله أكثر تحملا لنشر التيار الفكري للمدرسة.

ولعل رباط عبد الله بن ياسين يعتبر من أهم النماذج المرابطية التي لعبت دورا تعليميا وتربويا، وكانت نقطة انطلاق ومركزا لنشر الإسلام والتعليم الديني يجتمع فيه العاملون على ترسيخ مبادئ الإسلام، سواء بتعليم العلوم النظرية كالفقه والتربية الصوفية عن طريق القدوة الحسنة التي يعطيها الشيخ، أو بواسطة وعظ المريدين والعامة، أما الطريقة البيداغوجية في الرباط تختلف عن طريق تدريس العلوم في المساجد والمدارس التي ظهرت في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، لأنها

---

(4) البيدق، ص 77، ابن القطان، المصدر السابق، ص 85، حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، ط1، مصر، 1980، ص 459، 460.

(1) بلهول نسيم، المرجع السابق، ص 56.

بيداغوجية تطبيقية عملية تستهدف تغيير السلوك والأخلاق أكثر منها نشر المعرفة النظرية، فعبد الله بن ياسين كان رباطه مدرسة حقيقية لها ضوابطها وقوانينها(2).

ومن هذا الرباط تخرجت كوادر عسكرية وفكرية حملت على عاتقها نشر المشروع المرابطي، في الأندلس وحتى في إفريقيا جنوب الصحراء، ذلك أن دخول المرابطين إلى السودان وجهادهم ضد الوثنية أعطى دعوتهم دعما دينيا باعتبارها حركة ودعوة إسلامية تعمل على نشر الإسلام وتوسيع نفوذه ومحاربة أعدائه وبذلك اكتسب شرعية دينية لدى الأوساط البربرية، وهذا في حد ذاته شكل وسيلة دعائية في خدمة الدعوة المرابطية (1).

إن هذه الأنتيليجنسيا التي تكونت في الرباط لم يكن دورها ينحصر في الإصلاح الدعائي فقط، ولم يكونوا مجرد طلاب متعبدين زاهدين يجوبون القرى لنشر الإسلام بل أن هؤلاء الدعاة تحولوا مع تطور الدعوة إلى أنصار مؤيدين لقيام سلطة سياسية تتخذ من المذهب المرابطي منطلقا وفكرا لها، وبذلك صاروا جنودا لهذه السلطة، ثم لعبوا الدور العسكري، حيث وضح ابن أبي زرع أنه لما كثر الأتباع وتفقهوا في الدين أمرهم عبد الله بن ياسين ودعاهم للجهاد وقتال من خالفهم وهكذا تكونت النواة الأولى لكوادر عسكرية تدافع عن المشروع (2).

---

(2) السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج2، ص 08، 09، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 125، ابن خلدون، العبر، ج6، ص 243، إسكان بوسكين، المرجع السابق، ص 49.

(1) بزاوي الكبير، دور الدعوة في نشأة الدولة المغربية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1986-1987، ص 343.

(2) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 125، بزاوي الكبير، المرجع السابق، ص 350.

إن هذه الكوادر كانت أمرا ضروريا في الحملة الدعائية المرابطية التي اتخذت من الفقهاء والعلماء والطلبة كأساس لخدمة الدعوة ونشرها [3].

أما في الحركة الموحدية فإنها لم تهمل أهمية الرباط في إعداد نخبة قادرة على مواجهة أفكار مرابطية ومهيأة للجدل والصدام، ولعل أهم رباط يمكن أن نقدمه كنموذج هو رباط هرغة الذي خلق ديناميكية دينية وسياسية، حيث صار محل زيارة وإقبال من طرف المصامدة، وهذا ما أكده ابن القطان الذي بيّن أن هذا الرباط أقام فيه ابن تومرت ثلاثة أعوام يدرس العلم ويهاجر إليه السعداء ويعلم المهاجرين ويخاطب القبائل [1].

وكان هذا الرباط يهدف إلى التربية والتعليم الإسلامي، حيث كان كتاب التوحيد الذي ألفه باللسان البربري من أساسيات التعليم، وهو سبعة أحزاب في الأسبوع يقرأ بعد صلاة الصبح مع حزب من القرآن، ولا تختلف طريقة التربية عن رباط عبد الله بن ياسين إلا في التشدد والصرامة، ويكتفي ابن تومرت بوضع قوانين وعقوبات زجرية صارمة لمن خالفها، كتلك التي وضعها عبد الله بن ياسين من الضرب والتعزير بالسياط فقط بل فرض القتل في ثمانية عشرة مخالفة منها الكذب والمداهنة على الأقارب والأصدقاء ومن تخلف عن الحضور أدب بالسياط مرة ومرتين والثالثة يقتل [2].

كما اهتم بعده عبد المؤمن بن علي بإعداد الكوادر لمواجهة الآخر، الذي أوجد وكوّن فئة من الحفاظ هي نموذج للنخبة السياسية، حيث كان يهدف عبد المؤمن إلى

---

(3) بزاوي الكبير، ص 344.

(1) ابن القطان، المصدر السابق، ص 26، 29.

(2) المصدر نفسه، ص 26، 27، 127، إسكان بوسكين، المرجع السابق، ص 76.

خلق جيل جديد من الأطر ذوي التكوين العالي ليتناسب مع ظروف تطور الدولة في المرحلة الجديدة بعد اتساع رقعتها، وهكذا مثّلت هذه الفئة القليلة من الحفاظ نموذج النخبة الجديدة التي توختها الدولة لنفسها، وأنهم نجحوا في انتقائها وانتخابها اجتماعيا وسياسيا [3].

كما كانت المسألة الدعائية الإعلامية منزلة هامة في إطار العمل الجماعي للحركة الموحدية، وكان كل عضو من هذه الكوادر يساهم في التعريف بالمشروع حسب مؤهلاته، كما كانت القبائل الموحدية المنضوية تتلقى باستمرار التوجيه السياسي والأيديولوجي وتظل تحت مراقبة القيادة، بالإضافة إلى أن الكوادر كانت لهم صولات وجولات بين القبائل لنشر الدعوة، " وفرّق من يثق بسياسته من تلاميذه في البلاد القاصية والدانية يدعون إلى بيعته ويبثون عند الناس إمامته " [1].

ومن بين الاستراتيجيات التي طبقتها هذه الكوادر في محاربة المرابطين هو تشويه صورتهم عند الناس ونزع شرعيتهم والدعاية للحركة الموحدية، وإذاعة التهم الموجهة إليهم أمام الملأ، وتأطير الجماعات الموحدية التي كانت تنمو بشكل مستمر [2].

من خلال هذا التحليل تبين لنا أن الرباطات أسست لأنتيليجنسيا حملت لواء المواجهة والتغيير والمجازفة والمغامرة في سبيل التضحية بما آمنت به، وكانت من بين الأساليب التي أدت إلى نجاح المشروع المرابطي والمشروع الموحدي.

---

(3) محمد العربي، الحفاظ نموذج النخبة السياسية في العصر الموحدي، مجلة أمل، مطبعة النجاح الجديدة، العدد الرابع، السنة الثانية، 1993، ص 14، 17.

(1) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 176، عبد الحق الطاهري، بنية الحكم الموحدي ووسائله، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2005، ص 209.

(2) عبد الحق الطاهري، المرجع السابق، ص 206.

ج-حرق المؤلفات المذهبية:

لقد كان حرق المؤلفات المضادة سواء للفكر المرابطي أو الموحدي من أهم الأساليب التي استعملتها الدولتان لإبعاد الفتنة ومحاربة التعددية المذهبية والمحافظة على الأحادية والشرعية فكان حرق المؤلفات جزء من التكتيك النفسي ضد أصحابها ويمكن أن نقدم النماذج الآتية:

حرق كتب أبا حامد الغزالي:

يدور كتاب إحياء علوم الدين حول تهذيب النفس وتطهيرها من الدنس ومجاهدتها وأخذها على الاستقامة، ولا يخلو الكتاب من مسحة كلامية فلسفية، وقد تميز الكتاب بهجوم كلامي لاذع على فقهاء الفروع وأصحاب المذاهب ممن وصفهم الغزالي بطلاب الدنيا وعلماء القشور، ونزوع بارز إلى علوم الباطن.

ومما جاء في هذا الصدد " لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا، لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء وتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار، إن الداخل على السلطان متعرض لأن يعصي الله تعالى إما بفعله أو بسكوته، وإما بقوله وإما باعتقاده فلا ينفك على أحد هذه الأمور "[1].

وعندما قرأ أبا عبد الله بن حمدين قاضي قرطبة الذي رأى أنه مخالف للخلفية الفكرية للمرابطين، لذلك أقنع جل الفقهاء بإصدار فتوى بحرقه، والهدف منها صيانة

---

(1) الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، د.ت، ج1، ص 73، ج2، 157، 164.

عقيدة الناس بالحيلولة بينهم وبين قراءته، حيث أعلن في الأسواق بجمع نسخ هذا الكتاب في المسجد والمخالف جزاؤه القتل[2].

فنفّذ علي بن يوسف المرابطي هذه الفتوى وتوعد وهدد وصار على نهجه تاشفين بن علي، حيث يقول: " ومتى عثرتم على كتاب بدعة وخاصة –وفقكم الله– كتب أبي حامد الغزالي فليتتبع أثرها وليقطع بالحرق المتتابع خبرها ويبحث عليها وتغلظ الإيمان على من يتهم بكتمانها [1].

إن حملة الفقهاء المرابطين على كتاب إحياء علوم الدين ومن ورائها السلطة لم تكن راجعة لأمور تتعلق بالعقيدة أو لأنه يخالف الدين في شيء، بل كانت ترجع قبل كل شيء إلى ما ورد فيه من حملة لاذعة على علماء الفروع والتنويه بجهلهم وسخف من مجادلتهم السطحية ووصفهم بأنهم مجانين يجهلون علم الأصول الذي يعتبر ركيزة في فكر الغزالي [2].

ومن جانب آخر وجدت عملية حرق كتب الغزالي معارضة شديدة من طرف بعض الفقهاء الذين اعترضوا على الفتوى مثل علي بن محمد البرجي (ت. 519 هـ/1125م) أحد فقهاء ألميرية، حيث طلب بتأديب حارق الإحياء وتغريمه ثمن الكتب

---

(2) سيمون الحايك، المرجع السابق، ص 05، ابن عماد الحنبلي، شذرات، ج6، ص 277.

(1) المعجب، المصدر السابق، ص 255، ابن القطان، المصدر السابق، 16، 17، حسين مؤنس، نصوص سياسية عن فترة انتقال من المرابطين إلى الموحدين، مجلة المعهد المصري، مدريد، مجلد 3، 1953، ص 43.

(2) محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والاندلس، دار الجيل، ط1، بيروت، 1977، ص 186، 187، عثمان بن عبد الكريم، سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه، دار الفكر، دمشق، 1986، ص 52، 53، 55.

التي أحرقت لأنها مال مسلم [3]، كما نجد أبا بكر الطرطوشي كان من المؤيدين لعملية الحرق، حيث يقول عن كتاب الإحياء: " شحن كتابه بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا أعلم كتابا على وجه بسيط الأرض أكثر كذبا على الرسول منه، ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة ورموز الحلاج ومعاني رسائل إخوان الصفا " [1].

ولم تهمل القيادة الموحدية هذا الأسلوب، فقد شنت هي الأخرى عمليات حرق واسعة ضد المؤلفات التي تعارض فكرها السياسي والمذهبي، من ذلك إحراق كتب الفقه المالكي، حيث دعوا الناس إلى أخذ الأحكام من الكتاب والسنة على طريقة الاجتهاد المطلق، حيث أحرقت كتب الفروع سنة 555 هـ/ 1161م، أيام يعقوب بن يوسف الذي أعرض عن المالكية وهدد كل من يشتغل بكتب الفروع وأمر بإحراقها، منها إحراق المدونة أيام المنصور الموحدي، وكان البديل الاهتمام بالحديث النبوي تدريسا وتأليفا، كما سخر طبقة من الشعراء والأدباء عملوا على إقناع العامة بضرورة حرق هذه المؤلفات، كمدونة ابن سحنون والواضحة لابن حبيب ونوادر ابن أبي زيد ومختصره [2].

وما يمكن قوله أن عملية حرق كتاب الغزالي تعتبر من أهم الاستراتيجيات التي طبقتها القيادة المرابطية ومن ورائها الفقهاء لإبعاد خصومها وبناء سياج يحمي

---

(3) علياء هاشم ذو النون، فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتف القرن 6 هـ 12م، رسالة دكتوراه، العراق، 2003، ص 151، 152.

(1) تاج الدين عبد الوهاب السبكي، طبقات الشافعية، تحقيق محمود محمد الطناجي، عبد الوهاب الحلو، دار الإحياء للكتب العربية، القاهرة، 1969، ج6، ص 243، 252.

(2) الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف ومحي الدين هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، ط1، سوريا، 1914، ج21، ص 317، السلاوي الناصري، الاستقصاء، ج1، ص 125، 197.

شرعيتها، فكان الحرق تخويفا للعامة وجذبها للقيادة، فكان عقابا نفسيا أعطى للمرابطين فترة قليلة من الهدوء ليسترجعوا أنفاسهم.

كما بينت عمليات حرق الكتب اضطراب العلاقة مع المثقف، فالسلطة كانت تريد احتكار السيطرة وصولا إلى تكبيل العقل، والمثقف استغل امتيازه المعرفي للوصول إلى السلطة، وبسبب تعارض الطموحين انتهى الأمر في حالات كثيرة إلى غضب السلطان وانقلابه على المثقف.

د-أسلوب السجن والتعذيب والنفي:

يعتبر النفي من العقوبات القاسية التي يمكن أن تنزل بالفرد في المجتمع لأنه يجتث من بيئته الاجتماعية والثقافية ويحرم من المكانة التي كان يتبوؤها في المجتمع التي كونها لنفسه ضمن عشيرته، ليكون إنسانا منفيا غريبا وذليلا لدى المجموعة المستقبلة له ويصعب عليه الاندماج بسهولة، وكانت الدولة تطلب من عشيرته أن تتبرأ منه ومن أفعاله، مثلما حدث أثناء نفي الوزير ابن يرجان إذ أجبر أبناؤه على كتابة براءة يتبرؤون من فعله وأرسلت نسخا إشهارية للأقاليم.

ويكون النفي إلى ثغور نائية كثغور الأندلس أو أقصى بلاد إفريقية مثل نفي الشيخ يوسف بن وانو دين، حيث نفي إلى حصن غامق من ثغور الأندلس سنة 578 هـ/1183م ثم إلى إفريقية (1).

كما اتبعت السلطة المرابطية أسلوب الملاحقة والإبعاد ضد التيارات المنافية لنظامها، والتي شكلت خطرا عليها، حيث منعت أبو الفضل النحوي من إلقاء دروسه

(1) ابن عذارى المراكشي، قسم الموحدين، ص 149، 152، ابن مريم الشريف، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص 299، 300، إسكان بوسكين، المرجع السابق، ص 264.

في أحد المساجد سنة 510هـ/ 1117م، فاضطر إلى الاختباء في جنة كانت في ملكه حتى أشرف على الموت من شدة الجوع، كما عملت على تشويه سمعة بعض المتصوفة لدى العامة كتشويه سمعة أبو يعزي الذي اتهموه بملامسة جسد النساء اللائي تأتين له للاستشفاء [1].

ولم يقتصر اضطهاد المتصوفة في العهد المرابطي على النفي بل تعداه إلى الزج بهم في السجون، مثل ابن وشون وأبو عبد الله محمد بن عمر الأصم وأحمد الله الدقاق وكذلك ابن برجان الذي لقي حتفه، كما زج ببعض المتصوفة في السجون مثل أبو عبد الله الشبوقي وأحمد غمارة الحجري ومحمد بن خلف اللخمي، ومن غير المستبعد أن هؤلاء السجناء المثقفون قد مورست عليم كل أنواع التنكيل والتعذيب وهذا ما وضحه لنا ابن العريف في أحد رسائله أن رجال الأمن المنخرطين في خطط الشرطة قاموا بتعذيب امرأة لإجبارها على الاعتراف وإخبارهم عن أسماء بعض المتصوفة، فلما يئسوا منها فقؤوا عينها [2].

كما أن ابن العريف في حد ذاته تعرض للنفي والقتل عن طريق السم [3] وكذا أهل الظاهر الذين اضطهدوا ونكل بهم لرفضهم الاعتماد على مذهب مالك ودعوتهم

---

(1) إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين –المجتمع، الذهنيات، الأولياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1993، ص 151، 153.

(2) ابن العريف أبو العباس، مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة، تحقيق عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1993، ص 252، القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 152.

(3) هو أبو العباس ابن العريف أحمد بن محمد بن موسى بن عطا الله الصنهاجي، وسمي بالعريف لأن والده كان يعمل عريفا بحرس الليل بطنجة، والعريف هو القائم بأمر الجماعة، ولد بمدينة ألميرية يوم الأحد 481هـ توفي مسموما في مراكش بالبضنجان ودفن بالجامع الكبير، أنظر: مقدمة المحقق في كتاب مفتاح السعادة، ص 17، ابن الزيات، المصدر السابق، ص 120.

للاجتهاد مثل الفقيه محمد بن أحمد بن يحي الأنصاري الخزرجي الميورقي الذي ضرب بالسياط بأمر من علي بن يوسف المرابطي [4].

أما في العهد الموحدي فقد كثفت السلطة من عمليات الملاحقة والتعذيب والسجن ضد الخارجين عن قانونها والمحدثين للفتنة في نظرها، من ذلك ملاحقتها لابن زرغون وصاحبه ابن علي، وقد ظفرا بهما يقرآن الفروع إلى الزج بهم في السجون مدة طويلة وممارسة الإخافة الشديدة على الأول ولحق بالثاني الذعر والفزع حتى توفي، وهذا يدل على الصرامة والعنف الذي واجهت به السلطة المعارضين، كما يبين خطورة هذه الأفكار على الطبقة السياسية إيديولوجيا، وهذا حتم عليها تسخير إمكانيات كبيرة لقمعها [1].

نلاحظ أن ابن زرغون صفده المنصور بالحديد فحمل إلى السجن على حال مذمومة، وهذا يدل على الاستنطاق والتعذيب، وقد أحضر إلى موضع جرت العادة فيه بضرب الرقاب أي تنفيذ حكم الإعدام [2]، وسجن صديقه في المذهب الحافظ أبو بكر محمد بن علي بن خلف التجيبي الإشبيلي (ت. 596هـ/ 1199م) حتى أنه أصيب بخلل عقلي [3].

كما تعدى التعذيب والسجن بأسر ذات علم وجاه كأسرة ابن زهر التي نكل بها حيث نفي عميدها الوزير أبا العلاء إلى فاس، وتحدد إقامته بها، ثم يسجن ابنه الوزير

---

(4) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص 190، 191.

(1) لخضر محمد بولطيف، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط1، 2009، ص 307.

(2) ابن دحية أبو الخطاب، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخران، دار العلم للملايين، بيروت، 1995، ص 221، 222.

(3) محمد المغراوي، الموحدون والمذهب الظاهري – الصراع المذهبي ببلاد المغرب، ص 207.

أبو مروان وينكل بعدد من شخصيات الأسرة التي تشتغل مناصبا هامة ويقتل من حاشية ابن زهر [4]، وأن سبب سجنه هو غضب الأمير علي بن يوسف بسبب مقالة لأبيه جاء فيها: " نالني تنكيد شديد بامتحان علي لنا لقولة حقدها على الشيخ أبي رحمه الله فأمر فينا بكل وجه من وجوه الانتقام ونالني نكد عظيم على غير أغنياء " [1].

الاغتيالات والإعدام:

لقد كانت الاغتيالات والإعدام من أهم الأساليب التي طبقتها العيون المرابطية والموحدية ومن ورائها السلطة، وهذا لقمع الفتنة وإبعاد الخصوم عن العامة والتفكير بالانقلابات والقضاء على التمرد، من ذلك أن السلطة المرابطية كانت حذرة ويقظة وتتبع حركة ابن تومرت واستعمال العنف ضدها، حيث أمر علي بن يوسف بالقبض وقتل المهدي بن تومرت عن طريق الحيلة بواسطة عاملة على السوس أبا بكر اللمتوني، ولما فشلت المحاولة شنوا عليه الحرب فأسروا مائة رجل من قبيلة ورتانك المناصرة لابن تومرت وسجنوهم في حصن تيونوين قرب تارودانت وأعدموا وشنوا عليه هجوما بوادي الملت بهرغة، وحاصروا ابن تومرت في غار إيجليز وكاد أن يسلم نفسه للمرابطين حسب النويري لولا أن هنتاتة أنقذته [2].

---

(4) عصمت عبد المجيد دندش، أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1991، ص 129.

(1) أبو مروان عبد الملك بن زهر، مخطوط: التيسير في المداواة والتدبير، ضمن مجموعة من صفحة 01 إلى 241، الخزانة العامة، الرباط، رقم 159ق/1، ورقة 233.

(2) الحلل، المصدر السابق، ص 102، القطان، المصدر السابق، ص 23، 74، النويري، المصدر السابق، ص 378.

كما أسست الدولة المرابطية حاميات عسكرية لمراقبة حركات التمرد، ذلك أنها رأت في قبائل غمارة خطورة؛ نظرا للجانب الطوبوغرافي الذي تقطن به هذه القبيلة والذي يساعدها على الخروج على سلطة الدولة، لذلك سخّرت جيوشا لإحباط تمرد قبائل غمارة على عهد علي بن يوسف[1].

ونظرا لخطورة حركة المهدي بن تومرت على المرابطين حاول عامل سوس اغتياله بدفع رشوة إلى أحد أفراد قبيلة هرغة، غير أن أفراد قبيلته كشفوا المؤامرة وقتلوا الشخص الذي كان ينوي تنفيذ العملية، ثم أن الشغب والفوضى التي أحدثها ابن تومرت قرر أمير المهدية تدبير محاولة لاغتياله، ثم تراجع عن قراره وبعث له فقيها يدعى المصري وأخبره بتذمر الأمير من تصرفاته [2].

وسخرت الدولة المرابطية إمكانيات لاغتيال وإلقاء القبض على ابن قسي الذي قام بثورة ضد النظام المرابطي 539 هـ/1144 الذي ادعى الإمامة ويهدف إلى إضفاء الشرعية الدينية على حركته التي طوقتها القيادة المرابطية بحنكتها [3].

أما في مجال الإعدام قامت السلطة المرابطية بإعدام ثلاث شيوخ من غمارة 507هـ/ 1114م وهم يكساس وحيان وسحنون الذين تسببوا في التمرد حيث علقت رؤوسهم على أحد أبواب فاس، وقام بهذه العملية القائد المرابطي يانلو دون الرجوع إلى

(1) محمد العمراني، ثورات بلاد غمارة في الفترة المرابطية والموحدية، مجلة أمل، العدد 17، السنة السادسة، مكتبة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، 1999، ص 110.

(2) هوثي ميراندا، المرجع السابق، ص 43، 69.

(3) ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص 249، 250.

الأمير علي بن يوسف، وكذا إعدامها للثائر كركال الذي أعلن أنه الخذر وأعلن ثورته في ريف سبتة واتبعه العديد من أتباع غمارة [4].

أما الدولة الموحدية فقامت بإعدام ابن عطية في 29 صفر 553هـ/ 01 أفريل 1158م مع أخيه واللذان قبعا في السجن مدة من الزمن ثم حملا إلى جبل درن واعدما بموضع تاجموت، وكان ابن عطية من بين نماذج الأنتيليجنسيا المرابطية التي برعت في الجانب الديني والسياسي واللغوي [1].

كما استعملت السم للتخلص من المتمردين مثل تسميم عبد السلام الكومي بأمر من عبد المؤمن، حيث وضعت له ثردة مسمومة فأكلها ومات في حينه [2].

ووصل الحد بالموحدين أنهم نبشوا قبر ابن حمدين المرابطي الذي تناصر مع النصارى، حيث نبشوا لحده وصلبوه وهو بحاله سنة 546 هـ/1151م[3].

كما أعدم عبد المؤمن بن علي أبا بكر بن تيزمت بسبب أنه أراد أن ينفذ حكم الإعدام في حق المهدي [4].

وعند حصار مدينة سبتة 543هـ/ 1148م خاف القاضي عياض على أهل المدينة من القتل فخرج إلى الموحدين بنفسه وقرر لهم أنه المسؤول عما جرى فعفا عنه عبد المؤمن واشترط عليه أن يعترف بعصمة المهدي بن تومرت ومهدويته فتيقن

---

(4) البيدق، أخبار المهدي، ص 24، ابن عذارى، ج4، ص 75، محمد العمراني، ثورات بلاد غمارة في الفترة المرابطية والموحدية، مجلة أمل، ص 111.

(1) ابن عذارى المراكشي، قسم الموحدين، ص 58.

(2) المصدر نفسه، ص 68.

(3) سيمون الحايك، المرجع السابق، ص 26.

(4) البيدق، أخبار المهدي، ص 28، هوثي ميرندا، المرجع السابق، ص 55.

عياض أن ذلك يكون حجة لهم فرفض وقال أن المهدي دجال وأن دماء الأبرياء في رقبته، ففي عام 544 هـ/ 1149م قام الموحدون بقتله بالرماح حتى قطعوه إربا وجمعوا أشلاؤه ودفنوه في مكان مجهول في مراكش بلا صلاة ولا غسل [1].

كما دبّر المرتضى الموحدي مؤامرة اغتيال قائد النصرانية في جيشه المسمى DEL LABO مع من معه من المرتزقة، كما دبرت محاولة اغتيال القائد البرتغالي GIRALDO SAMPAVOR المعروف في المصادر العربية بجيرانده الجليقي اغتيل على يد عامل درعة بتحريض من الخليفة أبا يعقوب المنصور، لأنه اتصل بابن الرنك ملك البرتغال وكان قد انضم إلى الموحدين سنة 569 هـ/1173 م وقتل بسبب خيانته [2].

وعند دخول تميم بن معنصر مدينة فاس سنة 461 هـ/1068م قتل وأحرق وصلب من بقي من المرابطين، ولعل صلب تاشفين بن علي وقطع رأسه وكذا عبد الله بن غانية الأمير المرابطي على جزيرة ميورقة وبحث عبد المؤمن بن علي بشكل ملفت للنظر عند دخوله مراكش على قبر يوسف بن تاشفين والذي كان يرغب في تشويهه والتنكيل به ميتا، وهذا من أكبر الأدلة التي تثبت عنف الصراع المذهبي وكره الآخر [3].

(1) ابن بشكوال أبا القاسم، كتاب الصلة، اعتنى به صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2003، ص 359، أبو عبد الله محمد، التعريف بالقاضي عياض، تحقيق محمد بن شريفة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، ط1، الدار البيضاء، د.ت، ص 12، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 192،

(2) حميد الحداد، السلطة والعنف في الغرب الإسلامي، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 2011، ص 250.

(3) المرجع نفسه، ص 273، 306.

أسلوب المناظرة والدفاع عن الفكرة:

تعتبر المناظرة من أهم الأساليب التي استعملت في الخطاب المرابطي الموحدي لإثبات الأنا المذهبي، وهي أشد قوة ومواجهة من العسكرية، لما تتطلبه من براعة وفن في إقناع الآخر بالحجة والدليل والعقل والمنطق والواقع(1).

وتزامنت نشأة المناظرة مع نشوء علم الكلام، وكانت أداته الرئيسية النقاش ثم نجد أن فئة من العلماء رفضوا أسلوب المناظرة بسبب ما تنتجه من تعصب ومشاحنة لا طائل منها، وتكون المناظرة موضوعية وتحقق النتيجة المرجوة منها في إظهار الحق بالدليل والحجج، وعمودها هو طرح الأسئلة (2).

إن هذا الأسلوب لم يكن غائبا في إستراتيجية الدولتين، حيث خاض فقهاء المالكية في الأندلس مناظرات عدة مع ابن حزم الظاهري، الذي دخل في خصومة شديدة مع المالكية، لاتهامه لهم بالتقليد والجمود، وكان الجدال بينهم محتدما، ويرجع هذا إلى قوة حجة ابن حزم أمام المالكية الذين عجزوا عن مجاراته بتقديم حجج قوية، يضاف إلى ذلك سلوك ابن حزم اللاذع والعنيف في الرد عليهم، واعتماده المناظرة

(1) المناظرة لم تكن عفوية أو جزافية وإنما لها شروط وموضوع إما يتعلق بالعقيدة مثل المسائل الخاصة بعلماء الكلام أو متعلقة بأحكام فقهية وإما أن تكون مواضيع كالخلافة ونظام الحكم، وقد بين الشنقيطي مفهوم المناظرة في اللغة والاصطلاح وطرقها وآداب البحث فيها وللاستزادة أكثر في فن المناظرة وطرقها أنظر: علي جريشة، آداب الحوار والمناظرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، المنصورة، 1989، ص 65، محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، تحقيق سعود بن عبد العزيز العريفي، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، جدة، 2002، ص 207.

(2) علياء هاشم ذو النون، المرجع السابق، ص 127.

كوسيلة رئيسية في جداله مع المالكية، ومن مناظراته مع الفقيه المالكي الليث بن حريش العبدي مفتي قرطبة، وأبا الوليد الباجي [1].

كما نلاحظ تطور فن الحوار والمناظرة في عصر عبد المؤمن وخلفائه وانعكس ذلك على الجانب الأدبي، ومن هذه المناظرات المناظرة التي أجراها أبو بحر صفوان بن إدريس بين أقاليم الأندلس في مدح الأمير الموحدي [2]، والمناظرة التي أجراها أبو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن أحمد بن طاهر بين النفس المطمئنة والنفس الثائرة، التي يثبت فيها أمر الإمام المهدي، ومن أمثلة هذه المناظرات ما قاله ابن طاهر: " العلم أرفع شيء اكتسبه الإنسان، أليس القائم الآن بأمر الإمام المهدي رضي الله عنه أميرا للمؤمنين وإماما للموحدين أبو محمد عبد المؤمن بن علي أيده الله تعالى بالنصر والتمكين... وحارب عن الحق فنصر " [3].

كما تعددت المناظرات والندوات بين المرابطين والمهدي بن تومرت، وبين ابن رشد والطبيب ابن زهر حول سيادة العلم والفنون الجميلة[4].

لذلك أفرزت هذه المناظرات الفكرية ازدياد التآليف للرد والإثبات منها ما ألفه أبو محمد عبد الله بن محمد بن زغبوش المكناسي حول إثبات الهداية الموحدية مدللا ذلك بالاستقراء من الكتاب العزيز، كما ألف الكاتب أبو الحسن عبد الملك بن إياس القرطبي مؤلفا يطعن فيه على النظام الموحدي ومبادئه، ونظرا لخطورة ذلك فوض عبد

---

(1) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج5، ص 207، ج8، ص 32.

(2) رضا عبد الغني لكساسيه، النثر الفني في عصر الموحدين وارتباطهم بواقعهم الحضاري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004، ص 214.

(3) ابن القطان، المصدر السابق، ص 50.

(4) رضا عبد الغني لكساسيه، المرجع السابق، ص 214، 177.

المؤمن بن علي انتيليجنسيا فقهية للرد على هذه التآليف فاختار ذوي الحجة وقوة الجدل والمناظرة (1).

كما يورد لنا الغبريني أن أبا زكريا يحي بن علي الزواوي (ت.611هـ/1214م) تصدى للرد على ابن حزم بمؤلفه الذي أسماه حجة الأيام وقدوة الأنام، كما تصدى ابن زرقون للرد على ابن حزم في كتابه المعلا في الرد على المحلى(2).

كما تصدى فقهاء المرابطين عند وصول ابن تومرت إلى مدينة أغمات بالجدل وعارضوه معارضة شديدة، حيث جرت بينه وبينهم مناظرة شهيرة في العلم وطرقه وأصول الحق والباطل (3).

وقد نشطت حركة الجدل والتناظر في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي وما بعده حول المبادئ الموحدية، وما يقابلها من سلفية رافضة لها، وكذا المالكية في مقابلة الحزمية، وكذا العقيدة الإسلامية في مقابلة المسيحية واليهودية (4).

كانت المناظرة فرصة لا تعوض لابن تومرت في المواجهة المرابطية، لأنها ستتيح له إبراز ما لديه من علم وإفحام علماء مراكش، وهي وسيلة دعائية ممتازة لأن ما ستسفر عنه ستتناقله الألسن وستطير أخبار المناظرة في الآفاق، فهي بطاقة تعريف لداعية مغمور، وسيكسب فضوليين في مقابلته ومساءلته، حيث مثل المرابطين في

---

(1) المنوني، الآداب والفنون، ص 115، يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 54.

(2) أنظر: الغبريني، عنوان الدراية، ص 135، ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص 260

(3) ظهرت هذه المناقشات حول طرق العلم هل هي منحصرة أو غير منحصرة وأصول الحق والباطل، وعند عجز المفوض عن الإجابة والإقناع بين له ابن تومرت أن أصول الحق والباطل أربعة هي الشك والعلم والجهل والظن، ذلك ان العلم أصل الهدى والشكر والجهل والظن أصول الضلال، أنظر: عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1983، ص 102.

(4) عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 474.

المناظرة قاضي ألميرية محمد بن أسود، فسخر ابن تومرت من كل كلمة في المناظرة لتصوير فساد الأوضاع في الدولة[1].

لقد استطاع ابن تومرت أن يفحم خصومه المرابطين مما جعله يكسب الأنصار والمريدين، ويسطع نجمه في الأوساط الشعبية، فكانت ثورته ضد فقهاء المرابطين الذين تسببوا حسبه في عقم الأوضاع بسبب عقمهم الفكري [2].

كما نجده يناظر الطلبة في بجاية بحضور عمر بن فلفول كاتب الأمير الحمادي العزيز بن منصور، ويلخص ابن القطان المناظرة بقوله: " فوصل إليهم فناظروه وساءلوه فأجابهم ما أسكتهم ثم سألهم فما أحاروا جوابا " [3].

وما نخلص إليه من أسلوب المناظرة هو أن الطرف الموحدي كان ذو إستراتيجية محكمة في مناظراته ضد المرابطين، بسبب التكوين الفلسفي والعلمي الجيد لابن تومرت وأنصاره، هذا مما أعطاه حركية فكرية وجذبه إلى صفه وإقناعه خاصة وأن الموروث التومرتي المشرقي والمغربي أهله للانتصار على المرابطين أما في الجانب المرابطي فإنهم استعملوا مناظرة من أجل المناظرة فقد لوحظ ضعف كبير في هذه المواجهة وفشلها وهذا بسبب قلة التكوين والانغلاق والبعد عن العلم والتشبث بالسلطة، وهذا مما أفرز فقيها تقليديا منعزلا في فكره وأدوات مناظراته حتى أن السلطان علي بن يوسف أعجب كثيرا بآراء ابن تومرت بسبب قوة حجته وأدهشه غباء فقهائه، وهذا الفشل جعل الفقهاء يستعينون بعلماء التنجيم مثل مالك بن وهيب فكان صراعا بين ميتافيزيقا مرابطية وبين منطق وعقل موحدي.

---

(1) ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص 53–55، محمد علي الصلابي، دولة الموحدين، ص 21، 22.

(2) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 270.

(3) ابن القطان، المصدر السابق، ص 42.

أسلوب الميز والاعتراف:

وهو أسلوب اختصت به القيادة الموحدية، وهو عند النويري العرض وهو يشبه يوم العرض في الآخرة لتمييز أهل الجنة من أهل النار [1].

والهدف من التمييز هو كشف العناصر المدسوسة في الدعوة والجيش الموحدي وإجراء احترازي للتخلص من المخالفين والمنافقين وتنقية الحركة التومرتية من الاختراق من قبل المفسدين والخبثاء [2].

وقد استعمل المهدي بن تومرت شخصا يقوم بهذه العملية الدموية وهو عبد الله الونشريسي[3]، الذي صعد وارتقى من رجل بهلول يسيل لعابه إلى عالم وعارف بل سيصبح مصير المصامدة متعلقا بما يقرره، ذلك أن المهدي أخبره مسبقا بأسماء من سيصنفون من أهل الجنة والنار [4].

وربما استعمل هذا الرجل للقيام بهذه المهمة لأنه ليس مصموديا ولن تكون له رأفة بهم أو قربى مع قبيلة، وهذا في حد ذاته ذكاء وحيلة إستراتيجية [1].

---

(1) النويري، المصدر السابق، ص 401.

(2) عبد الرزاق أزريكم، الميز والاعتراف في دولة الموحدين، مجلة وجهة نظر، عدد 44-45، السنة 12، الرباط، 2010، ص 10، 11، 13.

(3) هو عبد الله بن محسن البشير الونشريسي من أهل المغرب الأوسط، لقي المهدي أثناء مروره بجبال الونشريس عندما كان راجعا من رحلته المشرقية فأعجب به وتتلمذ له وتبعه وصار من خواصه ومن العشرة الذين سارعوا لبيعته، تولى تمييز الموحدين وفقد في معركة البحيرة 524هـ/1130م، أنظر: البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، ص 19، ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص 48.

(4) النويري، المصدر السابق، ص 401.

(1) روجي لي تورنو، المرجع السابق، ص 46.

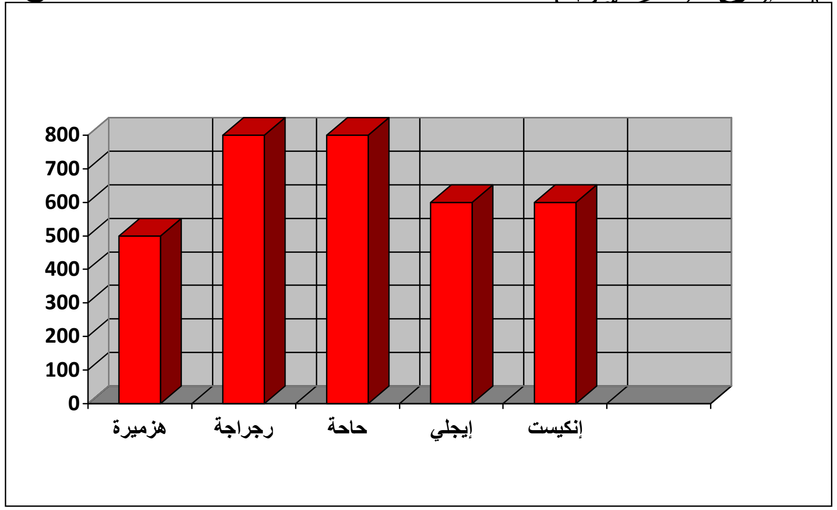
وقد أعد ابن تومرت لهذه العملية الدموية بشكل جيد ومحكم حيث جعل تنفيذ القتل بين الأقارب ليقضي على الحمية والثأر، حيث يقول ابن القطان: " كان إذا اجتمع منه كثير قتلهم قراباتهم يقتل الأب ابنه والابن أباه والأخ أخاه " [2].

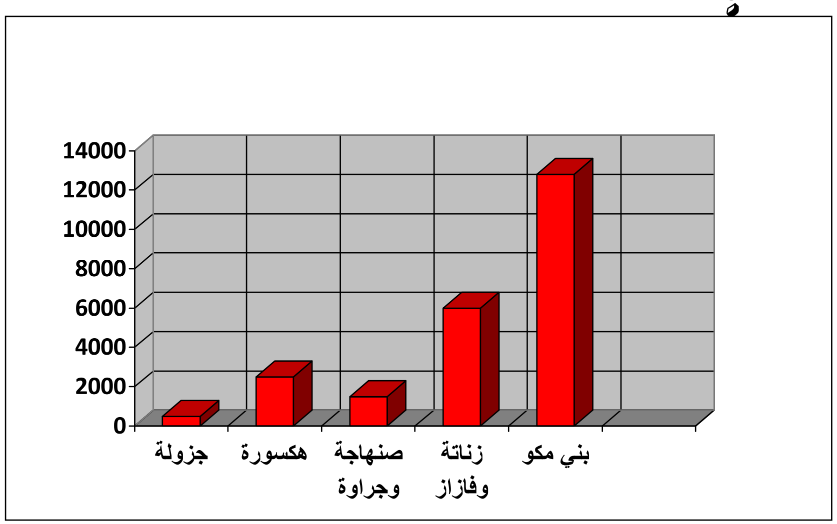
وهذا ما يفسر غياب رد فعل بين المميزين والموحدين، ثم أن هذه العملية مهمة وأي تساهل في قمع الثورات في نظر القيادة الموحدية يؤدي إلى فشل المشروع الموحدي، ولعل أبرزها عملية التمييز والتصفية الجسدية التي حدثت في 544 هـ/1145م التي أدت إلى قتل الآلاف من المصامدة، ورغم هول هذه الأعداد التي توضحها الأعمدة البيانية أدناه فإن السلطة الموحدية كانت مقتنعة بهذه النتائج من أجل استقرار الأوضاع سياسيا ومذهبيا[3].

---

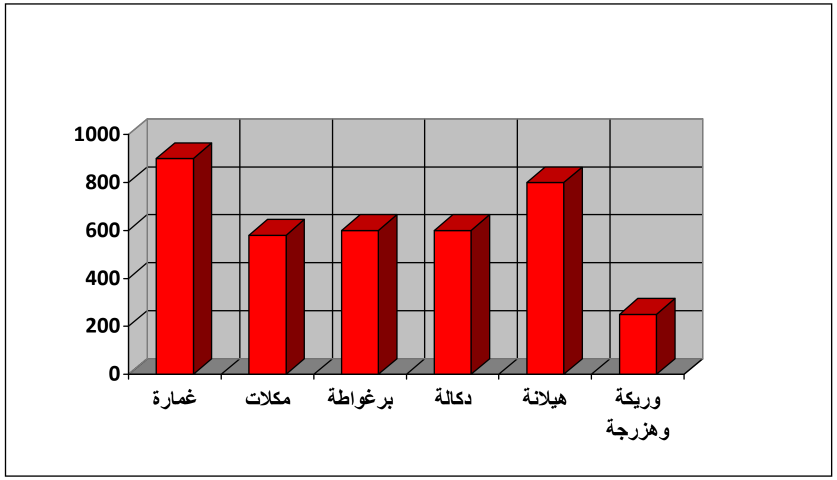
(2) القطان، المصدر السابق، ص 148.

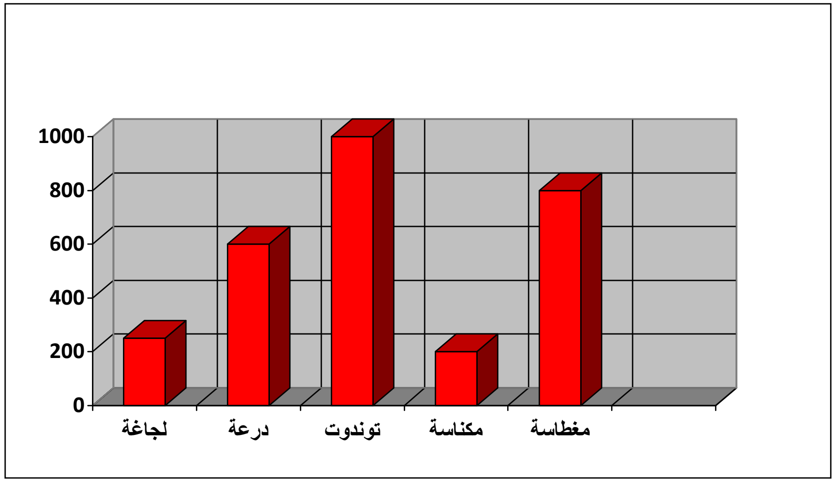
(3) محمد المغرواي، المغرب في العصر الموحدي، جدلية القوة والأزمة، ندوة المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، الجمعية المغربية للبحث العلمي، سلسلة ندوات ومناظرات، عدد 4، 25–2002/10/26، الجديدة، المغرب.





أعمدة بيانية توضح عمليات التصفية الجسدية التي تمت سنة 544هـ/1149





أنظر: هذه الإحصائيات عند البيدق: أخبار المهدي، من ص 70-72، صباح عويناتي، المرجع السابق، ص 45، عبد الرزاق أزريكم، المرجع السابق، ص 14.

ما يمكن ملاحظته في هذه الأعمدة أن التصفية الجسدية مست جل القبائل دون تمييز وإن اختلفت في عدد قتلاها باختلاف الذنب الذي ارتكبته والخيانة والانشقاق عن المهدي، ولعل أكبر عمليات تصفية دموية شهدها بني مكو وهذا بسبب قتلهم زيري بن مخوخ، الذي بعثه المهدي لهذه القبيلة، حيث راح ضحيتها 12800 قتيل.

ويرجع استعمال العنف في العقود الأولى إلى تعطيل العمل بالكثير من المبادئ والقيم، لأن هدفهم هو إرساء قواعد الدولة وكسر هياكل القبلية التجزيئية وهذا الهدف برر الممارسات [1].

أسلوب العصبية:

تقوم العصبية على النسب لكي تحقق المناصرة والنصرة، فهي ذلك الرابط بين القبائل المتجاورة، والتي تهدف إلى الحماية والمدافعة، وتعتبر القبيلة القوية مركزا لجذب بقية القبائل والعشائر الأقل قوة [2].

والدعوة الدينية تعد شرطا مكملا للعصبية للوصول إلى السلطة، وهي الوسيلة الوحيدة التي تمكن ممارسة السياسة على أنها تحتاج إلى عصبية تدافع عنها وتبرزها وعند الوصول إلى الحكم تظل مساعدة على قوة الدولة بعد قيامها، فالدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم، لأن الصبغة الدينية تذهب التنافس والتحاسد [1].

---

(1) محمد المغراوي، المرجع السابق، ص 83.

(2) في هذا الصدد يقول ابن خلدون: " والقبيل الواحد إذا كانت فيه بيوتات متفرقة وعصبيات متعددة فلا بد من عصبية تكون أقوى من جميعها وتتبعها وتلتحم جميع العصبيات فيها وتصير كأنها عصبية واحدة كبرى، وإلا وقع الافتراق المفضي إلى الاختلاف والتنازع "، ابن خلدون، المقدمة، ص 245.

(1) المصدر نفسه، ص 277-279، محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2002، ص 109.

فالعصبية رأس مال بشري، تستنزفه الدولة بالإنفاق في الحروب، فالعصبيات التي تنجح في تأسيس الدول هي القبائل القوية المنظمة والمنصهرة حول مثل أعلى ووازع ديني تؤمن به وتتبناه، والهدف من ذلك هو تجديد العقيدة وإصلاحها، ويقترن ظهورها مع وجود دولة في مرحلة الضعف لتأتي هذه العصبية الجديدة على هوامش الدولة المنهارة، وهذا ما ينطبق على الضعف المرابطي وبداية الدعوة الموحدية [2]

فإلى أي مدى كانت العصبية أسلوبا في الصراع المذهبي بين المرابطين والموحدين ؟

من خلال استقرائنا للأحداث والتواريخ المعلمية تبين لنا أن الدولتين استخدمتا هذا الأسلوب في صراعهما المذهبي.

فبالنسبة لقيام دولة المرابطين انطلقت من الاتحادية القبلية لصنهاجة اللثام القائمة في الصحراء الكبرى موريتانيا حاليا، حيث تبنت المذهب المالكي منطلقا لحركتها، وقد نجحت في تكوين دولة شملت الحدود الجغرافيا الممتدة بين الأندلس شمالا ونهر النيجر جنوبا [3].

وتعتبر قبيلة لمتونة من أهم القبائل التي ناصرت وحمت الدعوة المرابطية والتي كانت تتصف بمواصفات أهلتها لذلك، كالمكانة المرموقة في مجتمع الملثمين فضلا عن سيطرتها على طرق التجارة الساحلية مما أكسبها ثروة وغنى مع احتفاظها بالزعامة في أمرائها ما يقارب من قرنين، ولعل اختيار عبد الله بن ياسين لهذه العصبية يدل

---

(2) محمد حالي، الديمغرافيا التاريخية للمغرب الوسيط من خلال تاريخ ابن خلدون، مجلة المستقبل العربي، العدد 416، السنة 36، اكتوبر 2013، ص 72، 82.

(3) حماه الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا من المرابطين إلى بني حسان، الجمعية التاريخية الموريتانية، جامعة نواقشط، ص 13.

على خبرة عميقة بقدرة القبائل واستعدادها لحمل مشعل دعوته ولذلك ظهرت قبيلة لمتونة على مسرح الأحداث (1).

أضف إلى ذلك أن لمتونة اتصفت بمميزات حربية أهلتها لحماية المشروع المرابطي، حيث كان في قتالهم شدة وجلد، ولم نجد ذلك عند قبائل أخرى، وكانوا يختارون الموت على الانهزام، ولا يحتفظ لهم فرار من زحف (2).

أما دولة المرابطين فقد قامت على عصبية قبلية قوية هي عصبية المصامدة التي أخضعت قبائلا عدة في مراحلها الأولى أي عند قيام الدولة (3)، وكان للمصامدة الدعوة الدينية باتباع المهدي، فلبسوا صبغتها وتضاعفت قوة عصبيتهم بها فتغلبوا على زناتة أولا واستتبعوهم (4).

ثم أن المنافسة التي كانت بين قبيلة صنهاجة المرابطية وقبيلة المصامدة الجبلية على زعامة البلاد هذا المعطى استغله المهدي ولجأ إلى قبيلة مصمودة التي آمنت به وناصرته ووفرت له الحماية لنشر أفكاره (1).

فالقوة البشرية للقبائل المصمودية كانت دافعا مهما في حماية المهدي ودعوته وعقيدته، فقبيلة هرغة مثلا التي تحد فخذا من أفخاذ القبائل المصمودية تضم خمس

---

(1) حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين، دار العلوم، ط1، القاهرة، 1980، ص 23.

(2) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج4، ص 11.

(3) جميلة مبطي المسعودي، المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها 621 هـ حتى سنة 893 هـ رسالة ماجستير جامعة أم القرى، السعودية، 2000، ص 03.

(4) ابن خلدون، المقدمة، ص 199.

(1) عباس الجراري، الموحدون ثورة سياسية ومذهبية، مجلة المناهل، العدد الأول، السنة الأولى، نوفمبر 1974، الرباط، ص 87.

عشرة فخذا، وعدد الأفخاذ المتعاطفة معها تسعة أفخاذ، فصار المجموعة أربعة وعشرون فخذا، فهذا العدد الضخم من المؤكد أنه يعطي دعما وصيرورة للدعوة التومرتية، أضف إلى ذلك أن قبيلة جنفيسة تضم اثنان وعشرون فخذا وكدميوة ستة وأربعون فخذا ساندت بطريقة غير مباشرة ابن تومرت في دعوته، إذن هناك حصانة قبلية قوية تمتع بها المشروع التومرتي(2).

لذلك استعمل ابن تومرت عدة أساليب لجلب التأييد القبلي مثل أسلوب الإقناع النفسي لتقبل القبيلة لفكره وأسلوب الإقناع العملي، حتى أن القبائل المصمودية لم تتسارع في بداية الأمر إلى مبايعته إلا بعد أن تأكدت أنه يتصف بصفات الإمام العادل والرافع للمظالم والمناكر والمغارم وأظهرت له الحماية ضد الجنود المرابطين ورفضت تسليمه إلى السلطة المرابطية (3).

ثم إن قيام الأحلاف القبلية والتي عملت على تجاوز صراعاتها الضيقة من أجل بناء الدولة وإنجاح الدعوة وهذا ما استثمره ابن تومرت في دعوته وإنجاحها(1).

إذن كان هذا الحلف المصمودي يظهر من الخارج كقوة متكتلة وعصبية متماسكة تحتفظ بعاداتها وتقاليدها ولا تقبل الخضوع بسهولة (2).

---

(2) الحسين بولقطيب، المصامدة وقيام دولة الموحدين 500-558 هـ/ 1106-1162م، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 1989، ج1، ص 38.

(3) العرابي محمد، دور الأشياخ في تدهور الدولة الموحدية 515-674 هـ الجانب السياسي، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1986-1987، ص 30.

(1) الحسن بولقطيب، المصامدة وقيام دولة الموحدين، ص 183.

(2) عبد الحق الطاهري، المرجع السابق، ص 74.

ولعل ما يبرز لنا أهمية دور العصبية في الصراع المذهبي هو استنجاد عبد المؤمن بن علي بقبيلة كومية بعد تعرضه لمحاولات اغتيال عديدة نجا منها، لذلك اتصل برؤساء قبيلته كومية وطلب منهم إرسال محاربين لضمان سلامته لأنه غريب وسط قبائل المصامدة وليس له أسرة يعتمد عليها أو قبيلة يثق بها (3).

إذن فانتماء المرابطين والموحدين لهذه القبائل والعصبيات هو انتماء لقبائل حربية سيكون لها الأثر الأكبر في توجيه الفتوحات وتوصيل المشروع للآخر (4).

وما يمكن أن نستنتجه هو أن العصبية القبلية مثلت أحد أدوات الصراع المذهبي في دولتي المرابطين والموحدين، فكانت تمثل حصانة وحماية لمشروع الدولتين، فهي أداة فعالة وأساسية في إنجاح أو فشل المشروع.

أسلوب الاستثمار في المذاهب الأخرى وتنمية الخيال والأسطورة لدى العامة:

لقد تجسد هذا الأسلوب أكثر في الدعوة الموحدية بقيادة محمد بن تومرت الذي حاول أن يقتبس من المذاهب والدعوات السابقة التي شهدتها بلاد الغرب الإسلامي ليكوّن مصالحة مذهبية بين كافة المذاهب والنحل، التي توخت أهدافا سياسية، فاستطاع أن يلفق هذه النماذج ويؤسس هذا التجانس العقيدي، فجمعها بين آراء أهل السنة ونظريات الشيعة والمعتزلة، وأخذ من المعتزلة مثلا في محاربة التشبيه والتجسيم

(3) روجي لوتورنو، المرجع السابق، ص 77.

(4) عبد العلي أحمتي، التغذية بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط قضايا ونماذج، رسالة دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2001–2002، ص 78.

وقضيتي العدل والتوحيد بما يخدم أغراضه الدعائية لكسب معتزلة المغرب، كما أخذ من الخوارج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [1].

كما استعمل فكرة المهدوية كغطاء سياسي وأداة في الممارسة السياسية لمواجهة سلطة قائمة في ظل قيادة جاهلة دنيوية، واتخذ من العصمة والإمامة أدوات لجذب الآخر العام وتكسير أسس نظام خاص ديني [2].

وقد أتت المهدوية أكلها فاستطاع أن يقنع الناس بآرائه وهذا بسبب دراسته للواقع ونفسيات البربر [3]، كما عمل ابن تومرت على تنمية الغيب والأسطورة في الخيال الشعبي لتخويف النفوس وشدها بالرمزية السلطوية، أي حاول أن يرسم بعبعا مخيفا عند الرعية، وفي هذا يقول ابن تيمية: " صعد إلى جبال المغرب إلى قوم من البربر وغيرهم من جهال لا يعرفون من دين الإسلام إلا ما شاء الله واستجاز أن يظهر لهم أنواعا من المخاريق ليدعوهم بها إلى الدين " [1].

ومن بين الأساليب التي اختصت بها الدعوة الموحدية في صراعها مع المرابطين هو تغييب الوثائق المرابطية وحرقها وطمسها، كانوا يهدفون من وراء هذه العملية إلى إلغاء الدور التاريخي للملثمين، نتيجة ما يكنونه لهم من عداء واختلاف مذهبي، ولعل سبب ذلك يرجع إلى شح المادة الخبرية في الكثير من المواضيع

---

(1) علي الإدريسي، الإمامة عند ابن تومرت، دراسة مقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 232، 233.

(2) محمد بن تومرت، أعز ما يطلب، تحقيق عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغنى للنشر، الرباط، د.ت، ص 25، 26.

(3) خالد بن إبراهيم بن عبد الله الدبيان، المرجع السابق، ص 403.

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج11، ص 476.

المرابطية وخاصة البريد عند المرابطين الذي تعرض إلى عمليات الطمس الموحدي للإرث والتاريخ المرابطي [2].

هذه بعض الأساليب والأدوات التي استخدمت في المواجهة المذهبية بين المرابطين والموحدين، والتي كانت ساخنة في مضمونها، بل انها كانت أكثر من المواجهات العسكرية بين الدولتين، أي صراع الفكرة ضد الفكرة المضادة ومحاولة إنجاحها على حساب الأخرى وتبيانها للعامة على أنها الأحسن نموذجا، فتنافس الطرفان في عمليات الإنتاج الفكري المذهبي وكسب الأتباع.

المبحث الثاني: الصراع العقدي الإسلامي المسيحي :

الحرب الحضارية صراع بين فكرين متناقضين، فهو صراع أو مواجهة بين ثقافتين، يهدف كل طرف إلى محاربة طمس تراث الآخر ونشر أفكاره وجعله تابعا حضاريا له متبعا في ذلك وسائل التأثير والجذب، من هذا المنطلق نجد أن المرابطين والموحدين مثلا الحضارة والثقافة العربية الإسلامية في المنطقة ضد تراث وحضارة غربية نصرانية، فالمواجهة كانت حضارية وهي من أنواع الحروب والصراعات الأكثر تأثيرا وفعالية وخطورة، لأنها تمس النسيج الحضاري وتعيد ترتيبه وتركيبه حسب منطلقاتها الأيديولوجية، كما تعمل على تفريغ العقل وملئه لينصهر في بوتقتها، فكيف كانت المواجهة الحضارية بين النصارى الأسبان الذين يمثلون الحضارة النصرانية وبين جبهة المرابطين والموحدين اللذان يمثلان الحضارة العربية الإسلامية ؟ وما هي وسائل كل طرف في مواجهة الآخر حضاريا؟

(2) نور الدين بن بلقاسم، البريد في الأندلس على العهدين المرابطي والموحدي، مجلة الحياة الثقافية، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، العدد 182، أفريل 2007، تونس، ص 46.

إن النصارى عملوا على إعداد مشروع للقضاء على الإسلام ويتربصون به ويبتكرون الأساليب المختلفة لإيقاف مده المتدفق،وقد صور لنا الجاحظ خطرهم على الأمة الإسلامية وعلى العقيدة بقوله: " على أن الأمة لم تبتل باليهود ولا المجوس ولا الصائبين كما ابتليت بالنصارى وذلك لأنهم يتبعون المتناقض من أحاديثنا والضعيف بالإسناد من روايتنا والمتشابه من أي كتابنا ثم يخلون لضعفائنا ويسألون عنها عوامنا مع ما قد يعلمون من مسائل الملحدين والزنادقة والملاعين وحتى مع ذلك ربما تجرؤوا على علمائنا وأهل الأقدار منا " [1].

ذلك أن الإسلام بالنسبة لأوروبا الوسيطية يشكل خطرا عليها، فبذلت جهودا شتى لمواجهة هذا الخطر، أضف إلى ذلك بروز العداء العاطفي الشديد للإسلام ولعل هذا الموقف يبرز قوة الحرب الحضارية الإسلامية، خاصة وأن الكاتب ريتشارد سوذرن يبين مدى تأثر المسيحيين بالأشعار والقصص الغرامية العربية، وهم لا يدرسون أعمال المتكلمين والفلاسفة العرب ليردوا عليها وينقضوها، بل سحرتهم الكتابة باللغة العربية ويقرؤون ثقافتها بلهفة وإعجاب [2]، وهذا انتصار في حد ذاته للحضارة العربية في جذب الآخر بموروثاته وحضارته..

ولعل حادثة حركة شهداء قرطبة في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي أهم الحركات التي تمثل الصراع ومحاربة الإسلام في الأندلس، وهي عبارة عن محاولة بعض المتعصبين للدين المسيحي من رهبان النصارى إثارة فتنة دينية وذلك بمعاداة الإسلام وسب رموزه والاستهزاء بها، فكسب واستمالت الكثير من المتعاطفين

---

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، ص 368.

(2) ريتشارد سوذرن، صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ترجمة رضوان السيد، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، 2006، ص 56، 58.

المسيحيين وازدادت حدته بعدما أقبل بعض المسلمين على قتل أحد الرهبان بسبب سبه الرسول والصحابة أمام مساجد المسلمين، والحقيقة أن هذه الحركة ظهرت كرد فعل على انتشار الإسلام في الأندلس وتعلق الشباب المسيحي باللغة والثقافة العربية، لذلك خرجوا لاستفزاز المسلمين ومقدساتهم، وكان غرضهم أن يموتوا في صورة شهداء حتى يثيروا عواطف الناس، حيث بدأت سنة 237هـ/851م بأعمال شغب وفوضى، وقد تعاملت السلطة الأموية بالصبر لحل هذه الأزمة، حيث نحج الأمير عبد الله في ذلك [1].

وتعتبر فترة المرابطين والموحدين من أهم الفترات وأخطرها، ذلك أن النصارى شنوا حربا تشكيكية على الإسلام والمسلمين، لذلك جهزوا علمائهم في هذه الحرب الفكرية، حيث قال أحد رجالات النصارى إلى المسلمين في عصر المرابطين " إنني لا أهاجمكم كما يفعل كثيرون بيننا بالسلاح إنني أوجه إليكم كلمات فقط بغير عنف وبتعقل وهدوء " [2].

ومن أهم الأساليب التي مورست في الحرب الحضارية ضد المرابطين والموحدين:

-**دراسة العقيدة الإسلامية وتنشيط الترجمة:** حيث انصبت الدراسات النصرانية حول دراسة الإسلام وأحكامه لاستنباط المتشابه ونبش الغامض وخلط الصحيح

(1) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، ط1، القاهرة، 1992، ص 326، ريتشارد سوذرن، المرجع السابق، ص 59.

(2) محمد بن إبراهيم بن صالح، جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصر المرابطين والموحدين، دار إصدار المجتمع للنشر والتوزيع، ط1، السعودية، 1998، ص 369، 373.

بالسقيم، حيث ترجموا القرآن إلى اللغة اللاتينية بقيادة بطرس الموقر [3] كما عكف الكثير من النصارى على الدراسات العربية المتعلقة بالدين الإسلامي مثل الدراسات التي قام بها مارك الطليطلي (ت. 631هـ/1234) الذي ترجم القرآن إلى اللاتينية وكذا ترجمته لكتاب عقيدة ابن تومرت المعروف بالمرشدة ورسائل موحدية أخرى، وفي هذا يقول الطليطلي: " قمت بترجمة كتيب ابن تومرت بعد أن انتهيت من ترجمة القرآن لكي يتسنى للمسيحيين أن يأخذوا أكبر قدر من المعلومات يتمكنون عن طريقها من الرد على المسلمين ومحاربتهم وقمت بذلك لتمكين الكاتوليكيون أن يعرفوا أسرار المسلمين ويستطيعوا عن هذه الطريق مهاجمتهم "[1].

إن تركيز النصارى على ترجمة كتاب المرشدة لابن تومرت يعود لكون الكتاب المعتمد كدستور للدولة الموحدية التي كانت تواجههم، ولا يستبعد أن اختيارهم لهذا الكتاب لم يكن عفويا، لأنه يتضمن شطحات عقيدية تجعله لا يتوافق مع العقيدة الإسلامية الصحيحة، وهذا يسهل العثور على المفارقات والتناقضات واستغلالها في تشويه الإسلام [2].

أما عن الموضوعات التي استغلها النصارى في حملاتهم الفكرية ضد المرابطين والموحدين ارتكزت حول قدسية القرآن وإعجازه والنبوة وما يحصل في الجنة والنار من نعيم وعذاب وتعدد الزوجات والطلاق والقصاص والجهاد وانتشار الإسلام بالسيف.

---

(3) Πετρυσ ϖενεραβιλισ فرنسي ولد سنة 485 هـ/1092 انتظم في سلك الرهبنة ثم تولى رئاسة الأديرة ولما بلغ الثلاثين من عمره صار رئيسا لدير كلوني في إقليم برجنديا على الحدود مع فرنسا وألمانيا، أنظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1989، ص 68.

(1) أنظر: مقدمة المحقق في كتاب أعز ما يطلب ص 21، محمد بن إبراهيم بن صالح، المرجع السابق، ص 374.

(2) أنظر: ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية، ج11، ص 476، 791.

كما استغل النصارى انهيار بعض المدن الداخلية الإسلامية المحتلة حيث قاموا باستمالة العامة وتنصيرهم [3].

-**أسلوب المناظرة:** ظهرت مؤلفات جدلية ألفها علماء النصارى واليهود لنقد الدين الإسلامي، حيث نلاحظ في القرن 6 هـ/12م نشطت المجادلات الدينية من طرف النصارى، فأخذت المناظرات الشفهية والمكتوبة تلعب دورا هاما في هذا الصراع، لذلك تخصصوا في الدراسات العربية والإسلامية وكانوا دائما يرددون مقولة أنهم يدرسون الثقافة العربية للرد على العرب المسلمين.

ونظرا لأهمية هذه العملية التي تعتمد على الجدل أسس النصارى حلقات العلم الديني لإعداد جيل يستطيعون من خلاله مقارعة جدل وحجج المسلمين [1].

-**الكنيسة والدير أدوات في الصراع الحضاري:** لقد اعتمد النصارى على مؤسسات حيوية ارتكزت من خلالها لمقارعة ومواجهة المد الحضاري الإسلامي من أهمها الكنيسة والدير اللذان لعبا دورا هاما في نشر الديانة المسيحية ولعلهما كانا المحرك الأساسي للهيئات الدينية والعسكرية كالداوية والاسبتارية[2] التي رسخت النزعة العدوانية في الثقافة الغربية وأعلنت الحرب على المسلمين باسم الصليب والحضارة

---

(3) محمد بن إبراهيم بن صالح، المرجع السابق، ص 378.

(1) نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، 1964، ج1، ص 122.

(2) الداوية من أشهر الحركات الدينية في العصور الوسطى، وكانت تتكون من جماعات الفرسان الدينية، وتنعتهم المصادر الإسلامية بالداوية، بينما تدعوهم المراجع الأجنبية باسم فرسان المعبد Τεμπλερσ لأنهم اتخذوا من احد معابد بيت المقدس مركزا لهم بعد استيلائهم عليه، اما الإسبتارية Ηοσπιταλερσ فهي طائفة عسكرية دينية مسيحية كاثوليكية أوروبية أنشأت سنة 464هـ/ 1070م وسموا كذلك لأنهم كانوا في الأصل يقومون باستقبال الحجاج في بيت المقدس وإيوائهم، وكانت لهم أماكن ضيافة تسمى Ηοσπεσ، يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 168، 169، فوزية محمد عبد الحميد نوح، المرجع السابق، ص 146، سعد بن عبد الله البشري، جماعات الفرسان الدينية الإسبانية وحروبها مع المسلمين في الأندلس، مجلة جامعة أم القرى، السنة الخامسة، العدد 7، السعودية، 1992، ص 191، 192.

المسيحية ذلك أن تأسيس الأديرة في الممالك المسيحية مثل قلعة رباح وسانتياغو والقنطرة هي رد فعل على الأربطة الإسلامية المرابطية والموحدية[3].

-توريث الصراع الحضاري للمؤرخين النصارى المعاصرين: بعد دراستنا للمراجع ذات الصبغة والإيديولوجية الدينية المسيحية، تبين لنا أن هذه المراجع أحيت الصراع الحضاري بثوب جديد من خلال تآليفها وأفكارها التشكيكية في بعض الأحداث والمسائل المتعلقة بتاريخ المرابطين والموحدين، فاستهزؤوا وشككوا في بعضها، من ذلك نجد أن يوسف أشباخ المؤرخ الألماني يمنح 60% من انتصار معركة الأرك إلى خيانة بعض النصارى وتعاونهم مع المنصور، وهذا إنقاص من قيمة المعركة التي أثرت تأثيرا كبيرا في نفوس النصارى، كما نجده يحط من قيمة المرابطين بقوله: " فكانوا أعداء لكل حضارة غربية " [1].

كما نجد كذلك المؤرخ أرشيبالد لويس يصف المرابطين بأنهم كانوا محاربين مخربين لكل حضارة مستقرة[2].

أما بطرس البستاني فله لهجة انتقامية في سرد الأحداث ضد المسلمين، وكان بعيدا كل البعد عن الحقائق [3]، كما نقلت هذه المراجع عن المصادر النصرانية الكثير من المغالط من أهمها أن الشعراء الأندلسيين مدحوا في أشعارهم المعتمد بن عباد أكثر من يوسف بن تاشفين في معركة الزلاقة، ثم أنها أغفلت بشكل نهائي على دور داود

---

(3) ابن عذارى المراكشي، قسم الموحدين، ص 201،محمد الأمين بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، 1986–1967، جامعة الجزائر، ص 348، 351، إبراهيم أحمد العدوي، المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، دار المعرفة، القاهرة، 1961، ص 80.

(1) يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 84، 87، 493.

(2) أرشيبالد لويس، القوى البحرية التجارية في البحر المتوسط 500م–1100، ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1956، ص 323.

(3) بطرس البستاني، معارك العرب في الأندلس، ص 95.

بن عائشة والمتوكل في معركة الزلاقة، ويقولون أنه لولا توسط ابن عباد لشعراء الأندلس ما أجروا له ذكرا أي ليوسف بن تاشفين ولا رفعوا لملكه قدرا[4].

كما تأثر بعض المؤرخين المسلمين بهذه المغالط مثل عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب، الذي أظهر نوعا من التهكم على يوسف بن تاشفين بقوله: " وجعل أي يوسف يظهر التأفف من الإقامة بجزيرة الأندلس ويتشوق إلى مراكش ويصغر قدر الأندلس ويقول في أكثر أوقاته كان أمر هذه الجزيرة عندنا عظيما قبل أن نراها فلما رأيناها وقعت دون الوصف " [1]، ولهذا نجد المؤرخين الأوروبيين المختصين في تاريخ المغرب والأندلس يقتبسون الكثير من صاحب المعجب.

ثم أن الأحداث المعاصرة بينت لنا مدى خطورة الحقد الصليبي على الحضارة العربية الإسلامية ويظهر ذلك من خلال بعض احتفالات إسبانيا المسيحية حول إحراق المخطوطات العربية، حيث يقول خوليان ريبيرا في هذا الشأن: " ولم تستمتع أمة بهذا كما استمتعت إسبانيا وجاء بسبب الحماسة المفرطة للمثل العليا وهي إحدى خصائص القومية الإسبانية الذاتية، وهو سلوك أمة متخلفة لا تقدر العلم وقيمة الكتاب " [2].

وباختصار نجد أن يوسف أشباخ وليفي بروفنسال، ودوزي نماذج مثلت هذا التيار الذي يحمل في طياته نفخ الروح في صراع حضاري جديد يعتمد على التشكيك في التاريخ والتراث العربي الإسلامي، ولعل كتابات إحسان عباس ومحمود عابد

(4) مصطفى عوض الكريم، الأدب الأندلسي في عهد المرابطين، ط1، مصر، السودان، 1968، ص 22.

(1) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 193.

(2) خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس، ص 197.

الجابري وإبراهيم القادري بوتشيش ومحمد عبد الله عنان وعبد الله علام وغيرهم من وقفوا بكتاباتهم ضد هذه النماذج النصرانية بالبرهان والحجة العلمية[3].

وسائل الرد المرابطي والموحدي في المواجهة العقدية:

الاعتماد على النخبة في عملية الرد:

من البديهي أن تخلق الدعوة الصليبية المتعصبة ردود فعل قوة لدى الرأي العام الإسلامي بالأندلس، لذلك لم يكن من محض الصدفة بروز قوات اجتماعية مختلفة تعمل على التصدي للتحدي الصليبي من بينها العلماء الأندلسيين بالغرب الإسلامي [1].

من ذلك أن الدولة المرابطية سخرت النخبة من الكتاب في هذه الحرب الإعلامية والفكرية والرد على النصارى، ذلك أن يوسف بن تاشفين كان يستدعي أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع بملك، خصوصا وأن الدولة تشترك في حدودها مع النصارى، فكان الأمراء بحاجة إلى طبقة مثقفة تفهم

(3) يمكن إدراج في هذه المسألة رأي إحسان عباس في الدفاع عن دولة المرابطين والرد على رينهارتدوزي حيث يقول: " إنني معجب بدولة المرابطين إذ كانت دولة جهاد نشرت الإسلام في غرب إفريقيا حتى جنوبي الصحراء الكبرى وحفظت الأندلس من الضياع وأعادت إليها تكاملها الوحدوي... وقد ظلمت هذه الدولة من جوانب متعددة وعلى يد فئات مختلفة ظلمها المعجبون بالأندلس الكارهون لصبغة المرابطين الدينية أمثال دوزي، وظلمها طموح ابن تومرت الذي حاربها كأنه مؤمن يحارب نزعات الشيطان حتى قضى عليها وظلمها مؤرخو الموحدين حيث نظروا إليها من منظار العصبية لدولتهم وظلمتها الأيام حين أضاعت أكثر ما كتب عنها " أنظر: إحسان عباس، جانب من التاريخ السري للمرابطين، دراسات تاريخية مهداة إلى عبد العزيز الدوري، الجامعة الأردنية، 1995، ص 16.

(1) إبراهيم القادري بوتشيش، مواقف العلماء الأندلسيين من التحديات الصليبية بالأندلس في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد 60، 2001، ص 56.

لغات الآخر وثقافته، مثل يحي بن همام السرقسطي وعبد الملك بن الخصّال وطلحة البطليوسي [2].

ويهدف الرد الإسلامي على هذه الهجمة الحضارية النصرانية إلى دراسة العقيدة النصرانية الزائفة دراسة المتعمق والخبير بفسادها وتناقضها وأباطيلها، وكان الرد عليها وفق شرع الله وسنة نبيه والقواعد العقلية والمنطقية المتعارف عليها[1] واتخذت هذه المواجهة الأشكال الآتية:

شكل المناظرة والتآليف:

يورد لنا صاحب المعيار مجادلة طويلة بين أبا العلاء الحسن بن عتيق بن الحسين بن رشيق وبين بعض القساوسة حول أحقية الإسلام فهزم القس بالحجة والأدلة العقلية [2].

وفي الرد على اليهودية والمسيحية التي تخص الجانب الفكري الديني منها السيف الممدود في الرد على اليهود لكاتب من مدينة سبتة يسمى عبد الحق، وكذا رسالة السائل والمجيب وروضة نزهة الأديب لمؤلف مجهول تسمى بمحمد يصف فيه مجالس مناظرته بالأندلس وما دار فيها من جدل بين الرهبان والقساوسة حول الإسلام والمسيحية [3].

---

(2) يحي بن حمزة الوزنة السليماني، أثر الأندلس الحضاري في الإدارة على المغرب في عصري المرابطين والموحدين، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، العدد 27، يناير 2004، القاهرة، ص 135.

(1) خالد بن ناصر بن سعيد الغامدي، الصراع العقائدي في الأندلس خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنصارى 92 هـ/897م دراسة عقدية، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع، ط1، السعودية، 1429هـ، ص 18.

(2) الونشريسي، المعيار، ج11، ص 118.

(3) النجار، المرجع السابق، ص 475، 476.

وكان أبو جعفر بن عبيدة الخزرجي (ت. 582هـ/1187م) والذي دخل في مجادلات ومناظرات ضد النصارى وأفكارهم حيث أفحم القساوسة بردوده له كتاب مقامع الصلبان في الرد على عبدة الأوثان[4]، وكتاب مقام المدرك في إفحام المشرك[1]، بالإضافة إلى عبد الله بن سهل الغرناطي (ت. 571 هـ/1176م) من العلماء الذين ناظروا وجادلوا النصارى وتغلبوا عليهم، وكان موسوعي يفقه العلوم الشرعية والمنطق والرياضيات [2]، كما نلاحظ بروز- في العصر المرابطي- مؤلف كتاب الشفا للقاضي عياض الذي يعتبر نموذجا حيا للرد على النصارى حيث جاء نتيجة إلى انتشار موجة من التساهل بالألفاظ المنطوية على عدم التبجيل والتوقير للنبي صلى الله عليه وسلم وقد ألّف هذا الكتاب لمجابهة هذا التيار المنحرف الذي

---

(4) يعتبر مقامع الصلبان من اهم المصنفات التي شهدتها الاندلس في مجال الجدل العقائدي والردود على النصارى بصفة خاصة، حيث يتبين لنا من خلال أفكاره وحججه المقدمة في هذا الكتاب أنه يعتمد على الحجج النقلية ولا يعتمد على المناقشة الكلامية، وهو نموذج للمناظرة والرد الحضاري العقلي، حيث لا نجد في رده عبارات الشتم والسب بل يبدي الكثير من الترفع ويتعرض في رده على رسالة القس الطليطلي إلى مواطن الخلاف الأساسية بين المسيحية والإسلام من تثليث وصلب وتحريف للتوراة والأنجيل، بينما رسالة القس الطليطلي تمحورت حول الدعوة إلى الإيمان بالمسيح وأنه روح الله، وعدم الفائدة من الشريعة الإسلامية وإنكار بعض ما جاء في القرآن كإسقاط إبليس من السماء ...إلخ، بينما تمحور رد أحمد بن عبد الصمد الخزرجي حول مناقشة العقيدة المسيحية وألوهية المسيح والصلب وتناقض المسيحيين في شأن إحياء الموتى ويتعرض إلى أكاذيب النصارى وانحرافهم عما جاء في الإنجيل ..إلخ، أنظر: أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، مقامع الصلبان، تحقيق عبد المجيد الشرفي، نشرية مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، تونس، 1975، ص 5، 14، 15، 201، 203.

(1) أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، ط1، طرابلس، 1989، ص 69، محمد المنوني، حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 1989، ص 86.

(2) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص 404.

تأثر بادعاءات النصارى، وتضمن كتابه اخلاق النبي وتواضعه وأمانته ووقاره وتفضيله بالشفاعة والمقام المحمود وشرف النسب وفصاحة اللسان (3).

فالمرابطون والموحدون أنفقوا الجهد والمال في سبيل التعرف على معتقدات أهل الكتاب وعلومهم الدينية، حيث قاموا بعقد المناظرات الشفهية مع الرهبان والقساوسة والمفكرين النصارى وألفوا كتبا للرد عليهم (4).

كما ساهم الخلفاء كذلك في الرد على الشطحات النصرانية، ولعل مناظرة الخليفة الموحدي المرتضى لأمر الله مع البابا إنوسان الرابع الذي كان يريد توطيد النصارى في دولة الموحدين، لأن الموحدين اعتمدوا في بعض حروبهم على المرتزقة النصارى، فاجترأ البابا وأرسل له رسالة فحواها تدور حول تهنئته في الانتصار على بعض الخصوم والإشادة بالجند النصراني المرتزق وحث الخليفة على اعتناق النصرانية لكي ينعم بحماية الله والكرسي الرسولي، ورد عليه الخليفة كتابيا بقوله: " أما بعد نحمد الله الذي لا إله إلا هو حمد من علم أنه الرب الواحد الذي دلت على وحدانيته البراهين القاطعة والشواهد ... تعالى الملك الرحمان عما يقول المثلث والمشبه الجاحد " (1).

الرباط والمسجد لمواجهة الدير والكنيسة:

لعب الرباط دورا دينيا وثقافيا كبيرا وصار مؤسسة ثقافية مكملة للبرامج التربوية والتعليمية التي بدأها المسجد، فنجد في هذه الربط أن المرابطين والموحدين يعملون على نشر الدعوة الإسلامية، حيث نجد تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي وكتب

---

(3) الملا علي القاري الهروي الحنفي، شرح الشفا للقاضي عياض، ضبط وتصحيح عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ، ج1، ص 293، 301، 463.

(4) إدريس حمادي، المنهج الأصولي في فقه الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1988، ص 21.

(1) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 167، أحمد عزاوي، رسائل موحدية، ص 190.

الفقه والأناشيد الدينية من أهم المواضيع التي يصقل بها الفرد في عصري المرابطين والموحدين، فحملوا على عاتقهم رسالة حضارية بعدما وفروا شروط النهضة والتحرر من المشرق [2].

فالرباط إذن كان رد فعل حتمي لمواجهة نظام الدير الذي يعمل على إخراج نخبة ببرامج نصرانية تهدف للقضاء على الهوية، فكان الرباط إذن وسيلة دفاعية بل هجومية في بعض الأحيان.

كان المسجد المؤسسة العملاقة التي تمثل الرمز الديني عند المسلمين فلعب هو الآخر دورا إعلاميا ثقافيا توعويا لشحن الهمم والمحافظة على الدين الإسلامي والدفاع عنه، فتهديم الكنائس وتخريبها كان جزءا من المشروع الحضاري فأثناء حصار الموحدين لمدينة شنترين هدمت الكنيستان اللتان كانتا في المدينة وخربتا عن أخرها [1]، ثم أن احتلال النصارى لبعض المدن الأندلسية ساهم في تغيير تلك المعالم الدينية، فتحولت المساجد إلى كنائس وتعطل الآذان، كما هو الحال في طليطلة عند احتلالها من طرف النصارى سنة 487هـ/ 1078م التي انتشر فيها الكفر والتنصر، حيث يقول الشاعر في ذلك:

طليطلة أباح الكفر منها حماها إن ذا نبأ كبير

مساجدها كنائس أي قلب على هذا يقر ولا يطير

فعادة دار كفر مصطغاة قد اضطربت بأهاليها الأمور [2]

(2) محمد الأمين بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامي، ص 268، 274.

(1) ابن عذارى المراكشي، قسم الموحدين، ص 161.

(2) المقري، المصدر السابق، ج4، ص 420، 479.

المسكوكات المرابطية والموحدية ودورها في الصراع الحضاري:

العملة تمثل ثقافة وحضارة البلد، ورواجها يدل على صحة اقتصادها ومن هذا المفهوم اتخذ المرابطين والموحدين المسكوكات وأعطوها بعدا حضاريا، ذلك أن الدينار المرابطي نظرا لأهميته الاقتصادية (3)التي يحتلها في اقتصاد الممالك المسيحية عمل الملك ألفونسو الثامن على تقليده، فضرب دنانير على غراره سميت باسمه وقد كانت هذه الدنانير التي ضربت مشابهة للدنانير المرابطية كتابة ووزنا حيث نفذت خطوطها بحروف عربية وبخط كوفي، لكنها تحمل بدل النصوص الدينية الإسلامية عبارات ورموزا مسيحية مثل الصليب الذي يعلو الكتابة المركزية على الوجه وعبارة التثليث التي كتبت على الهامش.

في اعتقادنا أن هذه الكتابة بالخط الكوفي خاصة هو تأثر واضح وانبهار بطريقة كتابته، أضف إلى ذلك أنه وسيلة لتصدير الثقافة العربية كخطوطه وفنه الجمالي وحروفه ونقوشه، فكان جاذبية على النقود الأوروبية، وهو في حد ذاته ينقل عقيدة وإيديولوجية للآخر النصراني، فالعملة نقشت عليها آيات قرآنية حملت في طياتها عقيدة التوحيد لمشروع للتصدير والتعريف بعقيدة الدولة.

وهذه الصورة كذلك نجدها في الصراع المرابطي الموحدي، فكل طرف عمل على تصدير فكره عن طريق النقود كوسيلة دعائية إعلامية لإيديولوجية معينة، من

(3) ترجع هذه الأهمية إلى عنصر الذهب الذي استحوذ عليه المرابطون من خلال طرقه وتجارته خاصة بلاد السودان الغربي، حيث صار الدينار المرابطي نقدا دوليا وله ثقة كبيرة في مجال المبادلات التجارية، وصار مرجعية للعملات المسيحية، الحبيب الجنحاني، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1986، ص 101، بان علي محمد البياتي، النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن 3هـ-5هـ/ 9م-11م، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2004، ص 119.

ذلك بروز الدراهم المربعة الموحدية كرد فعل على الدراهم المستديرة المرابطية ولعل كتابة كلمات المهدي، إمام الأمة محمد بن تومرت، المهدي خليفة الله، توضح جليا الصراع المذهبي بوسائل دقيقة، فهو صراع بين التجديد والتقليد وهو بديل حضاري عند الموحدين [1]

والواقع أن هذا الدينار الذي ضربه ألفونسو الثامن لا يخلو من أبعاد سياسية ودينية لأن كتاباته تعكس نوعا من التنافس والصراع بين ديانتين وحضارتين مختلفتين، فرمز باسم الأب والابن والروح القدس الموجودة على الدينار الطليطلي يمكن اعتبارها مظهرا من مظاهر الصراع الديني وعملة ذات طابع دعائي والشيء نفسه يقال عن الدينار الموحدي خاصة الدينار الذي ضرب في عهد المنصور [1].

وفي جانب آخر نجد نجاح وتفوق حضاري مرابطي وموحدي على النصارى يظهر ذلك بدخول أزياء قرطبة وإشبيلية وطليطلة وسرقسطة الإسلامية في دور أمراء المسيحيين في شمال البلاد، كما انتقل إلى المطبخ المسيحي في شمال إسبانيا العديد من الأكلات عن الطبخ الأندلسي لا سيما في عصر المرابطين [2].

كان المسلمون يهدفون من خلال صراعهم الحضاري مع النصارى إلى صيانة الاعتقاد بربوبية الله القائم على التوحيد من تيار التثليث النصراني القائم على الشرك،

---

(1) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2009، ج1، ص 333، عبد النبي بن محمد، مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال إفريقيا والأندلس، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، مكة، 1978-1979، ص 78، 79.

(1) شعبان عبد الرحيم، المسكوكات الموحدية في تاريخ المغرب الوسيط 524 هـ -668هـ/1129-1269م، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995-1996، ص 256، 257، 330، 331.

(2) رجب محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، القاهرة، د.ت، ص 438، 439.

وهذا ما نلاحظه في الرسائل المرابطية والموحدية التي استعملت عبارات عبدة الصليب، التثليث، فهذا الدمار الذي حمله هذا الصراع كان يهدد العقيدة الإسلامية ومؤسساتهم الدينية كالمساجد التي كانت هدفا للتيار النصراني الذي حول الكثير من المساجد إلى كنائس (3).

وما نستنتجه أن المرابطين والموحدين وظفوا وسائل وأدوات علمية لمواجهة المد الحضاري النصراني، واستطاعوا ونجحوا في الكثير من المواجهات وهذا يدل على أن الحرب الحضارية كانت رغم خطورتها من أهم المعالم التي تبين نضج الدولتين ومدى محافظتهما على التراث العربي الإسلامي.

المبحث الثالث: وسيلة نشر الوباء .

إن البحث في هذا الأسلوب الاستراتيجي النوعي في تاريخ الغرب الوسيط أو ما يسمى في وقتنا الحاضر بالحرب البيولوجية، ضرب من المغامرة والمجازفة أمام شح المصادر من إشارات أو حتى شذرات تبين هذا الأسلوب في دولتي المرابطين والموحدين، يضاف إلى ذلك عدم تطرق الباحثين في الحقل التاريخي الذي يمس هذه الفترة المدروسة إلى هذا النوع من الاستراتيجيات، وهذا لا ينفي مطلقا عدم وجودها.

(3) وهذا ما نلاحظه عند دخول القوات النصرانية مدينة سرقسطة سنة 512 هـ/1118 م حيث حولوا مسجدها إلى كنيسة سميت بكنيسة لاسيو، كما نلاحظ نفس العمل عند دخول فردنه جواشن إلى قرطبة 540 هـ، /1145م حيث استباحوا الجامع وأخذوا منه نواقيس ومزقوا المصاحف منها مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه، أنظر: مصطفى الزباخ، تجليات التحدي الحضاري الأندلسي من خلال رسائل لسان الدين بن الخطيب، دراسة حضارية في المكونات والدلالات، ص 40–42، شكيب أرسلان، الحلل السندسية، ج2، ص 12، يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 145، سيمون الحايك، المرجع السابق، ص 25.

إلا أن الأحداث التاريخية بينت لنا توفر إمكانات وعوامل تدخل في هذا السياق من بينها نشر الأوبئة وتعرض الناس للتسمم عن طريق السموم النباتية والحيوانية وعض الهوام ونهشها، كما أن تسرب الأوبئة كان يتم عن طريق عدة وسائل من بينها وحدات الجيش.

يضاف إلى ذلك أن البراغيث من الجانب العلمي تعتبر وسيطا لنقل جرثومة الطاعون من الفئران وبرغوث القطط والكلاب [(1)]، ثم أن الطاعون ينتقل عبر الحبوب المعدة لصنع الخبز وكذا التجارة خاصة في فصل الربيع والخريف، أين تتكاثر الحشرات ومنها البراغيث، ولعل مخزونات الحبوب أثناء الحصار قد تصاب بذلك، وهذا هدف من طرف المحاصر في حد ذاته، ولكنه هدف غير مقصود وبائيا [(1)].

ويعتبر الرومان نموذجا يمكن الاستشهاد به تاريخيا في هذا النوع من الاستراتيجيات، حيث قاموا بتلويث مصادر المياه بطرق عشوائية، كما أن قذف العقارب ونشر الوباء وإرسال الجثث والحيوانات المشتعلة والمريضة وكذا السهام المغمسة بسم الحيات دليل على أن الشعوب القديمة كانت تستعمل السموم الحيوانية والنباتية لإفناء الآخر [(2)].

---

(1) سميرة المزكلدي، المجاعات والأوبئة بالمغرب الوسيط، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، 2003–2004، ص 237، 244.

(1) شلدون واتس، الأوبئة والتاريخ، ترجمة أحمد محمود عبد الجواد، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2010، ص 73.

(2) فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 171.

ولا نعتقد أن دول بحجم المرابطين والموحدين اللذان اكتسحا عدة مناطق جغرافيا وثقافيا، أن يكون مثل هذا الأسلوب الاستراتيجي النوعي غائبا في فلسفة المؤسسة العسكرية للدولتين.

من خلال المواجهات العسكرية بين المرابطين والموحدين من جانب ومع النصارى من جانب آخر يمكننا أن نستشف ونعيد قراءة بعض الإشارات قراءة علمية ممحصة، يمكننا أن نلمح لهذا الأسلوب في الدولتين، ولا نقصد بأنهما كانتا تمارسان هذا الأسلوب بطريقة منظمة، وإنما بطريقة عشوائية ربما غير مقصودة وهذه بعض النماذج التي يمكن أن ننطلق منها لمس بعض شذرات الموضوع.

يمكن أن ننطلق من قول ابن منكلي في أدلته الرسمية الذي يبين استعمال الغذاء وتسميمه كعنصر لكسب المعركة، حيث يقول: " إذا فتح المسلمون حصنا ووجدوا فيه مأكولا أو مشروبا فلا يبادرون بالتناول منه، فربما يكون مسموما مدخرا لمثل ذلك " [1].

فإلى أي مدى تنطبق هذه القراءة على واقع حروب ومعارك المرابطين والموحدين ؟

هناك أمثلة كثيرة من خلالها نبين مدى حضور هذه الإستراتيجية ونخص بالذكر أسلوبي الحصار والتحصين والآثار الصحية الناجمة عنهما.

فأثناء الحصار الطويل يلجأ المحاصرون إلى أكل الحبوب المتعفنة والفاسدة من طول التخزين وأكلهم اللحوم الدانية ومختلف لحوم الحيوانات كالصنانير والفئران

---

(1) ابن منكلي، الأدلة الرسمية، ص 222.

والكلاب، بل أن سكان تلمسان وصل بهم الأمر إلى أن عرضوا غائطهم إلى الشمس إلى يبس وأكلوه سنة 698هـ/1299م[2].

ففي أثناء حصار الموحدين لمراكش 542هـ/1140م نفد الطعام وفنيت المخازن وأكل الناس الدواب ومات منهم من الجوع مائة وعشرون ألف هالك، وأكل أهل السجن الجيف وبعضهم بعضا.

نظن أن هذا العدد الذي يكون مرميا عدة شهور سوف يفرز لا محالة أوبئة فتاكة لها خطورة على صحة العامة تتمثل في العدوى، وهذا هدف الخصوم لإفناء الآخر [1].

كما أن قتل وتعليق أربعة آلاف وستمائة رأس من بقايا الموحدين على أسوار المدينة من طرف المرينيين سنة 627هـ/1272م، حتى أن الناس اشتكوا للمأمون رائحتها النتنة، وهذا دليل على تأثير مثل هذا الأسلوب على صحة السكان [2].

كما اشتد حصار الموحدين على مكناسة مدة أربع سنين 539هـ-546هـ/1144-11512م حيث فنيت الأقوات واضطر الناس إلى أكل خسيس الحيوان وهلك الناس قتلا وجوعا، كما كان حصار المهدية سنة 554هـ/ 1159م أكثر عنفا لتعرضها نهارا وليلا إلى سحب من السهام والحجارة المشتعلة، كما أن حصار مدينة شنتفيلة من طرف الموحدين مدة ستة وأربعون يوما أدى إلى خطأ غذائي كبير تمثل

(2) سميرة المزكلندي، المرجع السابق، ص 121.

(1) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 137، 138.

(2) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 252، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 166، ابن عذارى المراكشي، قسم الموحدين، ص 289.

في علف أهل شنتفيلة دوابهم القمح بدل الشعير فمات أكثرها والمؤكد أن هذه رائحة الدواب النافقة تفعل فعلتها في نشر الأوبئة [3].

إن تعفن الجثث ونتانتها التي فاحت رائحتها بسرعة نتيجة الحرارة المرتفعة التي كانت تعرفها منطقة العقاب، وهذا بسبب سقوط الآلاف من الشهداء الموحدين في هذه المعركة التي فني فيها الموحدون بنسبة كبيرة، وكانت دليلا على نهاية دولتهم، وهذا مما جعل الجيش النصراني يتوجه نحو مدينة بياسة بسبب انتشار الطاعون وتفشي الأوساخ والقذارة بين الجنود نتيجة هذه الروائح [1].

ويذكر صاحب القرطاس أنه عندما ضرب الطاعون بمراكش وأحوازها كان الشخص لا يخرج من منزله حتى يكتب اسمه ونسبه وموضعه في براءة يجعلها في جيبه، فإن مات حمل إلى موضعه، وهذه من ابتكارات الموحدين [2].

ثم أن الوباء كان ملازما للمجاعة التي هي أساس المصائب الصحية، ولا شك أن هذه الأوبئة كان سببها سوء التغذية وطول الحصار وتلويث المياه وانتشار الطاعون والجذام اللذان يعتبرا من أكثر الأوبئة المعدية.

أضف إلى ذلك أن طول الحصار قد يعرض المخزون إلى الجرذان التي هي أساس نشر الأوبئة المتعددة [3].

---

(3) ابن غازي، المصدر السابق، ص 7، ابن عذارى المراكشي، قسم الموحدين، ص 62، 147.

(1) هوثي مراند، المرجع السابق، ص 421.

(2) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 171، 172، محمد المنوني، المرجع السابق، ص 93.

(3) مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط 588-927هـ/1192-1520م، رسالة ماجستير، كلية الآدب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009.

ويشير ابن صاحب الصلاة وابن عذارى المراكشي إلى عبث ابن همشك عندما دخل غرناطة بالموحدين حتى أنه رمى قتلاهم في كفة منجنيق [4].

هذا إلى جانب أن هناك جرثومة تسمى يارسين تأتي عن طريق الأوروبيين أو المشارقة بواسطة السفن التي تحمل معها هذه الجرثومة إما بواسطة القوارض التي تتحول من السفن إلى الرصيف أو من البحارة المصابين [5].

هذه إشارات قدمناها لتكون نبراسا لغيرنا من الباحثين ونعتقد أنها بينت لنا ولو جزءا يسيرا من هذا الأسلوب وأردنا من ذلك فتح الباب أمام الباحثين لدراسة مثل هذه المواضيع والتعمق فيها.

(4) أنظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 129، ابن عذارى المراكشي، قسم الموحدين، ص 75، 76.

(5) خالد بلعربي، المجاعات والأوبئة في تلمسان في العهد الزياني 698-845هـ/1299-1442م، دورية كان التاريخية، العدد الرابع، يونيو 2009، ص 24.

الخاتمة

من خلال معالجتنا لموضوع فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين توصلنا إلى النتائج الآتية:

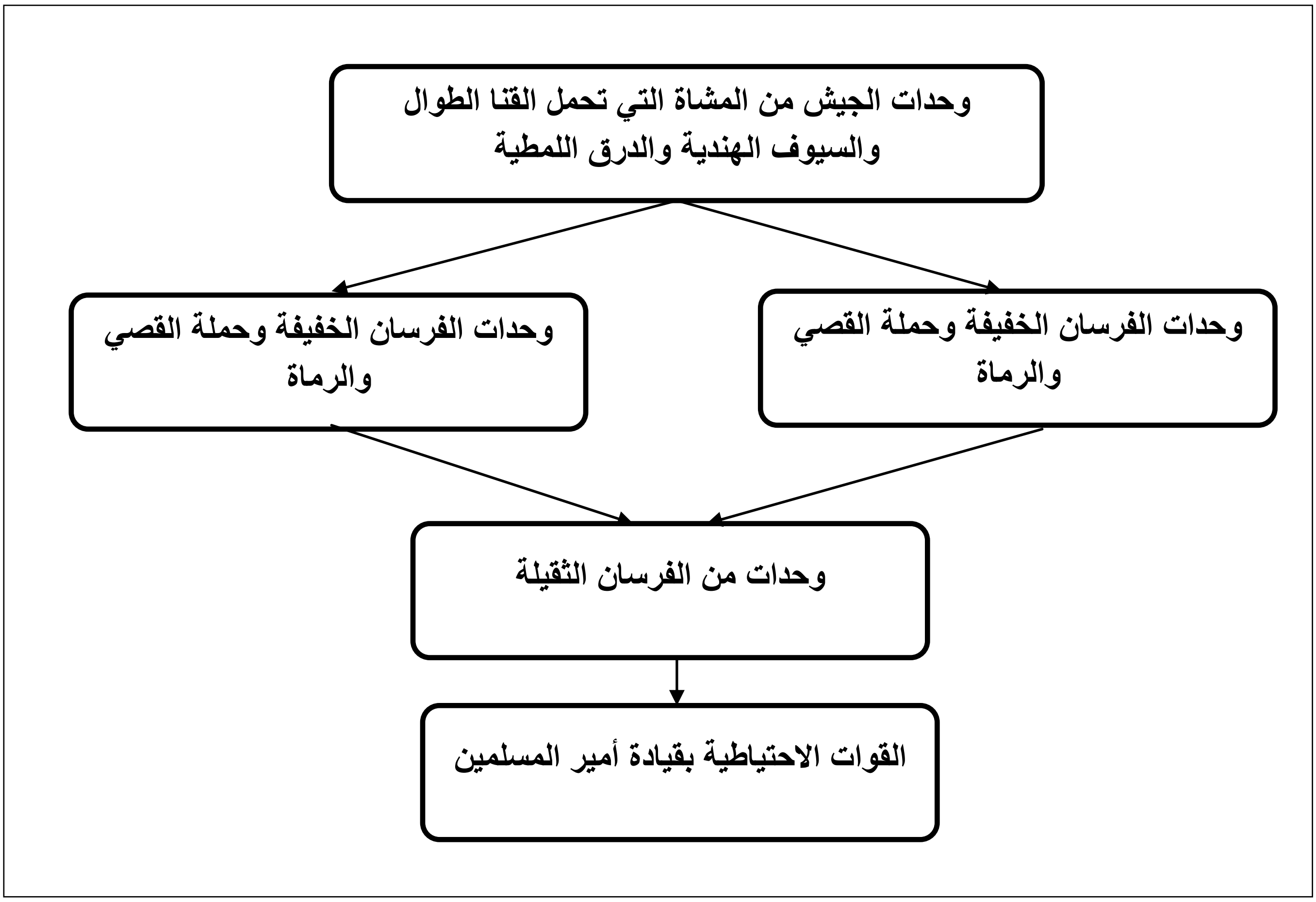
- الاهتمام بالجندي باعتباره محور العملية العسكرية من حيث التعبئة المعنوية و تهيئته من ناحية الحضور الذهني للمعركة .
- الاعتماد على الأقليات والاستفادة من خبراتهم العسكرية، حيث وظف المرابطون والموحدون هذه العناصر الاثنية كالأغزاز والعرب والعبيد والسودان والروم في المؤسسة العسكرية، التي أدت بتنوع هذه العناصر إلى تنوع فنون القتال التي استثمرتها الدولتان في رهاناتهما العسكرية.
- التنظيم و الضبط العسكري لمعارك المرابطين والموحدين من حيث التعبئة و الاطعام و الامداد و التدريب و الخدمات الطبية .
- التنسيق بين الوحدات القتالية المتخصصة أثناء المعركة و تقسيم الأدوار حسب مستجداتها من حيث التسليح و طبيعة الأرض ، فكانت عمليات تنظيم فئة الفرسان و المشاة و الرماة تخضع لتوزيع محكم أثناء المعركة .
- تركيز النظام العسكري المرابطي و الموحدي على الأندلس باعتبارها أرض جهاد وحراك عسكري ذلك أن جل المعارك المرابطية و الموحدية كانت معظمها في الأندلس باعتبارها منطقة للمواجهة مع النصارى .
- مواكبة المرابطين و الموحدين للتطور في مجال التسليح البري و البحري و يظهر ذلك من خلال تجارة السلاح و صنعه و التدريب عليه و فنن التدريب عليها من حيث الوضعيات و الاستخدامات القتالية و لعل معركتي الزلاقة و الأرك تبينان ذلك.

الخـــــــــاتمة

- مشاركة النخب العسكرية في انجاح العملية القتالية ميدانيا و ذلك بفضل التعاون بين النخب المنظرة و القيادة الميدانية .
- العداء المذهبي بين المرابطين و الموحدين حتم البحث عن أساليب المجابهة و التي تهدف إلى اقناع كل طرف بصحة عقيدته و كسب الأنصار و الأتباع وهي أشد خطورة من الحرب العسكرية .
- الصراع الاسلامي المسيحي كيفه المرابطون و الموحدون بإيجاد أساليب للمواجهة من
- استغلال التركة والإرث المادي للآخر المسيطر عليه والعمل على تطويره وفق حاجات وأهداف الدولتين، حيث تم استغلال الموروث النورماني والمرابطي والمواجهات مع الروم أفرز وجود ترسانة عسكرية برية وبحرية وكوادر أسست لقاعدة انطلاق وإقلاع عسكري مقترن بإنشاءات جديدة أعطت للمؤسسة فعالية.
- دور العلماء و الفقهاء في الشحن الديني في مواجهة النصارى، حيث لعب المسجد والرباط والعلماء دورا هاما وجزء من الخطط المرابطية والموحدية في الوقوف الند للند ضد الآخر النصراني ومجابهته عقديا عن طريق الجدل والمناظرة والتأليف، وهي نوع من الحروب أتقنها المرابطون والموحدون أمام حرب فكرية نصرانية منبثقة من الممالك الإسبانية التي بينت نضج الدولتين في مواجهة الآخر.
- التكوين والرسكلة لتخريج النخب العسكرية، ولعل المؤسسة العسكرية الموحدية كانت نموذجا لذلك، حيث أسست أكاديميات عسكرية للتدريب وتعلم فنون الفروسية والحرب والطعن والسباحة لتأهيل وتكوين جيل على أسس علمية، مدرب، نخبوي يجيد

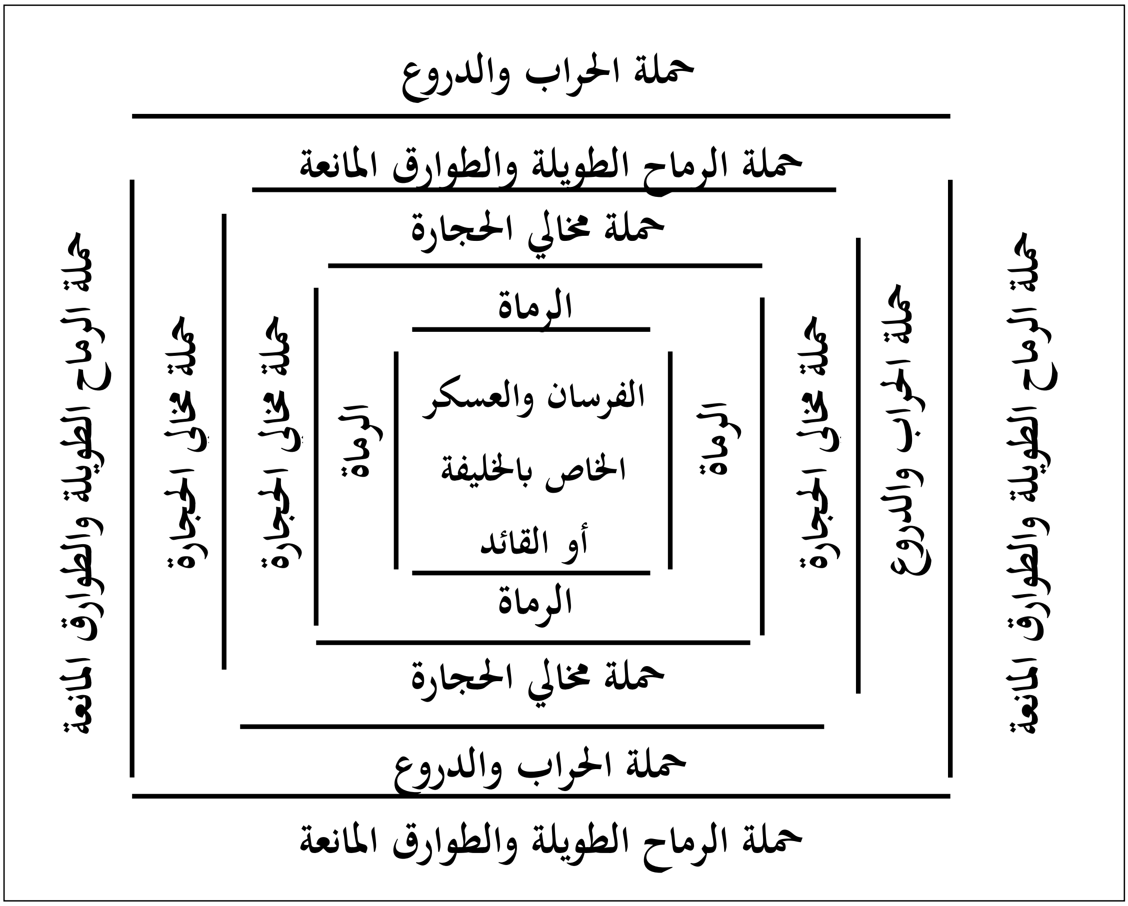
العمليات العسكرية البرية والبحرية، وهذا ما لاحظناه في مشاريع عبد المؤمن بن علي الكومي وخلفائه الأقوياء.

- إتقان الحرب البحرية وفنونها، ويظهر ذلك عن طريق وضع أساليب لتطوير الحرب البحرية، حيث عملت الدولتين على توفير جميع شروط النهضة البحرية العسكرية المادية والبشرية، وما استنجاد صلاح الدين الأيوبي بالأسطول الموحدي إلا دليلا يثبت نجاح الرهانات البحرية الموحدية، ومن ثم انتقل المرابطون والموحدون من القبيلة الجبلية والصحراوية إلى سادة للبحار خاصة في العهد الموحدي.



ملحق رقم 01: مخطط يوضح التنظيم القتالي في عهد المرابطين

انظر: أحمد البسيري، الأساليب التكتيكية العسكرية عبر التاريخ، ص 134.

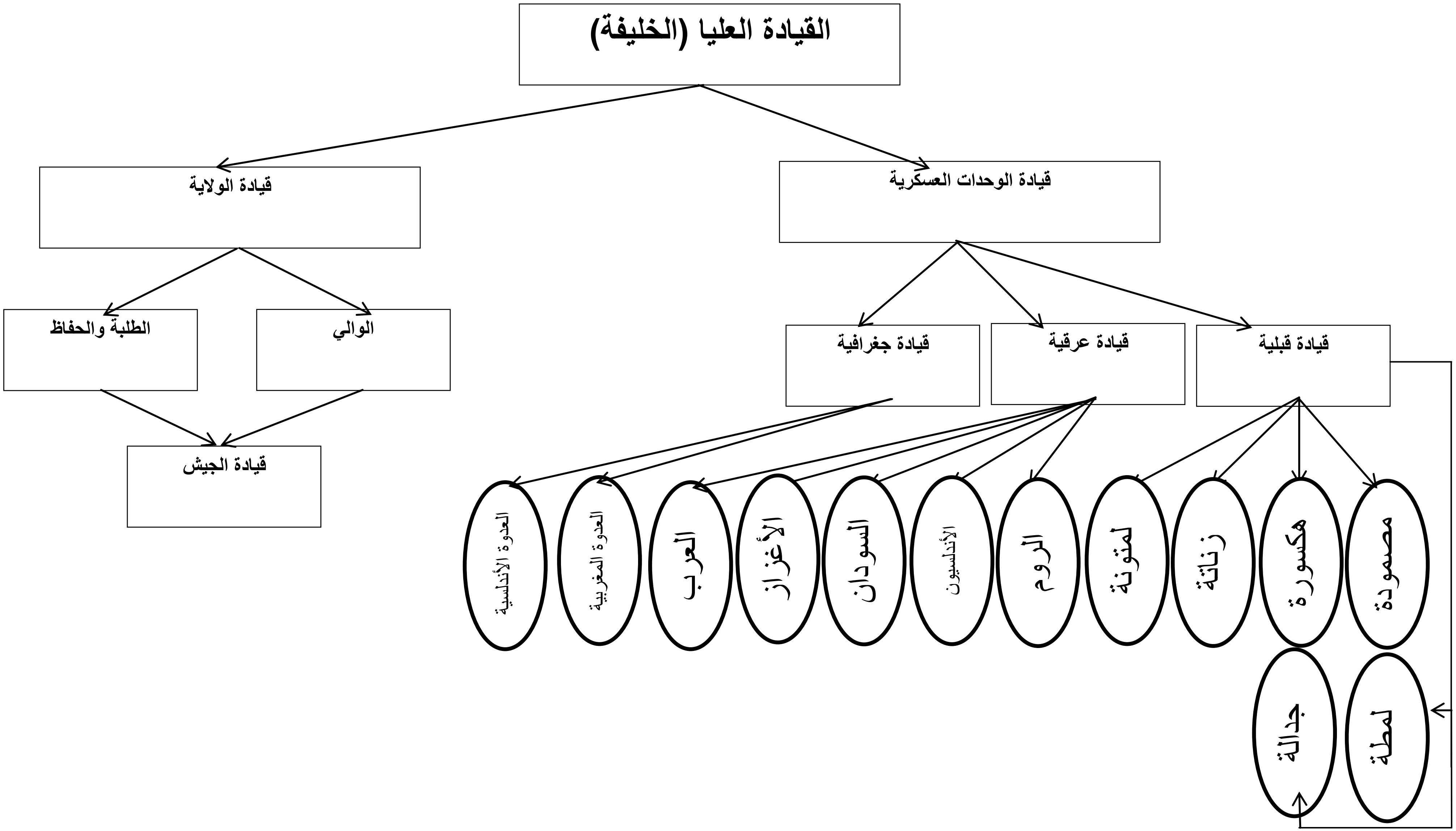


ملحق رقم 02: خطة المربع التي ابتكرها عبد المؤمن بن علي الكومي: أنظر عبد الحق المريني، الجيش المغربي عبر التاريخ، ص35.



ملحق رقم 03: الوضعيات الافتراضية للرمي والطعن عند الفارس مؤلف مجهول،

كتاب المخزون لأرباب الفنون في الفروسية وبنودها



ملحق رقم 04: السلّم القيادي العسكري للمرابطين والموحدين

النص	المكان	السنة	الصفحة
جهّز عسكرا ضخما	تلمسان	469هـ 1176م	29
فأمده بعسكر ضخم من المرابطين والحشم وغيرهم	الأندلس	481 هـ 1088م	57
مواجهة عسكر تاشفين بن علي وعسكر عبد المؤمن بن علي مدة شهر وثلاثة أيام	منانة	533 هـ 1138م	96
ودامت هذه الحركة أربعون يوما	من مراكش إلى الأندلس	503 هـ 1109م	52
حاصر قلمورية عشرون يوما	قلمورية	583 هـ 1187م	64
ولحق الجيش بالأندلس ما ينيف على أربعة آلاف فارس وأضعافها مرات من الرجال	بلنسية	487 هـ 1094م	35
فجهز الجيش بالأخبية والأموال والسلاح	مراكش	524 هـ 1130م	84

ملحق رقم 05: جدول يبين التطور العددي للجيش المرابطي والموحدي

البيان المغرب لابن عذارى المراكشي، الجزء الرابع + قسم الموحدين

النص	المكان	السنة	الصفحة
وكانوا في ثمانين ساقة... وحاصروها سبعة أشهر	فاس	540 هـ 1145م	24
بعد أن أقام بجبل الفتح وبعث منه عسكرا جرارا إلى بلاد العدو لرسم الغزو	الأندلس	556 هـ 1161م	70
وصل يوسف بن سليمان بعسكر ضخم	إشبيلية	556 هـ 1161م	73
فنظر عسكر ضخم مبارك اختاره من الموحدين	قرطبة	564 هـ 1168م	119
وركب العساكر كالبحر الزاخر لا أول لها ولا آخر	وبذة	567 هـ 1171م	123
تحرك المتوكل على الله بجيوش عظيمة إلى غزو أعداء الله الكافرين	ماردة	627 هـ 1230م	289
ومن هذا العام صار أهل سبتة يختزنون الطعام في المطامير	سبتة	637 هـ 1239م	351
أمر الناصر لدين الله باستنفار الحشود وبعمل الآلات الحربية	شلبيطرة	668 هـ 1269م	260

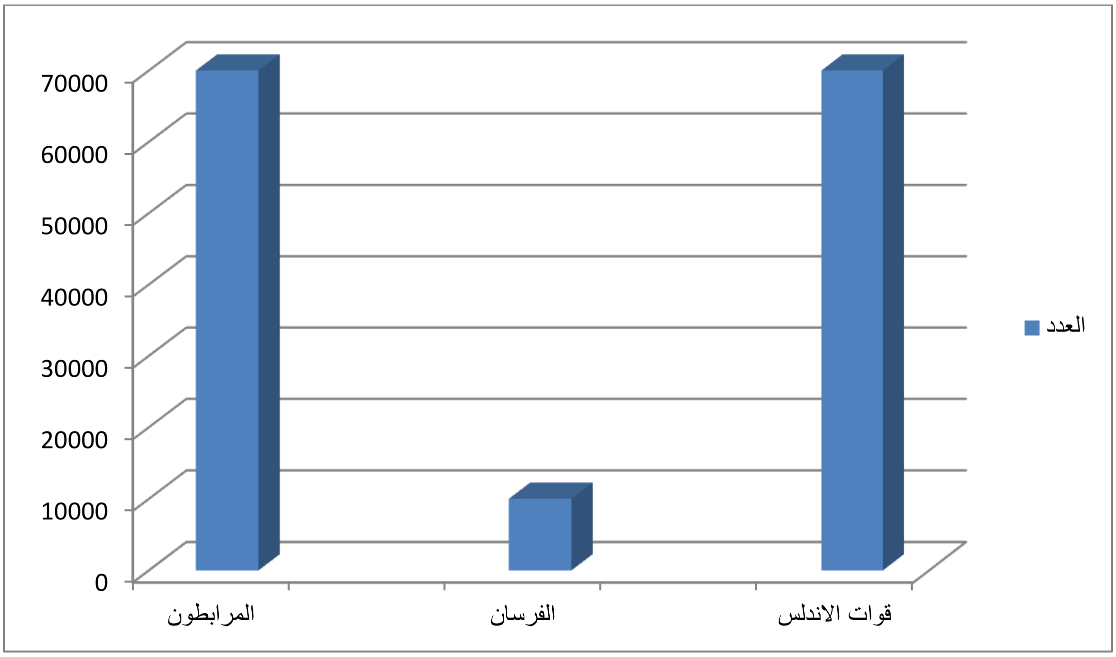
ملحق رقم 06: جدول يبين بعض الجمل الدالة على ضخامة الجيش الموحدي في البيان المغرب لابن عذارى المراكشي، قسم الموحدين.

الثورات ضد الموحدين	الثورات ضد المرابطين
ثورة الماسي 541هـ/1147م	ثورة ابن حمدين539هـ/1144م
تمردات بلاد تامسنا544هـ/1149م	ثورة المريدين 529هـ/1134م
تمردات دكالة وركراكة 544هـ/1149م	ثورة أبو الغمر بن السائب 530هـ/1135م
انتفاضة سلا 541هـ/1147م	ثورة ابن أضحى 540هـ/1145م
ثورة سبتة وهرغة542هـ/1148م	ثورة أبو الحكم بن حسون 539هـ/1145م
ثورات قبائل لمطة 548هـ/1153م	ثورة ابن ملحان 540هـ/1145م
ثورة تادلة 559هـ/1164م	ثورة علي بن عيسى بن ميمون 540هـ/1145م
ثورة الجزيري 579هـ/1184م	ثورة أبو عبد الملك مروان540هـ/1145م
ثورة عبد الرحمن الجزولي597هـ/1201م	ثورة ابن الحاج 539هـ/1144م
ثورة ابن الفرس 600هـ/1203م	ثورة ابن أبي جعفر 540هـ/1145م

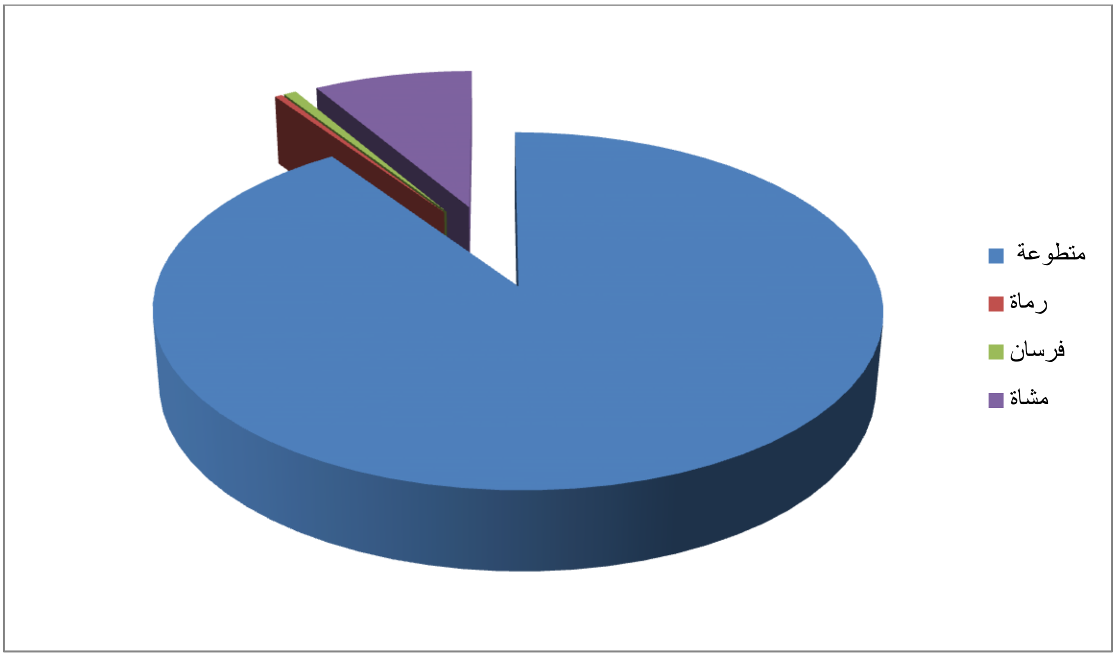
ملحق رقم 07: جدول يوضح أهم الثورات والتمردات ضد الحكم الموحدي

أنظر: السلاوي الناصري، الاستقصاء، ج2، ص 111، ابن خلدون، العبر، ج6، ص 271، 274، التادلي، التشوف في رجال التصوف، ص 466، ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص 270، محمد العمراني، الثورات والتمردات بالمغرب الأقصى خلال العصر الموحدي، ص 47.

أعداد عناصر الجيش المرابطي بالأندلس عند جوازهم لمعركة الزلاقة



أعداد القوات الموحدية التي اجتازت إلى الأندلس استعدادا لمعركة حصن العقاب



الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 83، 84

المعارك الحربية مع النصارى التي ثبت لدينا مشاركة علماء الأندلس فيها زمن المرابطين والموحدين

المعركة وتاريخها ☆	نوعية المعركة	القوة النصرانية التي اشتبك معها المسلمون
وَشْقَة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م	هجوم نصراني على مدينة وشقة الإسلامية .	أرغون
أُقْلِيش ٥٠١هـ/١١٠٨م	حملة إسلامية خرجت لمواجهة العدو .	قشتالة
طَلَبِيرة أوائل سنة ٥٠٣هـ/١١١٠م	حملة إسلامية خرجت لمواجهة العدو .	قشتالة
سرقُسْطَة أواخرسنة ٥٠٣هـ/١١١٠م	هجوم نصراني على مدينة سرقسطة الإسلامية .	أرغون
البورت (الباب) ٥٠٨هـ/١١١٤م	حملة إسلامية خرجت لمواجهة العدو .	برشلونة
كُتُنْدَة ٥١٤هـ/١١٢٠م	حملة إسلامية خرجت لمواجهة العدو .	أرغون
كُوثْيَة ٥٢٢هـ/١١٢٨م	حملة إسلامية خرجت لمواجهة العدو .	أرغون
المَرِيَّة ٥٤٢هـ/١١٤٧م	هجوم نصراني على مدينة المرية الإسلامية .	مجموعة من القوى النصرانية
بَطَلْيَوس ٥٥٦هـ/١١٤٧م	غارة نصرانية على مدينة بطليوس الإسلامية .	البرتغال
شِرْبة ٥٦١هـ/١١٦٥م	غارة نصرانية على بلدة شربة الإسلامية .	البرتغال
وَبْذَة ٥٦٧هـ/١١٧٢م .	حملة إسلامية خرجت لمواجهة العدو .	قشتالة
لَرْية ٥٧٥هـ/١١٨٠م	غارة نصرانية على بلدة لرية الإسلامية .	غالب الظن أنها أرغون
شَنْتَرِين ٥٨٠هـ/١١٨٤م	حملة إسلامية خرجت لمواجهة العدو .	البرتغال
الأَرَك ٥٩١هـ/١١٩٥م	حملة إسلامية خرجت لمواجهة العدو .	قشتالة
شَلْبَطَرَّة ٦٠٨هـ/١٢١١هـ	حملة إسلامية خرجت لمواجهة العدو .	قشتالة

☆ رتبت المعارك بالتسلسل على حسب تاريخ حدوثها .

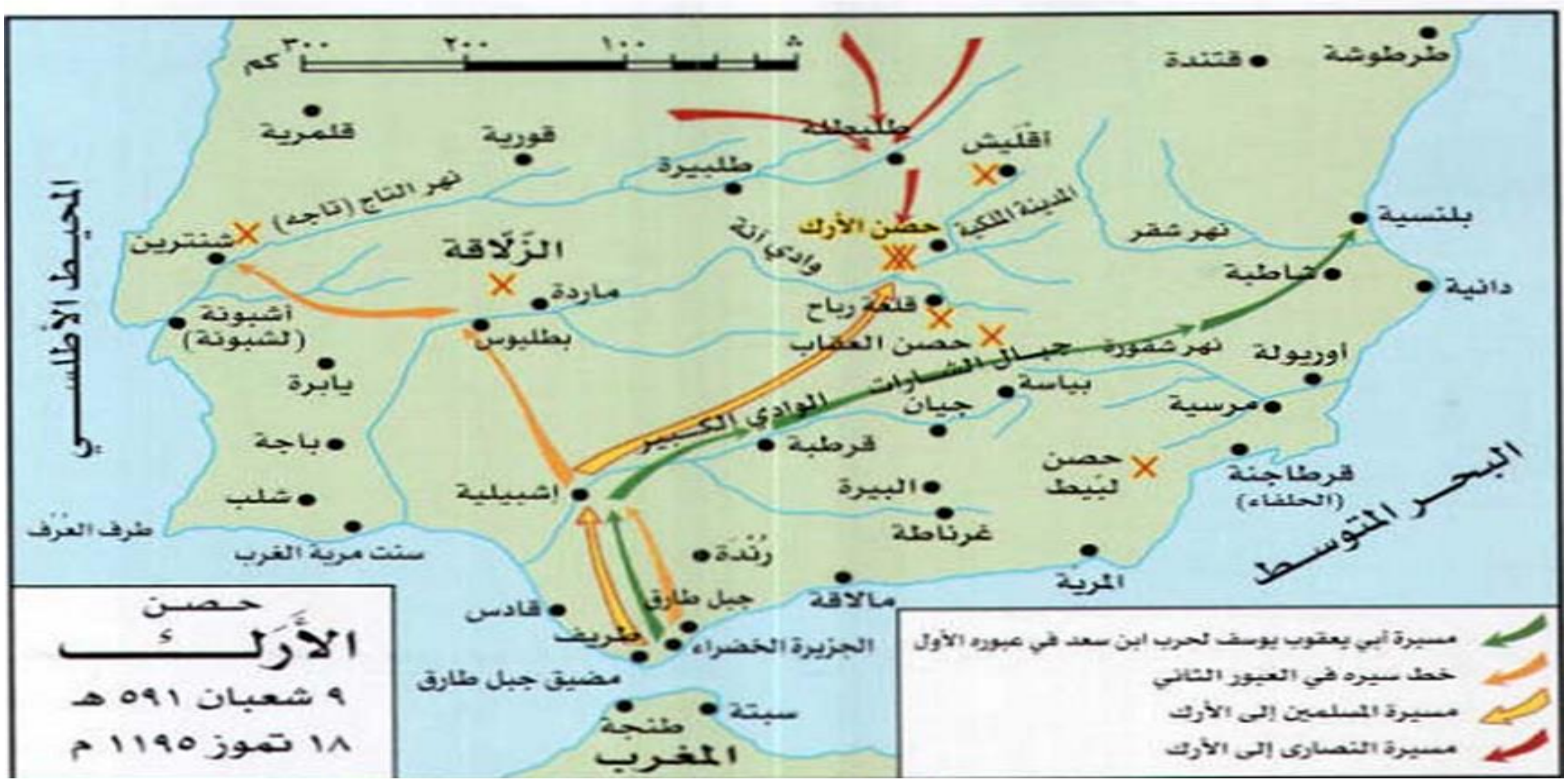
محمد زين العابدين الحسيني، الدور الدفاعي للمرابطين والموحدين بالأندلس، دراسات وأبحاث في إطار قافلة التاريخ العسكري، اللجنة المغربية للتاريخ العسكري، المملكة المغربية، ص 105، 106.

محمد بن إبراهيم بن صالح، *جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين*، ص 511.

الخرائط



شوقي خليل المرجع السابق 102



شوقي خليل : المرجع السابق ،ص103



شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 103.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

القرآن الكريم

أ- المخطوطات:

1- ابن العربي المعافري، ت. 543هـ/1148، مخطوط شواهد الجلة والأعيان في مشاهد الإسلام والبلدان، رقم المخطوط 2/81، مكتبة آل سعود، الدار البيضاء.

2-أبو مروان عبد الملك بن زهر: مخطوط التيسير في المداواة والتدبير، ضمن مجموع من ورقة 1-241، ميكروفيلم رقم ق159/1، الخزانة العامة، الرباط.

3-الخزنداي الأمير بدر الدين محمد بن بكتوت: مخطوط كامل الصناعة في الفروسية والشجاعة، م. و.م.م رقم ق/32، ميكروفيلم ضمن مجموع من ورقة 471-511، الخزانة العامة، الرباط.

4-طبيغا الأشرفي البكلمشي: مخطوط بغية المرام وغاية للمعاني في علم الرمي، ميكروفيلم ضمن مجموع من ورقة 60-92، رقم د/1867، الخزانة العامة، الرباط.

5- مؤلف مجهول: مخطوط كتاب علم الرمي في فضل القوس والوتر والنشاب ومعرفة أصول ذلك وسقاية السلاح المهلكة للأعداء على نية الجهاد في سبيل الله ضمن مجموع من ورقة أ34-أ59، ميكروفيلم رقم د/1867، الخزانة العامة، الرباط.

6- مجهول مؤلف، كتاب المخزون لأرباب الفنون في الفروسية وبنودها، كان حيا سنة 986هـ/1597م، المكتبة الوطنية الفرنسية، من 112 ورقة إلى 244 ورقة.

7-محمد بن يوسف الشافعي: الإيضاح في علم الرمي والسبق ضمن مجموع من ورقة أ22-ب33، ميكروفيلم رقم د/1867، الخزانة العامة، الرباط.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

ب- المصادر:

1- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد القاسم، (ت. 726هـ/1325م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

2-ابن الأبار، القضاعي، (ت. 658هـ/1260م)، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1985.

3- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري (ت. 630هـ/1233م) الكامل في التاريخ، مراجعة محمود يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987.

4-ابن الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي (ت. 776هـ/1375م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1974.

5-ابن الزقاق، علي بن عطية اللخمي البلنسي (ت. 1096هـ/1134م)، ديوان ابن الزقاق، تحقيق عفيفة محمودي ديراني، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

6-ابن العربي، أبا بكر محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي (ت . /543هـ)، أحكام القرآن، زتحقيق محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنّة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1964.

7-ابن العريف أبو العباس، مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة، تحقيق عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1993.

8-ابن العنابي محمد بن محمود بن محمد الحسيني (ت. 1276هـ/1851م) السعي المحمود في نظام الجنود، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

9-ابن القطان، المراكشي، (ت. 650هـ/1252م)، نظم الجمان، تحقيق محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1990.

10- ابن القلانسي، أبو يعلا حمزة بن أسد التميمي، (ت. 555هـ /1160م)، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908.

11- ابن القيم الجوزية، الفروسية، تحقيق محمد مصطفى أبو العلاء، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، مصر، 1425هـ.

12- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس ووصفه لابن شباط، نصان جديدان، تحقيق احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1981.

13- ابن المناصف، محمد بن عيسى، (ت. 620هـ/1223م)، الإنجاد في أبواب الجهاد، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان ومومد زكريا أبو غازي، مؤسسة الريان، دار الإمام مالك، ط1، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2005.

14- ابن بسام أبو الحسن علي بن بسام التغلبي الشنتريني، (ت. 1148/542م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1997.

15- ابن بلكين، عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

16- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت. 728هـ/1328) مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمان بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط، د.ت.

17- ابن جبير، محمد الشامي البلنسي، (ت. 614هـ/1217م)، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، 1964.

18- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، (ت. 300هـ/ 913م)، المسالك والممالك، نشر دي غويه ليدن مطبعة بريل، 1889.

19- ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، تحقيق عبد الله سنده، دار المعارف، ط1، بيروت، 2006.

20- ابن خلدون عبد الرحمن، (ت. 808هـ/ 1405م)، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001.

21- ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان العبر والمبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأعظم، دار الفكر، د.ط، بيروت، 2001.

22- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد البرمكي الأربلي، (ت. 681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994.

23- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسين الكلبي السبتي، (ت. 663هـ/ 1235م)، المغرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرون، دار العلم للملايين، بيروت، 1995.

24- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى الغرناطي المغربي، (ت. 685هـ/1286م)، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1982.

25- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى الغرناطي المغربي، المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط1، مصر، 1964.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

26- ابن سلام، أبا عبيد القاسم، (ت. 224هـ/839م)، كتاب السلاح، تحقيق صالح الضامن، كلية الآداب، مؤسسة الرسالة، ط2، بغداد، 1985.

27- ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن بن رافع الأسدي، (ت. 632هـ/1234)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق، جمال الشيال، القاهرة، 1964.

28- ابن صاحب الصلاة، عبد المالك، (ت. 594هـ/ 1198م)، المن بالإمامة، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 1987.

29- ابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي كان حيا سنة (712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم المرابطين، ج4 ، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، ط3، بيروت، د.ت.

30- ابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون دار الغرب الإسلامي، دار الثقافة، ط1، بيروت، الدار البيضاء، 1985.

31- ابن عميرة، أبو المطرف المخزومي، تاريخ ميروقة، تحقيق محمد معمر، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، الجزائر، 2006.

32- ابن فرحون، أبو الوفا إبراهيم بن علي اليعمري المدني (799هـ/1397) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون محي الدين الجنان دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.

33- ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، ط1، القاهرة، ج1، 1992.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

34- ابن ماجد، شهاب الدين، (ت. 906هـ/1500م)، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، ترجمة غابريال فيراني، مكتبة المستشرقين، باريس، 1923.

35- ابن مريم الشريف المليني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، ط1، الجزائر، 1908.

36- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت. 711هـ/1311م)، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1994.

37- ابن منكلي الناصري، الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز أحمد، مطبعة دار الكتب المصرية، ط1، القاهرة، 2000.

38- ابن منكلي محمد الناصري، (ت. 784هـ/1382م)، الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، تحقيق محمود شيت خطاب، مطبعة المجمع العراقي، 1988.

39- ابن هذيل، علي بن عبد الرحمن، حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

40- أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ط1، بيروت، 1979.

41- أبو حمو موسى الثاني الزياني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق محمود بوترعة، دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، الجزائر، 2012.

42- أبو زكريا احمد بن النحاس، مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام، تحقيق إدريس محمد علي وآخرون، دار البشائر الإسلامية، ط3، بيروت، 2002.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

43- أبو شامة شهاب الدين، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، ج1، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1996.

44- أبو عبد الله محمد، التعريف بالقاضي عياض، تحقيق محمد بن شريفة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، ط1، الدار البيضاء، د.ت.

45- الاصبهاني الحافظ بن نعيم أحمد بن عبد الله، (ت. 430هـ/ 1038م)، جزء من كتاب رياضة الأبدان، تخريج أبا عبد الله محمود بن محمد الحداد، دار العاصمة، ط1، الرياض، 1408هـ.

46- الباديسي، عبد الحق بن إسماعيل بن أحمد الخضر الغرناطي، كان حيا سنة (722هـ/1322م)، المقصد الشريف والمنزع الشريف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1993.

47- البكري، أبو عبيد الله (ت. 487هـ/1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

48- البلقيني، سراج الدين عمر، قطر السيل في أمر الخيل، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر، ط2، دمشق، 2009.

49- البيدق، أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت. 555هـ/1160)، أخبار المهدي بن تومرت، دار المنصور للطباعة والنشر والوراقة، الرباط، 1971.

50- التادلي، أبو يعقوب يوسف بن يحي، (ت. 617هـ/1220م)، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد الوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط2، الرباط، 1997.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

51- التنبكتي، أحمد بابا، (ت. 1036هـ/1627م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، طرابلس، 1989.

52- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت. 255هـ/868م)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1960.

53- جعفر بن أحمد الناصري، سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية، تحقيق أحمد الناصري، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 2006.

54- جلال الدين السيوطي، المسارعة إلى المصارعة، مكتبة السوادي للتوزيع، ط2، السعودية، 1992.

55- الحميري، عبد المنعم، (ت. 727هـ/1327م)، صفة جزيرة الأندلس، دار الجيل، ط1، بيروت، 1988.

56- الخزرجي أحمد بن عبد الصمد، (ت. 582هـ/1187م)، مقامع الصلبان، تحقيق عبد المجيد الشرفي، نشرية مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، تونس، 1975.

57- الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، ط1، سوريا، 1914.

58- الرعيني، أبو الحسن الإشبيلي، (ت. 666هـ)/1268م)، برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق إبراهيم شبوح، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1962.

59- السبتي، أبو عبد الله محمد بن القاسم، كان حيا سنة (825هـ/1422م)، اختصار الأخبار عما كان بسبتة من سني الآثار، المطبعة الملكية، ط3، الرباط، 1996.

60- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، (ت. 771هـ/ 1370م)، طبقات الشافعية، تحقيق محمود محمد الطناجي وآخرون، دار الإحياء للكتب العربية، القاهرة، 1969.

61- السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت. 1315هـ/1897م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري وآخرون، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.

62- سون تزو، (كان حيا في القرن الخامس قبل الميلاد)، فن الحرب، تقديم وتعليق أحمد ناصف، دار الكتاب السوري، ط1، سوريا، 2010.

63- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، (ت. 1393هـ/1983م) آداب البحث والمناظرة، تحقيق سعود بن عبد العزيز العريفي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، د.ت.

64- الشيباني، محمد بن الحسن، شرح كتاب السير الكبير، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، 1971.

65- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، (ت. 764هـ/1363م)، الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الأرنؤوط وآخرون، دار الإحياء والتراث العربي، ط1، بيروت، 2000.

66- الصقلي ابن حمديس (ت. 527هـ/1133م)، ديوان ابن حمديس الصقلي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر للنشر، بيروت، 1960.

67- الضبي، (ت. 599هـ /1202م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط1، القاهرة، 1989.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

68- الطرسوسي، مرضى بن علي (ت. 589)، تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء ونشر أعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء.

69- الطرطوشي، أبو بكر، (ت. 520هـ/1126م)، سراج الملوك، تحقيق محمد فتحي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1964.

70- العباسي الحسن بن عبد الله، أثار الأول في تدبير الدول، تحقيق عبد الرحمان عميرة، دار الجيل، ط1، بيروت، 1989.

71- الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد (ت. 704هـ/1305م)، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981.

72- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، (ت. 505هـ/1112م)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

73- فونسيوس، خدع حربية، ترجمة عبد الله فؤاد كحيل، دار الفرابي، بيروت، 1986.

74- القاضي عياض، (ت. 544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك، تحقيق سعد أعراب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1968.

75- القرطبي، أبو عبد الله بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري (ت. 671هـ/1272م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام سمير البحري، دار عالم الكتب، الرياض، 2003.

76- القلقشندي، أبو العباس أحمد، (ت. 821هـ /1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922.

77- مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1983.

78- مؤلف مجهول، كان حيا (783هـ/1381م)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وآخرون، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، 1979.

79- مؤلف مجهول، كان حياي سنة (712هـ/1312م)، مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، ط1، الرباط، 2005.

80- المالقي، أبو الحسن بن عبد الله النباهي، تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتية، منشوات دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1980.

81- مجموع رسائل موحدية جديدة، تحقيق أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، القنيطرة، المغرب، 1995.

82- مجموع رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941.

83- المرادي، محمد بن الحسن (ت.489هـ/1096م)، كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق محمد حسن محمد وآخرون، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2003.

84- المراكشي، عبد الواحد، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1963.

85- المقري، أبو العباس أحمد بن محمد القرشي التلمساني (ت. 1041هـ/1632م) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

86- المكي عبد القادر الطبري، فوائد النيل بفضائل الخيل، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر، ط2، دمشق، 2009.

87- الملا علي القادر الهروي الحنفي، (ت. 1014هـ)، شرح الشفا للقاضي عياض، ضبطه وصححه عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2001.

88- النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت. 732هـ/1332م)، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط 27-719هـ/647-1310م، من كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د.ت.

89- الهرثمي أبو سعيد الشعراني صاحب المأمون، كان حيا سنة (234هـ/848م)، مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبد الرؤوف عون، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1961.

90- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحي التلمساني (ت. 914هـ/1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والاندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

91- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله (ت. 626هـ/1226)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977.

المراجع:

المراجع باللغة الأجنبية:

1- Encyclopedia de l'Islam, nouvelle edition par: C.E. Boswerr. H, E. van donzel, W.P. Heinrichs et .CH. Pellat, Paris, 1990, Tome VI.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

2- Henri Terrasse ; Histoire du Maroc, édition Atlantides, Casablanca, 1947.
3- La agardere (u) Espuisse l'organisation militaire des Miribitines, P112, Revue de l’accident musèlement et de la méditerranée, Tom 1, établie par pierre Boyer, exprovence, Marseille
4- Levi Provençail: L'histoire de l'Espagne Musulmane, Paris, 1950.
5- M. Reinaud: de l'art militaire chez les Arabes au moyen âge, imprimerie national, Paris.
6- Mes Latrie: Relation et commerce de l'Afrique septentrional au Maghreb avec les relation au moyen âge, Paris, 1986.

المراجع باللغة العربية:

1-أبو خليل شوقي: العقاب بقيادة أبا عبد الله محمد الناصر، دار الفكر، بيروت، د.ت.

2-أبو ضيف مصطفى: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1982.

3-أبو فارس محمد عبد القادر: مدرسة النبوة العسكرية، دار الفرقان للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1993.

4-إحسان هندي: الحياة العسكرية عند العرب أو الجيش العربي في ألف عام 500-1500 سنة، دراسة تاريخية عسكرية لنظم التعبئة وفنون القتال والأسلحة عند العرب من الجاهلية إلى الفتح الإسلامي، مطبعة الجمهورية، ط1، دمشق، 1954.

5- أرسلان شكيب: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، جزءان، دار الحياة، بيروت، 1936.

6-أرشبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، 500-1100م، ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956.
7- إسكان الحسين: الدولة والمجتمع في العصر الموحدي 518-668هـ/1125-1270م، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، ط1، الرباط، 2010.
8-إسماعيل أحمد علي: التعبئة العسكرية في صدر الإسلام والعهد النبوي، ط2، دار الشورى، بيروت، 1991.
9-أشباخ يوسف: تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، ط2، القاهرة، 1996.
10- الآغا فؤاد: علم الاجتماع العسكري، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2008.
11- أمبروسيو هوثي ميراندا: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكمير، منشورات الزمن، ط1، الطار البيضاء، 2004.
12- أمين محمد فتحي: العلم العسكري مفهومه وتطبيقاته، الأوائل للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 2005.
13- بان علي محمد البياتي، النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن 3هـ-5هـ/ 9م-11م، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2004.
14- بركات وفيق: فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي، معهد التراث العلمي العربي، ط1، جامعة حلب، 1995.
15- البستاني بطرس: معارك العرب في الأندلس، دار مارون عبود، ط1، بيروت، 1987.

16- البسيري أحمد: الأساليب التكتيكية العسكرية عبر تاريخ الحروب المغربية، اللجنة المغربية للتاريخ العسكري – دراسات وأبحاث في إطار قافلة التاريخ العسكري – المغرب، 2007.

17- بلحميسي مولاي: البحر والعرب في التاريخ والأدب، دار قانة، ط1، باتنة، الجزائر، 2008.

18- بلغيث محمد الأمين: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار التنوير، ط1، الجزائر، 2006.

19- بلغيث محمد الأمين، النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر.

20- بلهول نسيم: أبجديات الثقافة الحربية، دار هومة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2008.

21- بن عبد الكريم عثمان: سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه، دار الفكر، ط1، دمشق، 1986.

22- بن عبد الله عبد العزيز: الجيش المغربي عبر العصور، المعهد الوطني للدراسات القضائية، ط1، الرباط، 1986.

23- بوتشيش إبراهيم القادري: المغرب والأندلس في عصر المرابطين – المجتمع، الذهنيات، والأولياء– ط1، بيروت، 1993.

24- بوتشيش إبراهيم القادري: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، ط1، بيروت، 1989.

25- بوطالب محمد نجيب: سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2002.

26- بولطيف لخضر: فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 2009.

27- بولقطيب الحسين: جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن، د.ط، الرباط، 2002.

28- بولقطيب الحسين: حفريات في تاريخ المغرب الوسيط، دار جذور للنشر، ط1، الرباط، 2004.

29- بيريه جان: الذكاء والقيم المعنوية في الحرب، ترجمة أكرم ديرم والهيثم الأيوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1986.

30- التازي عبد الهادي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ط1، الرباط، 1987.

31- التازي عبد الهادي، موقف المغرب من القرصنة الدولية في العصر الوسيط، سلسلة الدورات – القرصنة والقانون الأممي الدورة التاسعة، أفريل، ط1، 1986.

32- تتاو حميد: الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، مؤسسة الملك عبد العزيز، ط1، الدار البيضاء، 2009.

33- جريشة علي: أداب الحوار والمناظرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، المقصورة، 1989.

34- جريو عثمان وآخرون: النظم الإسلامية في المشرق والمغرب والأندلس، منشورات مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، د.ت.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

35- الجعماطي عبد السلام: النقل والمواصلات خلال عصري الخلافة والطوائف، دار الأمان، ط1، الرباط، 2000.

36- جلاب حسن: التجليات الأدبية لمعركة الزلاقة، منشورات مؤسسة البشير للتعليم الحر – ندوة يوسف بن تاشفين– ط1، عدد1، أفريل، مراكش، 2002.

37- جلول ناجي: الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، ط1، تونس، 1999.

38- حامد محمد خليفة، انتصارات يوسف بن تاشفين، مكتبة الصحابة، ط1، الشارقة، د.ت.

39- الحبيب الجنحاني، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، د.ط، بيروت، 1986.

40- حجاب محمد منير: الحرب النفسية، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2005.

41- الحجي عبد الرحمان، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، ط5، دمشق، 1997.

42- حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، د.ط، الدار البيضاء، 2009.

43- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، ج1، 2009.

44- حركات إبراهيم، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، منشورات مكتبة الوحدة العربية، د.ط، الدار البيضاء، د.ت.

45- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1980.

46- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، ط1، القاهرة، 1992.

47- حمادي إدريس: المنهج الأصولي في فقه الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1988.

48- حمدي عبد المنعم: تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دولة علي بن يوسف المرابطي، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، الإسكندرية، د.ت.

49- خطاب محمود شيت: إرادة القتال في الجهاد الإسلامي، دار الفكر، ط2، القاهرة، 1973.

50- خطاب محمود شيت: العسكرية العربية الإسلامية، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، سلسلة كتاب الامة، العدد الثالث، ط1، قطر، 1991.

51- خطاب محمود شيت: عقبة بن نافع الفهري، دار الفكر، ط5، بيروت، 1977.

52- خلف الله ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي 524-936هـ/1120-1529م، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1985.

53- الدغمي محمد ركاب: التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط2، القاهرة، 1985.

54- دندش عصمت عبد المجيد: أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1991.

55- دندنش عصمت عبد المجيد: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

56- الدويكات قاسم: أثر الجغرافيا في العمل العسكري، سلسلة بحوث الدراسات العسكرية الإستراتيجية، إعداد وتنسيق أبو سعد الأثري، ط1، دمشق، د.ت.

57- ديرم أكرم: آراء في الحرب، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ط1، بيروت، 1972.

58- الراوي حازم عبد القهار: الشخصية العسكرية القيادية، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بيروت، 1988.

59- رزق عاصم محمد: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 2000.

60- الرقب محمد عبد الرحمان: شعر الجهاد في الأندلس، مكتبة الأقصى، ط1، عمان، 1984.

61- روجي الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية من القرن 10-12م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1992.

62- ريبيرا خوليان: التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط2، مصر، 1994.

63- ريتشارد سوذرن، صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ترجمة رضوان السيد، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، 2006.

64- الزباخ مصطفى: بنية الخطاب في فن الرسالة المرابطية بالأندلس، دار النشر المغربية، ط1، الدار البيضاء، 1988.

65- الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 2002.

66- زغروت فتحي: الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، القاهرة، 2005.

67- زماني أحمد: بحوث حول النظام العسكري في الإسلام، الدار الإسلامية، ط1، بيروت، 1991.

68- زنيبر محمد: المغرب في العصر الوسيط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تنسيق محمد المغراوي، ط1، الرباط، 1999.

69- زهر الدين صالح، موسوعة معارك العرب، دار النبوة الجدية، ط1، بيروت، 2000.

70- السائح الحسن، الحضارة المغربية عبر التاريخ، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء، 1975.

71- سالم السيد عبد العزيز وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1969.

72- السامرائي خليل إبراهيم: الأوضاع السياسية للعالم الإسلامي من خلال رحلة ابن بطوطة، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1986.

73- سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس في عهد يوسف بن تاشفين، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1985.

74- سويد ياسين: الفن العسكري الإسلامي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، بيروت، 1988.

75- السيد محمود: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، الإسكندرية، 2004.

76- سيمون الحايك: ابن مردنيش أو الموحدون، الجامعة الأمريكية، د.ط، بيروت، 1993.

77- الشرقي منيرة بنت عبد الرحمان، علماء الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجري، مطبوعات جامعة الملك فهد الوطنية، ط1، الرياض، السعودية، 2002.

78- شفيق منير، علم الحرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1982.

79- شلدون واتس، الأوبئة والتاريخ، ترجمة أحمد محمود عبد الجواد، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2010.

80- شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، ط5، دمشق، 2005.

81- صفا محمد: في الحرب، دار الرؤية العلمية للطباعة والنشر، ط2، القاهرة، 1982.

82- الصلابي علي محمد: الجوهر الثمين لمعرفة دولة المرابطين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، القاهرة، 2003.

83- ضو مفتاح غمق، نظرية الحرب في الإسلام وأثرها في القانون الدولي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، بيروت، 1988.

84- الطريلي محمد عويد، المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2005.

85- طقوس محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الأندلس 91-897هـ/710-1492م، دار النفائس، ط1، بيروت، 2005.

86- طه جمال، الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2004.

87- الطيبي أمين، الغز (الأغزاز) وقدومهم إلى المغرب والأندلس على عهد الموحدين، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي – أعمال المؤتمر الثاني للعلاقات العربية التركية – تنسيق عقيل محمد عقيل البريار، ج1، ليبيا، 1982.

88- العايد فهد، الحرب النفسية في ضوء القرآن الكريم، بحوث الملتقى الدولي حول العسكرية الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، جائزة الأمير سلطان الدولية لحفظ القرآن الكريم للعسكريين، وزارة الدفاع، السعودية، 2007.

89- العبادي أحمد مختار، صور من حياة الجهاد في الأندلس، منشأة المعارف، ط1، الأسكندرية، 2000.

90- عباس إحسان، جانب من التاريخ السري للمرابطين – دراسة تاريخية مهداة إلى عبد العزيز الدوري– الجامعة الأردنية، ط1، الأردن، 1995.

91- عبد الحق المريني، شعر الجهاد في الأدب المغربي، وزارة الشؤون والأوقاف الإسلامية، ط1، المغرب، ج2، 1996.

92- عبد الحليم رجب محمد، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، ط1، القاهرة، د.ت.

93- العدوي إبراهيم أحمد، المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، دار المعرفة، ط1، القاهرة، 1961.

94- العسلي بسام، فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والامويين، دار الفكر للطباعة والنشر، المجلد الثاني، ط1، بيروت.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

95- عصمت عبد المجيد دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430-515هـ/ 1038-1121م، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988.

96- العقلا عبد الله بن فريح، إعداد الجندي المسلم أهدافه وأسسه، مكتبة الرشاد للنشر والتوزيع، ط1، السعودية، 2003.

97- العقيقي نجيب، المستشرقون،ج1، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1964.

98- العمايرة محمد عبد الله سالم: المعجم العسكري المملوكي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2011.

99- العمراني محمد: الثورات والتمردات بالمغرب الأقصى خلال العصر الموحدي، دار النشر المعرفة، ط1، الرباط، 2005.

100- عميرة عبد الرحمان، الاستراتيجية الحربية في إدارة المعارك في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 2006.

101- العنابي محمد: تطور علوم البحار ودورها في النمو الحضاري، ملتقى علي النوري للعلوم الصحية، منشورات الحياة الثقافية، صفاقص، 18-21 نوفمبر، تونس، 1976.

102- عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1990.

103- عوض الكريم مصطفى، الأدب الأندلسي في عهد المرابطين، ط1، مصر-السودان، 1968.

104- عون عبد الرؤوف: الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف، ط1، مصر، 1961.

105- عيسوي عبد الرحمان محمد: علم النفس الحربي، دار الراتب الجامعية، ط1، مصر، 2008.

106- الغامدي خالد بن ناصر: الصراع العقائدي في الأندلس خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنصارى 92هـ/897م، دراسة عقدية، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 1429 هـ.

107- فهمي علي محمود: التنظيم البحري في شرق المتوسط من القرن 1-4 هـ/7-10م، ترجمة قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 1997.

108- الفيومي محمد إبراهيم: تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الجيل، ط1، بيروت، 1977.

109- القرضاوي يوسف: فقه الجهاد – دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة، جريدة الشروق اليومي، العدد 2446، الجزائر، 2010.

110- القرقوطي معمر الهادي، جهاد الموحدين في بلاد الأندلس، دار هومة للطباعة والنشر، د.ت، الجزائر، 2005.

111- قريش روزلين ليلى: استراتيجية القتال في سيرة بني هلال، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 2009.

112- لكساسيه رضا عبد الغاني: النثر الفني في عصر الموحدين وارتباطهم بواقعهم الحضاري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2004.

113- لوتورنو روجي: حركة الموحدين في المغرب في القرنين 12 و 13 م، ترجمة أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ط1، ليبيا – تونس، 1982.

114- مؤنس حسين: الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة.

115- محاسن نجاة سليم محمود، معجم المعارك التاريخية، زهران للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2011.

116- محفوظ محمد جمال الدين: العسكرية في الإسلام، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1984.

117- محفوظ محمد جمال الدين: مدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية الإسلامية، الهيئة المصرية للكتاب، ط2، القاهرة، 1989.

118- محمد بن إبراهيم بن صالح، جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، ط1، السعودية، 1998.

119- محمد حجاج: البحرية المغربية في الدولة الموحدية جذور القوة وأسباب الضعف، سلسلة الندوات رقم 7 – البحر في تاريخ المغرب- تنسيق رقية بلمقدم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، جامعة الحسن الثاني، 2009.

120- محمود نديم أحمد فهيم: الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 1983.

121- المريني عبد الحق: الجيش المغربي عبر التاريخ، مطبعة المعارف الجديدة، ط5، الرباط، 1997.

122- مزاري توفيق: النشاط البحري بالغرب الإسلامي في عهدي المرابطين والموحدين، جزءان، جسور للنشر والتوزيع، ط1، المحمدية، الجزائر، 2011.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

123- المغراوي محمد: المغرب في العصر الموحدي – جدلية القوة والأزمة – الجمعية المغربية للبحث العلمي – ندوة المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب – سلسلة ندوات، عدد 24، 25، 26 أكتوبر، الجديدة، المغرب، 2002.

124- منجد مصطفى: واقعة الزلاقة كما صورها الشعر الأندلسي، د.ط، العراق، د.ت.

125- المنوني محمد: حضارة الموحدين، دار طوبقال للنشر، ط1، الرباط، 1989.

126- موسى عز الدين: الموحدون في الغرب الإسلامي – تنظيماتهم ونظمهم – دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1991.

127- موسى عز الدين، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس، دار الشروق، ط1، بيروت، 1983.

128- النجار عبد المجيد: المهدي بن تومرت حياته وآثاره وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1983.

129- نوفل أحمد: الحرب النفسية، دار شهاب للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2000.

130- النيفر محمد الشاذلي: الأسطول في اللغة والأدب والتاريخ، الدار التونسية للنشر، ط1، تونس، 2007.

131- هارت ج. ل. ليدل: الإستراتيجية وتاريخها، ترجمة الهيثم الأيوبي، دار الطليعة، ط1، بيروت، 2000.

132- الهلالي محمد ياسر: الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تنسيق حسين حافظي علوي، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 157، ط1، الرباط، 2008.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

133- هوبكنز ج. ف. ب: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تعريب أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ط1، ليبيا –تونس، 1980.

134- والد السالم حماه الله: تاريخ موريتانيا من المرابطين إلى بني حسان، الجمعية التاريخية الموريتانية، جامعة نواقشوط، ط1، د.ت.

135- الوكيل محمد السيد: القيادة والجندية في الإسلام، دار الوفاء، ط3، مصر، 1988.

ج- المجلات والدوريات:

1- أبو دياك صالح محمد فياض: فنون القتال عند المرابطين والموحدين والحفصيين – مجلة المؤرخ العربي- اتحاد المؤرخين العرب، السنة الخامسة عشر، العدد 39، بغداد، 1988.

2-أزريكم عبد الرزاق: الميز والاعتراف في دولة الموحدين – مجلة وجهة نظر – السنة 12، العدد 44، 45، الرباط، 2000.

3-إلياس علي قنبر: بنو ميمون قادة الأسطول المرابطي والموحدي 508-599 هـ/ 1115-1202 – مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية – جامعة الموصل العدد 2، المجلد 10، 2010.

4-أليماني خوسي: الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة – مجلة الأنوار – يوليو، أغسطس، عدد 19، تطوان، 1950.

5-بشير عبد الرحمان: القرصنة غربي المتوسط في القرن 2-5 هـ / 8-11م – حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، الحولية 32، جامعة الكويت، 2012.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

6-بن بلقاسم نور الدين: البريد في الأندلس على العهدين المرابطي والموحدي- مجلة الحياة الثقافية – وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، أفريل، العدد 182 تونس، 2007.

7-بن طواله سعد بن مزعل: فن القيادة والمهام القتالية – مجلة الحرس الوطني – وزارة الدفاع، العدد 148، الكويت، 1994.

8-بهجت محمد مصطفى: البحر في شعر الأندلس والمغرب في عصر الطوائف والمرابطين – حوليات كلية الآداب – الحولية السابعة، الرسالة الأربعون، دامعة الكويت، الكويت، 1986.

9-بوتشيش إبراهيم القادري: الجاليات المسيحية بالمغرب الإسلامي خلال عصر الموحدين – مجلة الاجتهاد – دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، السنة السابعة، لبنان، 1995.

10- بوتشيش إبراهيم القادري: دولة المرابطين والأساس العسكري في تكوينها – مجلة الحرس الوطني- وزارة الدفاع، العدد 156، أغسطس، الكويت، 1995.

11- بوتشيش إبراهيم القادري: مواقف العلماء الأندلسيين من التحديات الصليبية بالأندلس في القرن 5 هـ/ 11م – مجلة المؤرخ العربي – اتحاد المؤرخين العرب العدد 60، بغداد، 2001.

12- بوز فارس: الصراع على إشبيلية بين ألفونسو السادس ويوسف بن تاشفين 404-484 هـ/1023-1091م – مجلة دراسات تاريخية – العددان 69، 70، تموز ، كانون، 1999.

13- بوز فارس: مؤسسة الطلبة في دولة الموحدين – مجلة دراسات تاريخية – العددان 29، 30، دمشق، 1988.

14- تركي بن عبد المحسن الفرم: الكفاءة القتالية والكفاءة العسكرية – مجلة كلية خالد العسكرية – العدد 88، الرياض، 2009.

15- الجراري عباس: الموحدون ثورة سياسية ومذهبية – مجلة المناهل –وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، العدد الأول السنة الأولى، نوفمبر، الرباط، 1974.

16- الجعماطي عبد السلام: حرفيو البحر في تراث الغرب الإسلامي – مجلة التفاهم – وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العدد 34، السنة التاسعة، الإمارات العربية، 2011.

17- خوري إبراهيم: أحمد بن ماجد منظر الملاحة العربية في بحر الهند في القرن 9 هـ /15 م، الندوة العلمية لإحياء تراث ابن ماجد، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، دار الحوار للنشر والتوزيع، من 9–12 يناير، كانون الثاني، 1989، سوريا، 1991.

18- ربيق عبد الله بن متعب: الإشاعة والحرب النفسية – مجلة الحرس الوطني – وزارة الدفاع، العدد 297، الكويت، 2007.

19- زكي عبد الرحمان: صناعة السيوف الإسلامية في الشرق الأدنى في العصور الوسطى – المجلة التاريخية المصرية – الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مجلد 5، 1956.

20- السباعي فاضل: يوم الأرك– مجلة المناهل – وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، العدد 17، مارس، الرباط، 1999.

21- سعد بن عبد الله البشري، جماعات الفرسان الدينية الإسبانية وحروبها مع المسلمين في الأندلس، مجلة جامعة أم القرى، السنة الخامسة، العدد 7، السعودية، 1992.

22- السليماني يحي بن حمزة الوزنة: أثر الأندلس الحضاري على المغرب في عصري المرابطين والموحدين – مجلة المؤرخ المصري- كلية الآداب، العدد 27، جامعة القاهرة، 2004.

23- سيار الجميل: البنية النظرية لكتاب الأنيق في المناجيق- مجلة دراسات تاريخية – لجنة كتابة تاريخ العرب، العدد 33، 34، أيول، دمشق، 1989.

24- الشريف محمد: المحيط الأطلسي الإسلامي من الفتح العربي إلى الفترة الموحدية لكريستوف بيكار – مجلة المناهل – وزارة الثقافة المغربية، العدد 68، السنة 26، يوليوز، الرباط، 2003.

25- الشريف محمد: تطور البحرية الإسلامية وتقنياتها بالغرب الإسلامي- مجلة التاريخ العربي – العدد 9، 1999.

26- شعباني بدر الدين: الأسلحة في عهد الدولة الفاطمية من خلال النصوص – من قضايا التاريخ الفاطمي ودوره المغربي – منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، تنسيق بوبة مجاني، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2007.

27- الشلوي عديم بن هوصان: القيادة الميدانية المعاصرة – مجلة الحرس الوطني – وزارة الدفاع، عدد 148، نوفمبر، الكويت، 1994.

28- الشمري محمد بن فراج: طرق دراسة الحرب النفسية – مجلة كلية خالد العسكرية – وزارة الدفاع، العدد 101، الرياض، 2010.

29- الطيبي أمين: وقعتا حطين والأرك- مجلة البحوث التاريخية – منشورات جامعة الفاتح، العدد الأول، طرابلس، 1988.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

30- عباس إحسان: اتحاد البحريين في بجانة بالأندلس – مجلة الأبحاث – الجامعة الأمريكية، السنة 23، الأجزاء من 1-4، كانون الاول، بيروت، 1970.

31- عبد الغاني رياض أحمد: هجومات النورمانيين على الأندلس – مجلة سر من رأى – كلية التربية، المجلد السابع، العدد 27، السنة السابعة، تشرين الأول، بغداد، 2011.

32- عبد القادر محمد جاد الرب: المرابطون ومعركة الزلاقة – مجلة بحوث – مركز الدراسات الإفريقية، العدد 25، 26، الخرطوم، السودان، 2001.

33- عبيد طه خضر: التعبئة العربية الإسلامية في كتاب The Tactica للإمبراطور البيزنطي ليو السادس 868-912م – مجلة المجمع العلمي – الجزء الأول، المجلد 47، بغداد، 2000.

34- عبيد طه خضير: طرائق فكاك الأسرى المسلمين من الصليبيين 490-990 هـ/ 1097-1291م – مجلة أفاق الثقافة والتراث – قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية، العدد 76، ديسمبر، الإمارات العربية المتحدة، 2011.

35- العسلي بسام: وقعة العقاب – مجلة البحث العلمي – المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، العدد 35، الرباط، 1985.

36- الغزالي مشتاق بشير: مؤن المسلمين في غزوات عصر الرسالة – مجلة كلية التربية للبنات – العدد الأول، السنة الأولى، سبتمبر، بغداد، 2007.

37- فايزة كلاس، الجيش عند الموحدين، مجلة دراسات تاريخية، لجنة كتابة تاريخ العرب، العددان 31، 32، دمشق، 1989.

38- قدوري طاهر: منطقة الغرب ودورها في تنشيط الملاحة البحرية في العصر الموحدي – مجلة البحث التاريخي – الجمعية المغربية للبحث التاريخي، العددان 5، 6، الرباط، 2007-2008.

39- مؤنس حسين: نصوص سياسية عن فترة انتقال من المرابطين إلى الموحدين – مجلة المعهد المصري – مجلد 3، مدريد، 1953.

40- محمد العربي: نموذج النخبة السياسية في العصر الموحدي – مجلة أمل – مطبعة النجاح الجديدة، السنة الثانية، العدد 4، الرباط، 1993.

41- محمد حالي، الديمغرافيا التاريخية للمغرب الوسيط من خلال تاريخ ابن خلدون، مجلة المستقبل العربي، السنة 36، العدد 416، أكتوبر 2013.

42- المحمدي محمد بن علي: القائد والمرؤوسون خلال عمليات القتال – مجلة الحرس الوطني – وزارة الدفاع، العدد 194، الكويت، 1998.

43- محمود حسن ناجي: أهمية اللياقة البدنية في إعداد الجيوش – مجلة التربية الرياضية – الأكاديمية الرياضية العراقية، المجلد 10، العدد 2، العراق، 2001.

44- المغربي محمد أحمد: الموحدون سادة البحار – مجلة دعوة الحق – وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، السنة 14، العدد 10، جانفي، المغرب، 1972.

45- مكي محمود علي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين – صحيفة المعهد المصري – مجلد 7، عدد 1، مدريد، 1959.

46- نشام أحمد: العوامل العلمية لسيكولوجية وسريان الإشاعة – مجلة روضة الجندي – مديرية الاتصال والإعلام والتوجيه، وزارة الدفاع الوطني، العدد 153، الجزائر، 1997.

47- النفوري أمين: العرب والتسليح وتحديات التكنولوجيا قديما وحديثا – المجلة العسكرية – منشورات المحافظة السياسية، المتحف الوطني، الجزائر، 1972.

48- اليوزباشي محمد عثمان أفندي: الجغرافيا وأهمية دراستها – مجلة الجيش المصري – وزارة الدفاع الوطني، المطبعة الأميرية، بولاق، العدد 5، القاهرة، 1939.

ج- الرسائل والأطروحات الجامعية:

1-أبو ريدة جمال أحمد سليمان: الخدع العسكرية للمسلمين في صدر الإسلام، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2009.

2-أحمتي عبد العلي: التغذية بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط – قضايا ونماذج – رسالة دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2001-2002.

3-إسماعيل أحمد الدسوقي: التعبئة الإعلامية في الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1403-1404هـ.

4-بزاوي الكبير: دور الدعوة في نشأة الدولة المغربية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1986-1987.

5-بلغيث محمد الأمين: الربط بالغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1986-1987.

6-بن سالم غازي: اقتصاديات الحرب في الإسلام، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 1989.

7-بن صالح سلمان: الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الثالث الهجري، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، جزءان، السعودية، 1998.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

8-بن مليح عبد الإله: إفريقية الزيرية علاقاتها السياسية والاقتصادية بدول جنوب حوض البحر المتوسط والأندلس 361-543هـ/972-1148م، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، 1986-1987.

9-بولقطيب الحسين: المصامدة وقيام دولة الموحدين 500-558هـ/1106-1162 دبلوم دراسات عليا في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، جزءان، 1989.

10- الثلاثيني نهاد يوسف: الامن العسكري في السنة النبوية – دراسة موضوعية تحليلية – بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في الحديث الشريف وعلومه، الجامعة الإسلامية، غزة، 2007.

11- حداد عزيز: نظام الجند في الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية 132-742 رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2004.

12- خالد محمد عطوه: الخداع في الحرب، رسالة ماجستير، جامعة غزة، فلسطين، 2005.

13- ذو النون علياء هاشم: فقهاء المالكية – دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى القرن 6 هـ/ 12م، رسالة دكتوراه، العراق، 2003.

14- سالم أبو القاسم محمد غومه: المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين 451-668هـ/1059-1269، رسالة ماجستير، جامعة الفاتح، ليبيا، 2004.

15- شاهد جعفر: عدة الحرب في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1980.

16- شعبان عبد الرحيم: المسكوكات الموحدية في تاريخ المغرب الوسيط 524-668هـ/1129-1269، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995-1996.

17- الشيباني عبد الحق الصادق: بنو هلال في المغرب والأندلس 452-668هـ/1060-1270، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2001.

18- الطاهري عبد الحق: بنية الحكم الموحدي ووسائله، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2005.

19- الطويل محمد: النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط. 1996-1997.

20- عبد القادر عثمان محمد جاد الرب: الوضع السياسي والاجتماعي لغرناطة في القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراه، الرباط، 1997.

21- عبد القادر علي أحمد الدرة: العلماء الشهداء في الأندلس 400-897هـ/109-1492، بحث لاستكمال متطلبات الماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009.

22- العرابي محمد: دور الأشياخ في تدهور الدولة الموحدية 515-674هـ - الجانب السياسي، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1986-1987.

23- عفانة فلنتينا سليمان: مملكة إشبيلية 414-484هـ/1023-1069 زمن بني عباد وعلاقاتهم الداخلية والخارجية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.2002

24- علي أحمد علي: التعبئة العسكرية عند الأمويين، رسالة ماجستير، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1978-1979.

25- عناوي محمد: النشاط البحري في الأندلس في عصر الإمارة الأموية، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، جزءان، فاس، 1986-1987.

26- عياش محمد: الاستحكامات العسكرية المرينة من خلال مدينتي فاس الجديد والمنصورة بتلمسان، دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005-2006.

27- فاروق محمد علي: الاستحكامات الدفاعية في تخطيط المدن والعمارة العربية الإسلامية في العراق حتى نهاية العصر العباسي، جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة بغداد، العراق، 2006.

28- فيسة محمد رابح: المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة، دراسة تاريخية أثرية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2004-2005.

29- المبروك غنية الأسطي: البحرية الإسلامية في حوض المتوسط الغربي من القرن 6 هـ إلى القرن 8هـ/12-14 م رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق، جامعة الحسن الثاني، جزءان، الدار البيضاء، 1999-2000.

30- المسعودي جميلة مبطي: المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها 612-893 هـ، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 2000.

31- نجار ليلى أحمد: المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي – دراسة تاريخية وحضارية 580-595هـ/1184-1198، رسالة دكتوراه، جامعة ام القرى، السعودية، 1989.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

32- النحال طاهر حمد محمد: القيادة والجندية في السنة النبوية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2007.

33- نضال مؤيد مال الله: الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني 685-706هـ/1286-1306، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، العراق، 2004.

34- نعيمة منى: أدب المحاضرات في الأندلس خلال القرن السادس، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ج2، الرباط، 1999-2000.

35- نوح فوزية محمد عبد الحميد: البحرية الإسلامية في عهد المرابطين والموحدين 447-667هـ/1055-1268، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية.

36- هصام موسى: الجيش في العهد الحمادي 405-547هـ/1014-1152، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2000-2001.

37- واعظ نويوة: أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية 580-633هـ/1184-1235، رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة للآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، 2007-2008.

38- يوسف أحمد حوالة: بنو عباد في إشبيلية 414-484هـ/1023-1091م رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، 1980.

فهرس الأماكن والأعلام والقبائل والشعوب

الأماكن والبلدان:

-أ-

فهرس الأماكن والأعلام والقبائل والشعوب

-ب-

فهرس الأماكن والأعلام والقبائل والشعوب

-ت-

-ج-

-ح-

-د-

-ز-

-س-

-ش-

فهرس الأماكن والأعلام والقبائل والشعوب

القبائل والشعوب:

-أ-

-ب-

-ت-

-ج-

فهرس الأماكن والأعلام والقبائل والشعوب

فهرس الأماكن والأعلام والقبائل والشعوب

الأعلام:

-أ-

فهرس الأماكن والأعلام والقبائل والشعوب

فهرس الأماكن والأعلام والقبائل والشعوب

فهرس الأماكن والأعلام والقبائل والشعوب

فهرس الأماكن والأعلام والقبائل والشعوب

فهرس الأماكن والأعلام والقبائل والشعوب

-ز-

-س-

-ش-

-ص-

-ط-

-ع-

فهرس الأماكن والأعلام والقبائل والشعوب

فهرس الأماكن والأعلام والقبائل والشعوب

فهرس الموضوعات :